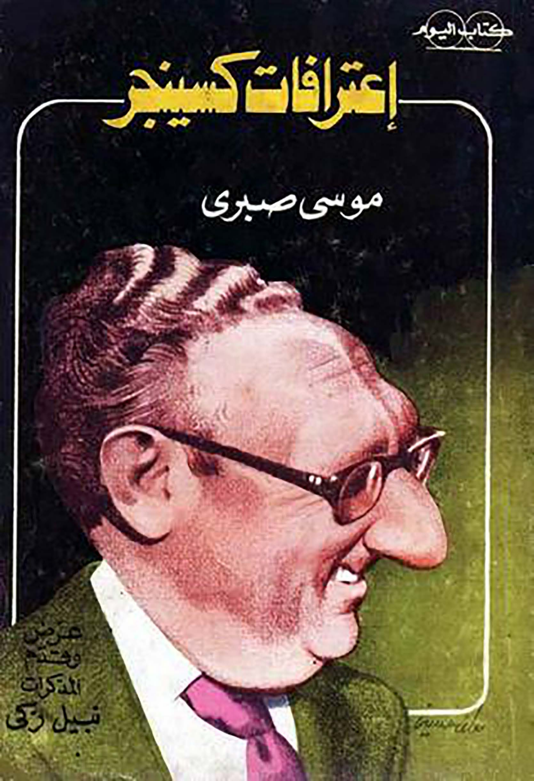
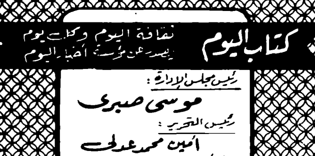

كتاب اليوم
إعترافات كسينجر
موسى صبرى
عرض وتقديم المذكرات
نبيل زكى



نائب رئيس التحرير :

عبد العزيز عبد العليم

مدير التحرير :

حسين فريد

محرم ١٤٠٠

العدد ١٦٠ ديسمبر ١٩٧٩

كانون الأول

الإدارة : أخبار اليوم ٦ شارع الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط
تلكس دولي ٩٢٢١٥ - محلي ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية : قيمة الاشتراك السنوي ٢,٥٠٠ جنيه مصري

البريد الجوي

دول اتحاد البريد العربي والافريقي	٤,٠٠٠	جنيه مصري
	٩,٠٠٠	دولار أمريكي أو ما يعادله
باقي دول العالم (أوروبا والامريكتين وآسيا واستراليا)	٩,٠٠٠	جنيه مصري
	١٥,٠٠٠	دولار أمريكي أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى : الاشتراكات ٢٣ ش الصحافة القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

موسى صبري

تعليق على
اعترافات كسينجر

عرض وقدّم مذكرات كسينجر
عن الشرق الاوسط نبيل زكي

الإهـــداء

● نهدى سطور هذا الكتـاب ، عن تاريخ مرحلة من اخطـر المـراحل التى واجهت مصر .. الى الرجل الذى صنع هذا التـاريخ .. وصـنع بذلك اروع امجـاد مصر .

● ولم يكن الرجل ، بقادر على صنع التاريخ ، الا وهو على قمة الثقة والتاييد والمباركة .. من شـعب مصر ، الذى أقدم على التضحية بالـروح والقـوت . بانتصار الايمان .. بأنه يبنى ويعمر .. وبان قيادته تعبر عن ايمانه ..وتسعى به الى الخير والامن والامان .

● وقد كان اجدر ان يكون عنوان الكتاب ..جبال العقبات امام طريق السلام ،التى حطمها انور السادات .. وشعب مصر يمسك معه كل معـاول التحطيم .. حتى تحققت المستحيلات .. تطهير الارض من استعمار سوفيتى عسكرى واقتصـادى وسياسى .. انتصـار الانسـان المصرى والعـربى فى حرب اكتوبر .. ثم انتصار انسان العالم كله .. بقضية السلام .

بسعر الورق الأبيض والحبر.. فقط

● اتفقت ارادة كل من اسهم فى اخراج هذا الكتــاب ، حتى يصل الى يد القارىء .. ان يكون العمل تطوعيا ، بلا اى ربح أو كسب .

● ان أسعار الورق بالغة الارتفـــاع .. وتكلفة الطبــاعة من احبار ولوحات زنكغراف وتشغيل .. بالغة الارتفاع ايضا .. كما ان اجهزة التوزيع ، تتكلف ايضا الشيء الكثير مقابل خدماتها .. وهذه هي ازمة الكتاب المصرى القومي الذى تفرض علينا المسئولية القومية أن يصل الى أكبر عدد من المواطنين .

ولم يعد غريبا ان يكون سعر الكتاب المتوســط الصفحات ٣ جنيهات او اكثر ..

ولذلك قررنا ، بكل الرضا والارتياح ، ان يصدر هذا الكتاب ، بسعر الورق الابيض .. والحبر .. فقط .. ولم تتقاض ادارة « اخبار اليوم » اى مقابل غير سعر الورق .. وكذلك ادارة المطابع لم تتقاض غير سعر الحبر .. ادارة توزيع « اخبـــار اليوم » .. قامت بخدماتها تطوعا .. وهذا ايضا موقف ادارة الاعلان .

وهكذا كان موقف موسى صبرى ..كاتب التعليق على اعترافات كسينجر .. وموقف نبيل زكي مترجم الفصول ومقدمها ..وموقف الفنان الكبير مصطفى حسين الذى رســم غلاف الكتاب بريشته المبدعة .

واشرف على اخراج الكتاب الاستاذ حسين فريد ســكرتير عام التحرير بمؤسسة اخبار اليوم .

ولسنا فى حاجة الى القول ، بان هذا يحدث لاول مرة فى تاريخ الكتاب المصرى والعربى .. ولكن اقتناع الجميع ، بان اصدار هذا الكتاب هو اولا واخيرا مسئولية وطنية قومية .. دفعنا الى انجاز هذه السابقة الاولى من نوعها .



الفصول .. والتعليق

اننا لا ننشر فصول كتاب كسينجر « سنوات البيت الابيض » عن أزمة الشرق الاوسط .. كما جاءت فى ترتيب الكتاب .. ولكننا ننشر أهم الاحداث فى هذه الفصول . كما سجلها كسينجر .. لأن هناك تفصيلات لا تهم القارىء فى شىء ، كما أن بها كثيرا من الاحداث الصغيرة التى لا تفيد فى اعطاء الصورة الحقيقية .. ولعله لجأ الى ذلك . لكى يطغى بالتفصيلات التى لا تقدم ولا تؤخر . على مسائل بالغة الأهمية .. بالنسبة لنا . نحن أبناء مصر وابناء الامة العربية . أو لعله سجل كل التفصيلات الصغيرة .. لكى يكون كتابه معبرا عن يوميات حياته فى البيت الابيض .

واذا كان كسينجر قد تحدث عن الشرق الاوسط . ودوره حتى نشوب حرب اكتوبر . فى اربعة فصول .. فاننا اخترنا أن تكون فى هذا الكتاب فى اربعة عشر فصلا .. تجنبا لشيئين :

الأول : الاطالة على القارىء بما يبعده عن جوهر الاحداث .

الثانى : أن يكون تعليقنا على هـذه الفصـول وافيا ومكتملا . بحيث لا يضيع حدث هام .. فى غمار الاطالة .

وتعليقنا على « اعترافات » كسـينجر . يعتمـد على متابعتنا الصحفية لكل تطورات الموقف فى مصر يوما بيوم .. ثم الاجتماعات

المغلقة التى عقدها الرئيس الســادات للقيادات السياسية ، ثم القيادات الصحفية والاعلامية ، وكان الرئيس يصارح فيها بكل حقائق العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ، وبين مصر والولايات المتحدة الامريكية ٠٠

كما اعتمدنا فى التعليق فى كثير من المواقع الهامة للاحداث . على ما سجله الرئيس أنور السادات فى كتابه التاريخى « البحث عن الذات » ٠٠

ولسنا ندعى أن تعليقنا على اعترافات كســينجر . قد أوفى الموضوع الخطير من كل جوانبه ٠٠ ولكنه اجتهاد صحفى مصرى يعيش فى قلب الاحداث ٠٠ وقد يخفى عنه بعض من جوانبها ٠٠ ولذلك فاننا ندعو أن يكون تعليقنا هو بداية لتعليقات أخرى ممن كانوا بجوار هذه الاحداث ، فى مواقع رسمية أو صحفية ٠٠ حتى تكتمل الصورة أمام القارىء المصرى والقارىء العربى ٠٠ لمرحلة عاشها شعب مصر ، هى فى رأيى من أهم مراحل كفاحه فى سبيل الحرية والبناء ٠

وقد اجتهدت أن يكون التعليق على كل فصل ، شاملا أولا تلخيصا وافيا لما أورده كسينجر ٠٠ ثم التعليق عليه ٠ فليس من المعقول أن يتابع القارىء التعليق دون أن يلم بأهم الوقائع التى نعلق عليها ٠٠ وعليه بعد ذلك أن يستزيد ، بقراءة الفصل الذى نعلق عليه ٠

ويجب أن أسجل ، الجهد المرهق ، الذى بذله زميلنا الاستاذ نبيل زكى ، فى ترجمة وعرض وتقديم هذه الفصول من كتاب كسينجر ٠ وقد لاحظنا أن كسينجر يجيــد اختيار عباراته . بما يحتمل أكثر من معنى فى بعض الاحيان ٠٠ أو بما يحتمل اخفاء موقف معين يريد هـــو أن يخفيه . بل ان بعض العبــارات التى استخدمها كسينجر لم نجد لها وجودا فى القاموس الانجليزى ٠٠ ووجدناها فى قواميس امريكية ٠

موسى صبرى

هــذه .. المذكرات

عندما كنت على فراش المرض فى واشنطون .. لاحظت ضجة ضخمة فى الصحف والاذاعات ومحطات التليفزيون حول كتاب هنرى كيسنجر « سنوات البيت الابيض » .. فما يزال كسينجر حتى الآن نجما لامعا على المسرح السياسى رغم ابتعاده عن المناصب الرسمية .. وهذا أمر نادر فى أمريكا .. وأمريكا بالذات .. لأن الاضواء لا تلتقى الا حول مصادر الاخبار والافكار الكبرى .

ولذلك حرصت على أن استعين ، وأنا فى حجرة المستشفى ، بمن يساعدنى على تجميع ما سمح ناشرو الكتاب باذاعته وارســاله بالطائرة الى « الاخبار » .. ثم استطعت بمعونة صديق أن أحصل على الكتاب قبل ظهوره فى الاسواق . واذا بالكتاب يحوى صفحات ممتعة عن أزمة الشرق الاوسط وحقيقة الدور الامريكى قبل حرب اكتوبر .. وماذا كان يعرف كسينجر والبيت الابيض الامريكى برياسة نيكسون عن أنور السادات بعد وفاة عبد الناصر .. بل كيف كان كسينجر يتوقع أن السادات لن يستمر رئيسا أكثر من ثلاثة أو اربعة أسابيع ! ثم يعترف كسينجر أن هذه كانت أكبر وأفدح أخطائه فى تقديره للاشخاص والاحداث فى حياته السياسية .. ثم يسجل كيف استطاع السادات ان يقود بلاده ، وان يصنع الاحداث الكبرى التى جعلته من أكبر قادة العالم فى عالمنا المعاصر .

ولكن فصول هذا الكتاب التى ننشرها بالتعليق عليها ــ وهذا حق قانونى مشروع ، اقتصرت على أحداث محدودة عن أزمة الشرق الاوسط والدور الامريكى والموقف المصرى الذى تمسك بأنه لا سلام مع احتفاظ اسرائيل بالارض المحتلة وأنه لا سبيل الا الانسحاب الكامل الى حدود ١٩٦٧ .. والموقف الاسرائيلى الذى أعلن فى المباحثات السرية مع ممثلى أمريكا انه يريد السلام والارض معا ..

هذه الاحداث الهامة عن الشرق الاوسط حتى نهاية عام ١٩٧٢ ننشرها بالعرض والتقديم والتعليق ..

ولكن كتاب كسينجر « سنوات البيت الابيض » هو الجزء الاول فقط ٠٠ ونتوقع أن الجزء الثاني سيتناول الكثير من الاسرار ٠٠

ومع ذلك فان هذا الجزء الاول يقع في ١٥٢١ صفحة من الحجم الكبير . واهتمت الصحف حتى بوزن الكتـــاب فقالت انه يزن ٤ أرطال وخمس رطل !

●●●

وقد احتفل ناشرو الكتاب بصدور هذا الجزء قبـــل أن أغادر واشنطون في الاسبوع الاخير من اكتوبر ١٩٧٩ وحضر الاحتفال عدد ضخم من السياسيين والكتاب والمشاهير والسفراء ٠٠ وكان كسينجر أكثر ترحيبا بالسفير السوفيتي أناتولي دوبرينين الذى قال ضاحكا أمام جميع المدعوين ــ أنا شريك في تأليف الكتاب .

ورد كسينجر ــ هذا حق ٠٠ انه فعلا من الشخصيات الاساسية في الكتاب .

فعلق دوبرينين ــ أنا موجود في ربع الكتاب ٠٠ ومع ذلك ليس لى أى نصيب في الارباح !

وضحك الجميع عندما قال له كسينجر : تستطيع أن تشارك في الارباح عندما تطبع الكتاب في الاتحاد السوفيتي !

●●●

ومعظم فصول الكتاب فعلا عن العلاقات الامريكية السوفيتية ، والعلاقات الجديدة مع الصين ٠٠ وهو يتناول بالتفصيل أزمة فيتنام ٠٠ ولذلك فان التعليقات على الكتاب ظهرت حتى في حفل كسينجر بنشر كتابه ٠٠ ومنها ما يؤيد كسينجر . ومنها ما يناقش ويعارض .

فمثلا قال « الزورث بانكر » الذى كان سفيرا لامريكا في فيتنام الجنوبية ــ عندما كان كسينجر في البيت الابيض : ان ما يحدث الآن قد توقعناه وحذرنا منه ٠٠ لقد قلنـــا ان لاوس وكمبوديا ستصبحان ولايتين تابعتين لفيتنام الشمالية ٠٠ ان البعض منـــا الذى حذر من حمامات الدم اذا استولى الشيوعيون ٠٠ لم يلق الا الهزء والسخرية . ولكن الذى نراه اليوم حادثا ٠٠ هو حمام دم ، لايهم أن نفرق أو نقتل بالرصاص ٠٠ ولكن المهم أننـــا موتى في هذه المنطقة .

●●●

وصديق آخر لكسينجر ممن عملوا معه . يدافعون عن دوره في فيتنام ٠٠ أن « وستمورلاند » رئيس اركان الجيش الامريكي السابق

يقول : « ان توجيه اللوم الى كسينجر بسبب سياسته نحو كمبوديا ٠٠ هو تماما مثل توجيه اللوم لظهور هتـلر فى الحـرب العالمية الاولى ، ليس احدا هو المسئول ٠ ولكن جـــون كنيدى الرئيس الامريـــكي الاسبق هو الذى أدخل امريكا في التزام نحـــو جنوب شرق آسيا ، بطريقة كان من المستحيل ان نتخلص منها ٠٠ أو نخرج ظافرين ٠ كانت لنا فرصة واحـــدة بعد هجوم فيتنام الشمالية الضخم ، المشهور بهجوم ليلة رأس السنة القمرية ٠٠ ولو كنا قد هربنا من الموقف ، لكان الرئيس الســابق جونسون مصلوبا من الامريكيين !

●●●

أما « هيلمز » رئيس المخـــابرات الامريكية الاسبق ، وسفير أمريكا فى ايران بعد ذلك فقد قال :

« لم اقرأ كل صفحات الكتاب ٠٠ ولكن الذى قرأته أعطانى فكرة طيبة ٠٠ ومن الطبيعى أن كسينجر أخفى الكثير » ٠

●●●

وأما الجنرال « والترز » الذى كان ملحقا عسكريا لامريكا فى باريس خلال المباحثات السرية التى أجـــراها كسينجر مع قادة فيتنام ، فقد سخر من الصورة التى رسمها له كسينجر فى كتابه ٠ قال : اننى لم أتلق هذه التعليمات العديدة من كسينجر التى ذكرها فى كتابه ٠٠ واذا كان هو قد عقد عدة اجتماعات سرية فى باريس، فاننى تعاملت مع هؤلاء القادة ثلاث سنوات ٠٠ وأى اجتماع كان يعقده كسينجر معهم ، كان يتبعه ١٥ اجتماعا منى معهم ٠٠

وهكذا نرى أن البعض يرى أن كسينجر يحاول فى مؤلفـــه ان ينسب الفضل الاول والاخير له فى بعض الاحداث ٠

●●●

وتحدث السفير الاسرائيلى فى أمريكا « افرايم افرون » عن أول مرة رأى فيها كسينجر يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ ٠ كان كسينجر قادما من موسكو الى القدس ٠ وكان هو المكلف باستقباله فى المطار ٠٠ وكان يفكر والطائرة تهبط على الارض : يهودى ٠٠ من أصل المانى يمكن أن يؤدى هذا الدور في السلام والحرب ؟! هذا لايمكن أن يحدث الا فى أمريكا !



فولبرايت

كنت ساصاب بالجنون بسببه . لم يكن يحضر اجتماعات لجنة العلاقات الخارجية عندما كان مستشارا لشئون الامن القومى



هلمز

لم اقرا كل صفحات الكتاب . من الطبيعى ان كسينجر اخفى الكثير

فقد كان المفروض أن ينفذ وقف اطلاق النار فى ذلك اليوم .. ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ .

●●●

وكان فى هذا الحفل أيضا الشريك المشاكس القديم لكسينجر وهو وليام فولبرايت الذى ظل يرأس لجنــــة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الى أن خسر معركة أعادة انتخابه فى أركانساس .

ويستعيد فولبرايت هذه الفترة فيقول :

« بالتأكيد أننى كنت سأصاب بالجنون بسببه . لم يكن يحضر اجتماعات لجنة العلاقات الخارجية عندما كان مستشـــارا لشئون الامن القومى . وقال ان الرئيس لم يكن يسمح بذلك لانه يعتبر حضوره اعتداء على امتيازات السلطة » .

وسوف يتضح من « اعترافات » كسينجر بعد ذلك ، أنه استطاع أن يعوق كل جهود السلام التى تبنتها وزارة الخارجية الامريكية .. وكان الســـيناتور فولبرايت من المدافعين الشرفاء عن الحق العربى ..

وسئل احد ضيوف الحفل : « هل ترددت فى حضور هذا الحفل الذى أقيم تكريما لرجل يعتبره البعض مسئولا عن قصف فيتنام وكمبوديا ؟

فكان رده : هل نحن في حفل لتكريم مجرم حرب ؟ ٠٠ ان لدى شكوكا عديدة تجاه تصرفات قام بها كسينجر ولكنـــه لا يتحمل الذنب وحده » ٠

●●●

انى أسجل هذه التعليقات على مؤلف كسينجر التى قيلت فى احتفال الناشرين بصدور الكتاب ، لكى أبرز أهمية هذا الكتاب ٠٠ وكل ذلك نشر فى الصفحات الاولى من صحف أمريكا ٠٠ وما أسجله قليل من كثير ٠ ولهذا كان اهتمامنا أن نقدم عرضا وتعليقا على مؤلف ضخم يكشف كثيرا من أسرار المسرح الدولى ٠٠ وفيما نعرضه ستظهر مواقف عديدة وجديدة عن أزمة الشرق الاوسط ٠٠ ودور مصر التاريخى ٠

●●●

لقد قام الاستاذ نبيل زكى بترجمة وعرض وتقديم أهم الاحداث فى الفصول الاربعة التى تحدث فيها كسينجر عن دوره فى توجيه أحداث الشرق الاوسط ، عندما كان مستشارا للامن القومى للرئيس نيكسون ٠٠ ثم عندما اصبح وزيرا للخـــارجية بعد أن نجح فى اخراج وزير الخارجية « روجرز » ٠٠ الذى كان يسعى فعـــلا الى اجراءات سلام حقيقية ٠٠ وحلت عليه لعنة كسينجر ولعنة اسرائيل معا ٠٠ واستطاعت جولدا مائير أن تلغى وجوده من المسرح السياسى ٠٠ رغم أنه اعتذر وتراجع ٠

●●●

وقمت بالتعليق على هذه الفصول ، لكى اوضح الوجـه الآخر للعملة ــ كما يقولون ــ فليس من شك أن « قيصر » البيت الابيض ــ كما اطلقت عليه ــ اخفى كثيرا من الحقائق عن عمد ، كما انه استخدم اسلوبا دبلوماسيا محيرا فى اختيار كلماته ، لكى يدافع عن مواقف له ٠٠ أو لكى يضفى على نفسه كل هالات الاهمية ٠٠ ولكى يقنع قارئه أنه كان كل شيء فى البيت الابيض ٠٠ مع وجود وزير للخارجية ٠٠ وبعد أن تولى هو وزارة الخارجية ٠٠ بل انه أوحى فى الكثير مما كتب عن الشرق الاوسط ، أنه كان قادرا على أن يضع الرئيس الامريكى نيكسون فى جيبه ٠٠

●●●

ومهما دافع كسينجر عن استراتيجيته القيصرية ٠٠ فانه عوق كل اجراءات السلام حتى قامت حرب اكتوبر مفاجأة مذهلة له ٠٠

فليس من شك فى أنه كان منحازا انحيازا كاملا . للجانب الاسرائيلى ·· تحت تصور خاطىء . أن مصر المهزومة لن تقوى على أى انتصار ·· واذا هى فكرت فى الحرب . فسوف تلحق بها كارثة كبرى لايمكن اصلاحها ··

●●●

وهو فى هذه الصفحات ، يقدم الاعتذار ، بعد الاعتذار . لأنه أخطأ فهم شخصية أنور السادات ، وأبعاد زعامته التاريخية ··

وهذا يؤكد لنا أن سيطرة فرد واحد ، على فرض استراتيجية قوة عظمى مثل الولايات المتحدة الامريكية ·· يشكل خطورة فادحة على مصير الشعوب الصغيرة ··

ان مذكرات كسينجر عن الشرق الاوسط ، هى اعترافات كاملة، بأنه نجح فى فرض سيطرته الكاملة على سياسة البيت الابيض تجاه الشرق الاوسط ·· رغم اعتراضـــات أجهـــزة وزارة الخارجية الامريكية ، ورغم اعتراضات قيادة الجيش الامريكى ووزير الدفاع ·

وكانت نتيجة ذلك ، أنه أعدم كل فرص السلام ·· مستغلا أيضا ذبذبة الاتحاد السوفيتى ، واهتمـامه الاول بمصالحه كقوة عظمى على حساب حق الشعب العربى فى أرضه وسيادته ··

●●●

وكل هذا يؤكد لنا ، الدور الجبار ، الذى أدته القيادة المصرية فى توجيه الاحداث ، ومقاومة تجميد الموقف فى الشرق الاوسط كما اتفقت عليه أكبر قوتين فى العـــالم ·· الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية ·· ثم اجبار كل الاطراف على موقف السلام ·

لقد تكبدنا فى سبيل ذلك الكثير ، من الارواح والاموال ، وواجهنا أزمة اقتصادية عاتية لانزال نعانى من قسوتها على مطالب العيش المتواضعة للمواطن المصرى ·· الذى أعطى الروح ·· وقدم التضحية بالقوت ·· ولكن استطاعت مصر ·· الدولة النامية ·· المحدودة الموارد ·· أن تقلب كل حسابات القوى العظمى رأسا على عقب ·· وأن تفرض ارادة السلام ، بالفهم الصحيح ، والادراك الواعى لكل ما كان يختفى من مؤامرات ومناورات فى كواليس القوى العظمى

.. ثم بالتصدى المدروس المحسوب ، الذى يملك شجاعة اتخاذ القرار .

●●●

ان ما كتبه « قيصر » البيت الابيض من اعترافات ، عن الدور الامريكي ـ الذى فرضه ـ تجاه أزمة الشرق الاوسط .. وتجاه الحق المصرى والحق العـــربى والحق الفلسطينى .. جدير بأن يقرأه بامعان وتمحيص ، كل من يشتغلون بالعمل السياسى .. لكى يدركوا .. كم واجهت مصر ؟ .. وكيف تصدت مصر ؟ .. ولماذا حققنا المعجزة بفرض « المستحيل » ..

ان ممارسة العمل الايجـــابى ، على المسرح الدولى ، مع القوى العظمى التى تضع مصـالحها قبل كل شىء ، ولان كل شىء ، لن يكون بالتهريج الخطـــابى ، ولن يكون بالموقف السلبى الجبان الهارب من التحدى والتصدى وممارسة المسئولية القومية التاريخية .. ولكنه أولا وقبل كل شىء .. علم وفن .. ايمان وشجاعة .. حسابات دقيقة ومغامرات محسوبة .. ثم القـــدرة المتمكنة ، على اتخاذ القرار ، فى التوقيت الصحيح .

لقد استطاعت القيـادة المصرية ، رغم كل مؤامرات كسينجر ومناوراته .. ورغم التراجع السوفيتى المخجل .. ورغم التفكك العربى المفزع .. أن تجعل العالم كله .. مؤيدا لرسالة السلام .. ومدافعا عنها .. وهكذا تحـول التاريخ الى آفاق جديدة .. كانت هى المستحيل .



ولكن مصر التى حققت المعجزة .. وواجهت هـــذه العواصف العاتية من أكبر القوى الدوليـــة .. ومن الاخطبوط الصهيونى المروع الذى سيطر ثلاثين عاما على عقول الملايين فى أمريكا وأوربا .. وفى كثير من دول العالم الاخـــرى .. مصر التى تصدت ، وقدمت أغلى التضحيات .. هى مصر التى تنالها اليـــوم ألسنة المراهقين ، والمنتفعين ، والمرتجفين .. وحكام الحديد والنار على الارض العربية .

لماذا ؟ ..

لأنهم ، وبكل بساطة ، يعبرون عن جهل او خوف أو منفعة ذاتية .

وما أسهل خداع الشعوب بالكلمات الجوفاء .

وما أصعب أن نخدم الشعوب ، بالحكمة والتضحية والمعرفة وشجاعة القرار .

مصر .. اختارت الطريق الاصعب .

وقيادة مصر .. مؤيدة أروع التأييد من شعب مصر .. اقتحمت هذا الطريق الاصعب .. بالقرار الاصعب .

●●●

ومن لايزال فى شك ، من حقائق معجزة السلام ، عليه أن يقرأ اعترافات كسينجر ، قيصر ، البيت الابيض .. وعليه ان يكتشف بكل السهولة واليسر .. حقائق الدور الجبار .. الذى قادته زعامة مصر .. لتضع الامة العربية كلها ، على الطريق الصحيح .. نحو الحرية والبناء .

موسى صبرى

مهمة يارنج تمثيلية لإضاعة الوقت

● كان من اكبر اخطـــائى الطائشة فى الحكم على الاشخاص والاحداث اننى تصورت ان أنور الســـادات لن يبقى فى الحكم اكثر من بضعة اسابيع ..

● لم أكن اتصور ان السادات سوف يبرز كواحد من اعظم زعماء العالم فى عصرنا ..

● مهمة يارنج كانت تمثيلية لاضاعة الوقت ..

● مصر اكدت فى مباحثات يارنج انه لا سلام بغير الانسحاب الكامل ..

● نيكسون وضع مشروع روجرز على الرف ..

● الفصل الاول ●

مهمة يارنج تمثيلية لاضاعة الوقت

قال كسينجر فى كتابه « سنوات البيت الابيض » :

كانت نهاية عام ١٩٧٠ نقطة تحول فى الشرق الاوسط ولم نكن ندرك ذلك وقتها .

كانت الازمة فى الاردن والتوتر على طول قنـــاة السويس بمثابة مراحل فى تطور التفكير العربى . أتجه هذا التفكير الى أن مفتاح التســوية فى الشرق الاوسط يوجد فى واشنطن .. لا فى موســـكو . ولكن .. ربما كان الحدث الحـــاسم ــ من بين جميع الاحداث ــ هو وفاة جمال عبد الناصر وتولى أنور السادات الحكم .

كانت معرفتنا بأنور الســادات محدودة للغاية . انه ينتمى الى المجموعة الاصلية من ضباط الجيش الذين أطاحـوا بالملك فاروق فى عام ١٩٥٢ ولكن الخبراء عندنا لم يدركوا على مر السـنوات أنه شخصية رئيسية .

وفى البداية لم يكن لدينا وضوح حتى فيما يتعلق بامكانية أن يصبح رئيسا لمصر بحكم حقه الدستورى

ان أى شخص يتولى الحكم بعد وفاة شخصية ضخمة مثل عبـد الناصر يمكن أن يواجه وقتا عصيبا لكى يملأ المكان الشاغر .

وبالاضافة الى ذلك .. فانه في حالة السادات .. أساء العالم الخارجي الحكم عليه بسبب تفضيله اللغة المصرية الدارجة في خطبه وأصله القروى وأيضا بسبب دوره غير المعروف في السياسات المصرية خلال عهد عبد الناصر

بضعة اسابيع

مات عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ عندما كنت مع الرئيس نيكسون في رحلته في البحر المتوسط

وبعدها بيوم واحد .. سألني أحد الصحفيين عن السادات وقلت أنه شخصية مرحلية وانه لن يبقى في الحكم أكثر من بضعة أسابيع .

كان هذا أحد أفدح اخطائي الطائشة في الحكم على الاشخاص أو الاحداث .

ففي خلال عام ١٩٧١ تفوق السادات تدريجيا في مواجهة مناورات خصومه . وفي شهر مايو انتهى من التخلص بصورة مذهلة من مجموعة قوية من المنافسين الموالين للسوفيت الذين كانوا يتآمرون للقضاء عليه .

وبصورة تدريجية ،قام بتوطيد دعائم مركزه في الداخل وتثبيت حريته في العمل على النطاق الدولي .

قلائل هم الذين أدركوا — لم أكن انا بين هؤلاء القلائل بكل تأكيد — انه سيدفع بلاده ومنطقته فيما بعد .. بهذا القدر من الشجاعة والرؤية البعيدة والتصميم نحو ثورة فيالشئون الدولية ومن ثم يبرز كواحد من أعظم القادة في عصرنا .

● **جمود السياسة الامريكية**

ثم قال كسينجر :

.. السياسات المستقرة لدىحكومتنا تميل لان تبدو غير قابلة للتغيير وأحيانا ما تكون ذات مناعة،أو حصانة ضد التغيير .

ويكفي للتدليل على ذلك ان تغيير القيادة في مصر لم يؤثر فيما يبدو علىرغبة وزارة الخارجية الامريكية فيدفع المبادرة الدبلوماسية التي سبق لها أن طرحتها . وكانت جهود وزارة الخارجية قد وصلت الى طريق مسدود في عام ١٩٦٩ ، ثم جرى احياء هذه الجهود في شهر يونيو عام ١٩٧٠ باقتراح تقدمت به الولايات

المتحدة لوقف اطلاق النار على أساس تجميد الاوضاع القائمة على طول قناة السويس ثم انهارت المبادرة الامريكية مرة أخرى بسبب انتهاكات اتفاقية تجميد أوضاع القوات فى منطقة القناة وبسبب الازمة فى الاردن ·

وفى نهاية عام ١٩٧٠ تم التقاط المبادرة الامريكية مرة أخرى وانعاشها · كما لو لم يكن قد حدث أى شئ خلال الفترة بين انهيار هذه المبادرة واعادتها الى الحياة ·

لم ير البعض ان المواقف ربما تكون قد ازدادت تصلبا وانه لم يطرأ عنصر جديد · ولم يعتبر هؤلاء أن التصلب أو عدم توافر عنصر جديد يشكل أسبابا تكفى للامتناع عن الدبلوماسية المتحمسة التواقة الى عمل أى شئ ·

● خطاب نيكسون الى جولدا مائير

فى شهر ديسمبر عام ١٩٧٠ حث وليام روجرز وزير الخارجية الامريكى ·· الرئيس نيكسون على توجيه خطاب بتاريخ ١٣ ديسمبر الى جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل لكى يشيع الاطمئنان لديها مما شجع وزارة الخارجية فى نهاية شهر ديسمبر على أن تسعى لاقناع الاسرائيليين بالعودة الى المفاوضات التى كان يديرها الوسيط الدولى السويدى جونار يارنج · وكانت اسرائيل قد انسحبت من هذه المفاوضات فى شهر سبتمبر من تلك السنة بسبب انتهاكات مصر لوقف اطلاق النار على اساس الاوضاع القائمة (وهى المشكلة التى أطلق عليها فى ذلك الحين ·· مشكلة تحريك الصواريخ المصرية من مواقعها فى اتجاه أقرب الى مواقع خط القتال) ··

وقبل التأكد من موافقة اسرائيل على العودة الى المفاوضات · كان جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الامريكية قد أرسل تعليماته بالفعل – دون تصريح من البيت الابيض – التى تحث جونار يارنج على أن يجدد مهمته فى الوساطة على أساس مقترحاتنا التى قدمت فى عام ١٩٦٩ حول الحدود النهائية وشروط السلام (وهى التى أطلق عليها مشروع روجرز) ·

ولم يكن لدى جوزيف سيسكو أى مبرر يحمله على الاعتقاد بان الاطراف على وشك ان توفق بين مواقفها التى كانت حتى ذلك الوقت غير قابلة للتوفيق بينها · ولكن سيسكو قال لى فى أوائل

شهر يناير من العام التالى . اننا لن نخسر الكثير اذا قام يارنج بالمحاولة على الاقل .
ان الدبلوماسي يجب الا يقع في خطأ افساح المجال للخوارق والمعجزات .. لكي تتولى نيابة عنه تدبير الامور .

وكان لصفقة أسلحة أمريكية جديدة قدرها ٩٠ مليون دولار - وافق عليها نيكسون في أكتوبر - أثرها في تهدئة الاسرائيليين .. وتجاوبوا مع المبادرة الامريكية في أوائل عام ١٩٧١ عن طريق توجيه الدعوة لجونار يارنج لكي يبدأ مهمته بزيارة اسرائيل .

وعلى الفور . واجه يارنج نفس المشكلة التي أدت الى تجميد المفاوضات في العام السابق .
فقد أصرت اسرائيل على « السلام » وأصرت مصر على الانسحاب .

وسلم الاسرائيليون في ٨ يناير الى الوسيط السويدى ورقة تتضمن قائمة بما اسموه « العناصر الجوهرية للسلام » . ومن بين هذه العناصر انهاء حالة الحرب والارهاب والحصار الاقتصادي والمقاطعة وأقامة « علاقات حسن جوار وتعاون » . وفي مقابل ذلك أوضحت اسرائيل سعيها الى اقامة (حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها) مع تدابير أمن مناسبة .

وبعبارة اخرى .فان اسرائيل اقترحت الحصول على أرض مصرية كجزء من عملية السلام .
وباختصار .. فان الموقف الاسرائيلي لم يكن قد تغير في شيء على الاطلاق ..

● حيلة من يارنج

ونقل جونار يارنج الوثيقة الاسرائيلية الى المصريين في يوم ١٣ يناير . وردت القاهرة بعد أيام قلائل بوثيقة تؤكد من جديد على الموقف المصرى الذى يدعو الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل إلى حدود عام ١٩٦٧ كما يدعو اسرائيل الى الكف عن سياسة« التوسع الاقليمي » .

وفي مناورة يائسة للتوفيق بين الموقفين المتعارضين . لجأ جونار يارنج الى حيلة اجرائية اذ قام « بتخفيف لهجة » الورقة المصرية قبل ان ينقلها الى الاسرائيليين لسماع رأيهم . فقد حذف اللهجة

الهجومية التى وردت فى المقدمة والتى رفضت الورقة الاسرائيلية باعتبــارها ، لاتضيف عنصرا جديدا ، الى المـواقف الاسرائيلية السابقة . كان يارنج يحاول تهدئة الشـــكوك . وقد أسـفرت تكتيكاته عن النتيجة العكسية . اذ قامت كل من مصر واسرائيـل كجزء من حرب الدعاية التى تشنها احداهما ضد الاخرى بتسريب وثيقتها الى الصحف . ولم يساعد ذلك على ايجاد الثقة لدى اسرائيل بعد ان رأت فى الصـحف صـيغة للورقة المصرية مختلفة عن تلك التى تسلمتها رسميا من يارنج

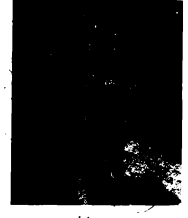
وكما توقعت . كانت نتيجة الجولة الاولى لمحادثات يارنج هى الوصول الى طريق مسدود . وقال لى جوزيف سيسكو فى ٢١ يناير . انه لم يكن يتوقع شيئا أكثر من ذلك . ومامور ذا سيسكو يوضح الان أن الهدف من بذل ذلك الجهد هو تجديد فترة وقف اطـلاق النار عندما تنتهى فى بداية شهر فبراير . وقد حقق الجهد هـذا الهدف ، ولكن لم يكد يمضى اسبوعان حتى قدم جونار يارنـج ، بتشجيع من وزارة الخارجية الامريكية ، أفكارا جوهرية - توصل اليها بنفسه - فى محاولة لكسر الجمود .

● مشروعات على الورق

كان السيناريو الذى نشاهده عبـارة عن نسخة طبق الاصل . مكررة لما حدث فى عام ١٩٦٩ . أى نشاط لمجرد النشاط وسط مواعيد نهائية تتحدد من تلقاء ذاتها ولا يمكن الوفاء بها الا عن طريق التغاضى عن خلافات لايمكن التوفيق بينها أو حلها . وبالتـالى . فقد أدى ذلك لان يصبح الانفجار محتوما ١٠٠٪ فأكثر . واستمر تخطيط مشروعات على الورق خلال شهر ينـاير ، فقد قدم يارنج اقتراحا جديدا للطرفين فى ٨ فبراير يطالب فيه اسرائيل بالانسحاب الى حدود عام ١٩٦٧ مع مصر ، على أن يرتبط ذلك بترتيبات أمن عملية ، ويطالب مصر بتوقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل .

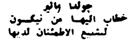
● ساعى بريد فقط

وغضب الاسرائيليون بشدة . وأعتبروا ان ورقة يارنج تستند على أساس مشروع روجرز لعام ١٩٦٩ (وكان ثمة ما يبرر موقفهم) الذى سبق لهم ان رفضوه فى حينه . كذلك رفض الاسرائيليـون أن تكون ليارنج سلطة تقديم أفكار من عنده . وقالوا ان مهمته هى



يارنج
قام بحيلة فاشلة
للتوفيق بين الأطراف





جولدا مائير
خطاب اليها من نيكسون
لتشجيع الاطمئنان لديها

القيام بدور ساعى البريد وأن دوره يجب ان يقتصر على توجيه الاسئلة .

ولم تكن ورقة يارنج بالنسبة لاسرائيل مثار اعتراض في جوهرها .. فقط بل ان مجرد تقديمها كان يعنى فى اذهان الاسرائيليين ان المبادات ليس فى حاجة لان يرد على الموقف الاسرائيلى الذى كان يتركز على ترتيبات السلام ، فقط دون الانسحاب .

● البيت الابيض .. لا يوافق

كانت تجرى ممارسة كل هذا النشاط الدبلوماسى دون أى تنسيق حقيقى مع البيت الابيض . وعلى سبيل المثال . فقد قدم يارنج ورقته الى الطرفين فى نفس اليوم الذى عقدت فيه اجتماعا ، للمجموعة العليا لاستعراض المواقف ، وذلك لبحث الاستراتيجية فى المرحلة القادمة . كذلك جرى تبادل سلسلة من الرسائل الهامة فى شهر مايو بين روجرز ومحمود رياض وزير خارجية مصر .. لم يطلع البيت الابيض على هذه الرسائل الا بعد حدوث الواقعة . وقد بذل هارولد سوندرز الخبير المقتدر فى مكتبى جهده لاكتشاف هذه الواقعة (تبادل الرسائل ومحتواها) .

وقد تضمنت هذه الرسائل تأكيد روجرز لمحمود رياض بأن الولايات المتحدة ستبذل ، جهدا بكل طاقاتها ، لضمان التوصل

الى تسوية فى عام ١٩٧١ وهو الجهد الذى لم يكن البيت يسانده على الاطلاق على أساس مشروع روجرز ٠

واذا كان الاسرائيليون قد غضبوا بسبب مضمون عروض يارنج ، فان المصريين سوف يعرفون حقيقة الموقف الامريكى عندما تلقى المقترحات التى قمنا بتشجيع يارنج على تقديمها مساندة تافهة من جانب الولايات المتحدة٠ واصبح الجانبان يشعران الآن بالغضب تجاهنا ٠ فالمازق الذى وصلت اليه مفاوضات عام ١٩٦٩ تكرر مرة أخرى ٠ وفى أواخر شهر فبراير ٠ انهارت العمليات الاستكشافية التى يقوم بها يارنج بسبب رفض اسرائيل قبول مبدأ العودة الى حدود عام ١٩٦٧ فى جميع الارض العربية المحتلة وأصرار مصر على هذا المبدأ

ومع ذلك ، فقد أحرز يارنج تقدما ٠٠ بموافقة مصر على فكرة اتفاقية سلام وليس مجرد اعلان بانهاء الحرب وذلك فى حالة عودة اسرائيل الى حدود عام ١٩٦٧ ٠ ولكن ٠ لما كان هذا الموقف قد قوبل بالرفض بعناد ٠٠ فان مهمة يارنج قد انتهت فى حقيقة الامر ٠

● راى نيكسون

كان هناك بعض الميل داخل الحكومة الامريكية الى فرض مشروع روجرز على الاسرائيليين ٠ ولكن الرئيس نيكسون لم تكن لديه الرغبة فى ذلك فى خضم أزمة لاوس ٠ كما ان هذه الخطوة لم يكن لها معنى من الناحية الاستراتيجية ٠ وطالما اننا كنا نعتبر أن مصر كانت قاعدة عسكرية سوفيتية فى واقع الامر ٠ لم يكن لدينا الحافز لان نتصدى لمواجهة حليف (اسرائيل) لمصلحة مصر ٠

كان هذا هو سبب معارضتى الدائمة لحلول شاملة يمكن أن يرفضها كل من الجانبين ولا يمكن ان تخدم سوى الاهداف السوفيتية سواء فى حالة ظهور عجزنا أو فى حالة تحولنا الى واجهة معروضات لكل ما يمكن انتزاعه تحت ضغط موسكو ٠

● هدفى تجميد الموقف

كان هدفى هو تجميد الموقف لحين قيام موسكو بالمطالبة بحل وسط أو لحين (وهذا أفضل) أن يقرر نظام حكم عربى معتدل ان الطريق الى التقدم يكون من خلال واشنطن ٠
وفى الحقيقة ٠٠ اننا لو كنا نرهف السمع بصورة أكبر لدقائق

دبلوماسية الشرق الاوسط · لاستطعنا ان نتبين الاشارات الاولى لتغيرات أساسية في الموقف المصرى · فقد طرح السـادات فى خطاب أمام البرلمان المصرى يوم ٤ فبراير – وافق فيه على مد فترة وقف اطلاق النار – فكرة اتفـاقية مرحلية أو مؤقتة وانسحاب جزئى اسرائيلى من قناة السويس يتيح اعادة فتح القنـاة وذلك « كمرحلة أولى من جدول زمنى يتم وضعه فيما بعد لتنفيذ البنود الاخرى من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ » · وكما سبقت الاشارة فان رد مصر على يارنج بتاريخ ١٥ فبـراير تضـمن ، لاول مرة ، الرغبة فى توقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل وهى مشروطة بطبيعة الحال بالانسحاب الاسرائيلى – من الارض العـربية المحتلة – الى حدود ١٩٦٧ · الامر الذى لم تقبله اسرائيل ·

واعتبر السادات ان هذه الخطوات التى حدثت فى فبراير عام ١٩٧١ هى البداية لرحلته الطويلة الشاقة الفريدة نحو السلام · واصبح اقتراحه بحث موضوع ابرام اتفاقية مرحلية حول قنـاة السويس بؤرة النشاط الدبلوماسى فى عام ١٩٧١ وصورة للفكرة التى انعكست فى النهاية فى اتفاقية فصل القوات فى يناير عام ١٩٧٤ وهى الاتفاقية التى استهلت عملية السلام بعد حرب١٩٧٣ ، وستصبح رغبته فى ابرام اتفاقية سلام مع اسرائيل حقيقة واقعة مثيرة بعد ثمانى سنوات ·

تعليق موسى صبري
على الفصل الثاني

نعم .. ولا .. يا كسينجر

اعتقد أن قراء الصحف لاحظوا هذه الايام ظهور اسم المحامية الامريكية « ريتا هاورز » في كثير من البرقيات التي تتناول الانتخابات الامريكية . انها عضو هام في الحزب الجمهوري . وتقيم في نيويورك وهي يهودية من دعاة السياسة الاسرائيلية . وكانت صديقة حميمة لجولدا مائير . وقد رددت البرقيات اخيرا أنها استقالت من لجنة ترشيح « كونلل » بعد ان أعلن وثيقته المشهورة عن برنامجه بالنسبة للسلام لو اصبح رئيسا لامريكا .

قالت لي « ريتا هاورز » منذ أربعة أعوام .. بعد أن قدمني اليها الدكتور عصمت عبد المجيد سفيرنا لدى الامم المتحدة . وكانا طرفي ندوة سياسية دعت اليها مؤسسة امريكية شعبية للشئون الخارجية .. قالت « ريتا هاورز » .. انني صديقة حميمة لهنري كسينجر .. وكثيرا ما يطلبني بالتليفون في ساعة متأخرة من الليل لكي يشكو لي همومه السياسية وما يعانيه في البيت الابيض .. ولكن يجب أن أقول للحقيقة والتاريخ أن الرئيس نيكسون هو الصانع الحقيقي للسياسة الخارجية الامريكية .. وأنه أجاد اختيار هنري كمستشار ومنفذ . ولكن هنري بارع في جذب الاضواء اليه .

وأضيف من جانبى أن هنرى كسينجر يبلغ قمة البراعة فى مؤلفه « سنوات البيت الابيض » فى اختيار الفاظه وعباراته الدبلوماسية ، التى يحار قارئها ــ فى بعض المواقف ــ فى تحديد ما يقصده تماما ــ من حيث المعنى الذى يريد اخفـــاءه ، أو يريد ذكره بغير أن يلتزم بحرج أو حكم قاطع ٠٠ ولكن تعبيراته أولا وأخيرا . هى تعبيرات بالغة الدقة ٠٠ مع أن العادة فى مؤسسات النشر لكبار السياسيين، هى أن يخصص محررون ممتازون من أصحاب الاقلام ، لاعادة كتابة ما يسجله السياسى ٠٠ ولــكن الــكلمة الاخيرة هى للمؤلف ٠٠ وبالذات اذا كان هنرى كسينجر ٠



أقول هذا تعليقا على بعض ما ورد فى جانب من المذكرات فى هذا الفصل ٠٠ فان هنرى كسينجر يسـجل حقيقة وهى أن الرئيس ديجول أعلن تأييده للموقف العربى بعد حرب ٦٧ ٠ ولكن كسينجر لا يذكر أن ديجول أعلن ذلك ، التزاما بكلمته قبل الحرب ، بأن فرنسا لن تؤيد البادىء بالضربة الاولى ٠ وقد ثبت أن اسرائيل هى التى بدأت الضربة الاولى وكسينجر ــ فى هذا ــ يتحاشى تماما أن يلصق باسرائيل اتهام الضربة الاولى ٠٠ أنه يدافع بأسلوب ملتو عن اضطرار اسرائيل للضربة الاولى !

●●●

ويتحدث كسينجر فى هذا الجانب من مذكراته عن موقف الرئيس الامريكى الاسبق جونسون ٠٠ ويكشف أن جونســون كان يقدم للعرب بعد حرب ٦٧ كلمات جوفاء لا معنى لها عن الجهود الامريكية من أجل السلام ٠٠ وأن جونسون تجنب أى كلام محدد فى مناقشته لجوانب الازمة ٠

ولكن كسينجر لا يذكر أن جونسون كان متآمرا ضد مصر ، فى موضوع « الضربة الاولى » ٠٠ وأن الســـفير الامريكى أيقظ جمال عبد الناصر فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل لكى يحذره من الضربة الاولى ٠٠ وكذلك فعل السفير السوفيتى ٠٠ وهذا هو الذى أتاح لاسرائيل الضربة الاولى ٠٠ مع أن كسينجر يسجل فى هـــذه المذكرات أن جمال عبد الناصر لم يكن يتصور أن الامر سوف ينتهى الى صدام عسكرى ٠ ولم يذكر كسينجر أيضا أن اتصالات جرت بين القاهرة والبيت الابيض ، وأنه اتفق على أرسال مبعوث مصرى الى

واشنطن للقاء جونسون ، وكان هذا المبعوث هو زكريا محيي الدين وأعلن ذلك رسميا .. وقبل الموعد المحـــدد لسفـــره رسميا من الجانبين بيومين .. بدأ العدوان الاسرائيلي .. الذى كان يعـــلم جونسون مقدما بموعده .

وفي هذا يقول انور السادات :

« بعد هزيمتنا في يونيو ١٩٦٧ ووضوح دور جونسون رئيس أمريكا في ذلك الوقت في خداعنا لحساب اسرائيل ، عندما اتفق مع عبد الناصر بعد اغلاق خليج العقبـــة في مايو ١٩٦٧ في وجه الملاحة الاسرائيلية على أن يرســــل نائبه همفرى الى القاهرة ، أو يرسل عبد الناصر احد نوابه الى واشنطن . وبادر عبدالناصرباخطار جونسون أنه سيرسل له أحد نوابه الى واشـــنطن لحل مشكلة مضايق العقبة . وكانت المشكلة قد شدت انتباه العالم كله ، وكل يوم تتطور الى الاسوأ ، واتفق رسميا بين عبد الناصر وجونسون أن يتوجه أحد نواب الرئيس عبد الناصر لمقـــابلة جونسون يوم الاربعـــاء ٧ يونيو ١٩٦٧ في واشنطن . وفي نفس الوقت كان جونسون يستحث الاسرائيليين على المبادرة بالهجوم على سيناء . بعد أن قدم لهم صور القمر الصناعي الامريكي واوضاع القوات المصرية في سيناء ، ساعة بساعة . بل وطلب من الاسرائيليين سرعة بدء الهجوم قبل وصول نائب رئيس الجمهورية المصرى الى واشنطون في ٧ يونيو ١٩٦٧ ، وخاصـــة عندما عرض الاسرائيليون خطتهم عليه في مكتبه بالبيت الابيض بحضور رئيس «C.i.A» واحد القادة الكبار من البنتاجون » .

ثم يقول السادات :

« وقد نفذت اسرائيل فعلا كلام جونسون ، وهجمت يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ اى قبل وصول نائب الرئيس المصرى بيومين . وطبعا لم تتم هذه الزيارة » .

ولم يكتف جونسون بهذه الخديعة لحساب اسرائيل . بل انه استخدم أيضا الخط الساخن مع القادة السوفيت . وأكد لهم أن اسرائيل لن تبـــدأ بالهجوم ، وان عليهم أن يخطروا عبد الناصر بذلك ، وقد استجاب السوفيت لهذه الخديعة أو اشتركوا فيها . ـ لا استطيع أن اجزم ـ ولكن ماحدث هو ان بادر السوفيت عقب

اتصال جونسون بهم ، الى الاتصـــال بعبد الناصر ، وأيقظوه فى الفجر ، ليبلغوه على لسان سفيرهم فى القاهرة رسالة جونسون ، وتاكيدهم وتأييدهم لها » .

●●●

تجاوز كسينجر كل ذلك ، وأعطى لاسرائيل تبرير الضربة الاولى فى عام ١٩٦٧ ، وان كنـــا نتفق مع كسينجر فى قصــــة الزعم السوفيتي بحشد قوات اسرائيلية لمهاجمة ســـوريا .. فقد حدث عندما ذهب الفريق محمد فوزى الى سوريا لاستطلاع الامر ، أن أكد له العسكريون السوريون أنه لا يوجد أى حشد اسرائيلى .. ولسنا نعلم حتى الآن اذا كانت هذه احدى مراوغات البعث السورى .. أو انها كانت حقيقة .. ولكن مؤرخا واحدا لا يستطيع ان يستجمع كل وقائع الاحداث وان كان عبـــد الناصر قد أعلن فى اجتمـــاع للملوك والرؤساء العرب الذى دعا اليه فى القاهرة قبيل وفاته .. أن مصر دخلت حرب ٦٧ بسبب سوريا ومن أجلها .

●●●

وقد تحدث كسينجر فى هــــذا الفصل الذى نعلق عليـــه عن المساعدات العسكرية السوفيتية .. وتزايد الوجود السوفيتى .. ووجه اللوم الى الادارة الامريكية التى سحبت عرض السد العالى ، ولكن كسينجر لم يسجل أن السياسة الامريكية تجاه عدم تسليح مصر هى التى أدت الى هذا الموقف .. ولم يسجل أن جمال عبد الناصر بدأ ثورة ٢٣ يوليو بعـــلاقات طيبة مع الولايات المتحدة الامريكية .. ولكننا تعرضنا بعد ذلك لضربة عسكرية اسرائيليـــة .. ووعدت أمريكا بامدادنا بالســـلاح .. وذهبت بعثة مصرية عسكرية الى واشنطن للاتفاق على الاســـلحة ونوعها وكميتها .. وعادت البعثة المصرية من غير أن تحصل حتى على بندقية أو رصاصة واحدة .

●●●

ولكننا نتفق مع كسينجر فى أن الانذار السوفيتى الذى وجهه بولجانين رئيس الاتحاد السوفيتى بعد العدوان الثلاثى على مصر فى ١٩٥٦ كان عملية تمثيلية خادعة .. بعد أن اطمأن الاتحاد السوفيتى الى أن التدخل الامريكى حسم الموقف . لقد قال كسينجر فى ذلك « لقد تصرف السوفيت بجرأة متزايدة . ففى عام ١٩٥٦ تطفلوا

بصورة هامشية على دبلوماسية أزمة السويس ووجهوا تهديدات غامضة بالتدخل العسكرى ، بعد أن أدى الضغط الذى مارسناه على بريطانيا وفرنسا الى جعل هذه التهديدات السوفيتية لا تعنى أية مخاطرة » .

ونحن نضيف من جانبنا الى ما جاء فى هذه المذكرات . قصة عن هذا « الانذار » السوفيتى :

عندما بدأ العـــدوان الثلاثى على مصر .. طار شكرى القوتلى السورى حينئذ الى موسكو ، والتقى بزعماء الاتحاد الســـوفيتى : بولجانين رئيس الاتحاد السوفيتى ، وخرشوف سكرتير عام الحزب الشيوعى ، والمارشال زوكوف وزير الدفاع السوفيتى .. واجتمع بهم وقتا طويلا . وطلب منهم مســـاعدة مصر عسكريا . فكان رد الزعامة السوفيتية « انصح عبد الناصر أن يبحث عن حل سياسى ، لان الاتحاد السوفيتى لن يدخل حربا يحدد الغرب زمانها ومكانها . قل لعبد الناصر أن يحاول الاتفاق مع انجلترا » .

وطلب منهم شكرى القوتلى المساعدة السياسية المعنوية .. ولو باصدار بيان .. فكان جوابهم هو الرفض أيضا .

وأسرع شكرى القوتلى وابرق بكل ذلك الى جمال عبد الناصر . وقد احتفظ جمال عبد الناصر بهذه البرقية فى جيبه . ولم يطلع عليها الا عددا قليلا جدا من أعضاء مجلس الثورة . بل قيل أنه لم يطلع عليها أحدا ، حتى لا تهبط المعنويات ، وحتى تحتفظ قيادة الثورة بارادة الصمود .

ولما اطمأن الاتحاد السوفيتى الى أن الموقف قد حسم .. أعلنوا انذارهم المشهور .. الذى يتفاخرون حتى اليوم بأنه هو الذى حسم الموقف .

وفى عام ١٩٥٩ ثارت خلافات بين مصر والاتحاد السوفيتى .
ووجه خروشوف اهانات الى مصر .. وكان جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت فى دمشق .. وأعلن فى احدى خطبه تحذيرا للاتحاد السوفيتى بقوله : (اننى لا أريد أن أكشف الآن سر البرقية التى تلقيتها من موسكو خلال المعركة) .

وفى خطاب آخر لعبد الناصر فى بورسعيد .. أشار الى ذلك أيضا .

وقد تهرب كسينجر فى مذكراته من الحكم الصريح على العدوان

الثلاثي واستخدم عبارة (وبصرف النظر عن وجهة النظر بشأن حكمة العمل العسكرى البريطانى والفرنسى .. فقـــد كنت مقتنعا باننا سندفع ثمنا فادحا فى السنوات القادمة ..) .. الى آخره .

●●●

بقيت ملاحظة عميقة نقر عليها هنرى كسينجر كل الاقرار ، وهى الايمان بأن السلام الدائم يعتمـــد أولا وقبل كل شىء على تسوية المشكلات من جذورها . وعلى وضع استراتيجية واضحة الاهداف وعلى الثقة وتحطيم جدار الشكوك والكراهية والاحقاد .. لان معظم الحروب التى وقعت فى التاريخ كانت بين دول استهلت العلاقات فيما بينها بالسلام .. وانه لجنون خاص بالشرق الاوسط .

ان حروبه قد اشتعلت بين دول كانت بالفعل فى حالة حرب من الناحية التكتيكية .

وهذه هى الاستراتيجية الجديدة التى خلقها أنور السادات .. والتى غيرت وجه التاريخ فى المنطقة العربية .. أن الاتفاقات تحدد شروط تنفيذ السلام .. ولكن السلام الدائم الشامل لا يتحقق الا بتحطيم كل جدر الكراهية والاحقاد والدماء والشـــكوك .. ولكن كسينجر لم يفعل ذلك بكل أسف عندما كان صاحب حظوة ونفوذ فى البيت الابيض . لقد كان كل فكره منصبا على تعطيل أى خطوة نحو السلام .. مع أمداد اسرائيل المستمر بالسلاح .. مما ضاعف من فجوات الاحقاد .. واكد لمصر أنه لاسبيل الا القتال .. وحماية شرف الارض بالدم والارواح .

●●●

وتؤيد فلسفة كسينجر أيضا فى مذكراته . أن أنور السادات كان محقا عندما رفض كل عروض السلام التفاوضـــية قبل حرب أكتوبر .. لانها كما سجل أنور السادات، كانت ستكون مفاوضات استسلام .. لا سلام . ونحن فى موقف المهزومين على مائدة واحدة مع المنتصرين . ولذلك كانت حرب أكتوبر من أجـــل السلام .. ولذلك كانت مبادرة السلام من موقع القوة .. ولذلك انتصر شعار فلتكن حرب أكتوبر هى آخر الحروب الذى أعلنه السادات بشجاعة تاريخية .

ان كسينجر يظهر دهشته فى مذكراته من أن عبد الناصر كان يطالب أمريكا بالانسحاب الاسرائيل غير المشروط من جميع الاراضى المحتلة .

مع أن التاريخ لا يذكر سابقة واحدة لتسوية سلمية ترتكز على انسحاب غير مشروط للمنتصر من الارض التي احتلتها » .

وهكذا كان ينظر الينا العالم حينئذ .

اننا في موقف الهزيمة .. وأرضنا محتلة . ونردد فقط شعارات الانسحاب الـكامل . ونرفض التفاوض مع اسرائيـــل . وكانت اسرائيل تستثمر هذا الموقف ضدنا دعائيا .

ولكن هذه الحرب النفسية لم تؤثر في قرار انور السادات .. رفض التفاوض والعروض من موقف الهزيمة . ثم كان الاصرار على السلام ومصر في قمة انتصار حرب أكتوبر .

ان هذا الفصل من مذكرات كسينجر ، يستأهل كثيرا من الجدل والمناقشة في كثير من الاحداث التي سجلها . ولكنها في عمومها تسـجيل تاريخي فلسفي للاستراتيجية الامريكية .. يعترف فيها بأمانة أنه لم يكن يعرف الا القليل عن الشرق الاوسط عندما تسلم عمله الرســـمي . ثم غاص في المســئولية حتى آذانه . وحتى « أستغرق في غوامض وانفعالات واحباطات تلك المنطقة التي تفيض بالملاحم .. والتي تبعث على الجنون والانتعاش » !!

●●●

ولكن اذا كان كســينجر يعترف بانه لم يكن يعرف الا القليل عن الشرق الاوسط .. فلابد أنه عـرف بعد ذلك كيف نشـأت اسرائيل . ان سطوره عن نشأة اسرائيـــل تتجاهل تماما طرد الشعب الفلسطيني من أرضه .. وكأن هذه القضية غير واردة على الاطلاق . كما أنه يتجاهل أعمال العصابات الصهيونية الارهابية، ومذابحها البشعة .. كل ذلك نسيه كسينجر وهو يلخص لقارئه قصة نشوء أزمة الشرق الاوسط .. ولكنــه تذكر فقط أن ميثاق منظمة التحرير يهدف الى ازالة دولة اسرائيل !

●●●

أن هذا الفصل من مذكرات كسينجر يكشف الاتصالات السرية التي جرت بعد هزيمـــة ٦٧ بين الاردن واسرائيل . وهو يكشف أيضا أن الاردن وافق على قرار ٢٤٢ على أساس وعد من جولدبرج سفير أمريكا لدى الامم المتحدة ، باعادة الضفة الغربيـة للاردن ، والسعي الامريكي لكي يكون للاردن دور في القـدس .. ولعل هذا يفسر موقف الاردن الآن .. من اتفــاق كامب دافيد الذي يضع الاطار للحكم الذاتي الفلسطيني على أرض الضفة الغربية وغزة

.. وهى أرض فلسطينية كما قال أنور السادات لبيجين فى أول اجتماع عقد فى كامب دافيد مع الرئيس الامريكى كارتر .

فلم يعد سرا أن السادات قال لبيجين : أنت لا تستطيع أن تزعم أى حق لاسرائيل على أرض الضفة الغربية او غزة .. لانها أرض فلسطينية . ولا يستطيع الملك حسين أن يزعم أى حق للاردن على ارض الضفة الغربية .. لانها ارض فلسطينية .. وصاحب الحق الاول والاخير على الارض فى الضفة الغربية وغزة .. هو الشعب الفلسطينى .

●●●

وبعد .. فاذا كان كسينجر قد تعمد أن يسجل أن جمال عبد الناصر قد اضطر الى أن يسحب اتهامه لامريكا بالاشـــتراك في حرب ٦٧ .. فان المتابع لكل سطور كسينجر بعد ذلك عن ازمة الشرق الاوسط .. يصل الى اليقين الكامل ، بأن اسرائيل كانت تعتمد فى كل مواقفها على التأييد الامريكى الكامل عسكريا وسياسيا واقتصاديا .. وقد أسهم كسينجر فى هذا التأييد بباع كبير .. فليس اتهام عبد الناصر لامريكا ، بالاشتراك فى حرب ٦٧ .. ثم تراجعه عن هذا الاتهام .. هو الامر الاساسى فى مناقشة قضية الحرب . لان اسرائيل لم تكن قادرة على الضربة الاولى . الا بالتأييد الامريكى الكامل . ولكن عبد الناصر كان يريد فعلا أن يجد سبيلا للتفاهم مع أمريكا فاحتجت واشنطن بأنها لا تتفاهم مع من اتهمها بالاشتراك فى الحرب .. فسحب عبد الناصر هذا الاتهام .. ومع ذلك فان كل محاولات مصر لم تجد فى تحييد الانحياز الامريكى الكامل لاسرائيل .

وهذه هى حقائق التاريخ .. التى استطاع انور السادات أن يغيرها فعلا .. وأن يغزو ـ اذا صح هذا التعبير ـ الرأى العام الامريكى الذى كان لايعرف الا دعاوى اسرائيل .. ولا يؤمن الا بكل ما تروجه الدعاية الصهيونية .. بأن اسرائيل تريد السلام .. ولكنها محاطة بوحوش يريدون القاءها فى البحر ..

ولم يكن هذا التغيير بالامر السهل .. وقد كان كسينجر أول المعوقين لكل سبيل للسلام قبل حرب اكتوبر . واذا كان يقول فى هذا الفصل ان دور القوى الكبرى فى الازمة ،كان أكثر تعقيدا من دور أطراف الازمة .. فان المقبل من فصـــول هذه المذكرات يكشف الكثير عن الاعيب هذه القوى العظمى .. التى عقدت الازمه .. وأرادت أن تتحكم فيها لصالحها .. وصالحها فقط .

كنت جاهلاً بمشكلة الشرق الأوسط

● جونسون يراوغ ويقرر استخدام عبارات غامضة عن قضية الشرق الاوسط ..

● اتصالات سرية ومباشرة بين الاردن واسرائيل بعد ١٩٦٧ ..

● بدأت عمل في البيت الابيض جاهلا بمشـــكلة الشرق الاوسط .. ومع نهاية عمل عرفت أنها منطقة الملاحم والانفعالات .. وانها تبعث على الجنون

● عبد الناصر يعـرض على امريكا اعادة العلاقات الدبلوماسية مقابل الضغط على اسرائيل .. وامريكا وامريكا ترفض

● جـــاء الانذار السوفيتي في عام ١٩٥٦ بعد ان اطمانت موسكو الى ان امريكا حسمت الموقف ..

● الفصل الثاني ●

كنت جاهلاً بمشكلة الشرق الأوسط

قال كسينجر

عندما تسلمت عمل الرسمي . كنت اعرف القليل عن الشرق الاوسط .. لم أكن قد زرت أية دولة عربية في حياتي . ولم أكن معتادا على طقوس مفاوضات الشرق الاوسط . وكانت أول مرة اسمع فيها أحدى الصيغ المستقرة لدبلوماسية المنطقة في حفل عشاء في السفارة البريطانية في فبراير عام ١٩٦٩ . فقد أثار أحد الحاضرين موضوع اللغة التى تماثل لغة الاسرار المقدسة والتى صيغ بها القراررقم ٢٥٢ الصادر عن مجلس الامن .. انه القرار الذى يتمتم ويغمغم بكلمات عن الحاجة الى سلام عادل ودائم داخل حدود آمنة ومعترف بها . كان ظنى أن هذه العبارة تافهة الى الحد الذى جعلنى أتهم المتحدث بأنه يتلاعب بى . كانت غلطة من جانبى لم أكررها .

مع نهاية فترة عمل فى منصبى أصبحت مثل جميع الآخرين المخضرمين فى شئون الشرق الاوسط .

وأصبحت الكلمة حقيقة واقعة . وامتزج الشكل مع الجوهر . لقد استغرقت فى غوامض وانفعالات واحباطات تلك المنطقة التى تفيض بالملاحم .. تلك المنطقة التي تبعث على الجنون والانتعاش !. واذا وجد القارىء أن الدبلوماسية كما يتعرض لها هذا الكتاب

عبارة عن مستنقع مؤلم من المناورة والفوضى فانه سيعرف كيف كان شعورى .

● ٣ زيارات سريعة

ان معرفتى الشخصية بالمنطقة قبل عام ١٩٦٩ كانت مقصورة على ثلاث زيارات خاصة سريعة لاسرائيل خلال الستينات . ومازالت حية فى ذاكرتى بنوع خاص تلك الزيارة التى قمت بها لمستعمرة جينو سار .. موطن ايجال يادين الذى كان طالبا فى ندوتى عن الشئون الدولية بجامعة هارفارد فى عام ١٩٥٧ ثم أصبح فيما بعد زميلا يتولى منصب نائب رئيس حكومة ووزير خارجية اسرائيل . وتقع مستعمرته على ضفاف بحر الجليل . وكل بوصة مربعة من تربتها المزروعة بكثافة قد انتزعت بالايمان والمعاناة من الظروف المعادية سواء الظروف الجغرافية أو الحرب . وعلى الضفة الاخرى من البحر ..أتذكر أننى رأيت زورق صيد يقف وحيدا عند أطراف منحدرات مرتفعات الجولان .. على مدى قصير من البنادق السورية.

عاجلا أو آجلا يجب أن تجرى مصالحة بين الرجال والنساء الذين يوجدون على قمة هذه المنحدرات .. فالسلام فى الشرق الاوسط ليس فقط ضرورة مادية بل هو أيضا انجاز لمتطلبات روحية ولم يكن يخطر على بالى فى وقت من الاوقات أننى سأنضم فى يوم ما الى النضال من أجل هذا السلام ..

● فيضان من الكلمات

ولم أكن أيضا أدرك تماما حجم ذلك الفيضان من الكلمات الذى يستخدم لتبرير المطالب المتعددة ..وكيف أن هذه الكلمات كانت تزيد المواقف الاساسية غموضا بدلا من أن تزيدها وضوحا . تلك المنطقة القاحلة من الصحراوات والجبال المقفرة التى انبثقت منهـا ديانات العالم الكبرى .. يوجد ميل عميق الى المغالاة والتضخيم .. ويساعد على ذلك أن الجغرافيا لم تضع حدودا للخيـــال البشرى . والانسان الذى يكرس نفسه لخدمة مثل أعلى هو وحده الذى يستطيع أن يبقى على قيد الحياة فى ظل تضاريس وطقس من هذا النوع .. كل منهما يناصبه العداء . والعزاء الرئيسى للانسان فىهذه الظروف ليس الطبيعة بل الايمان والعلاقة الانسانية ..

ولا يمكن أن توجد فى مكان آخر مثل هذه المجموعة من الزعمـاء الذين تتميز ســـمات شخصياتهم بخطوط حادة . ولا تلعب فى أى

مكان آخر معتقدات الساسة كأفراد مثل هـذا الدور الحيـوى ٠٠ الانسان هنا يتوحد مع أنصاره بالايمان وتلعب الكلمة دورا حاسما فى أغلب الاحيان ٠٠ وسواء فى حالة تأويل التلمود عندالاسرائيليين أو الميل العربى نحو الشعر الملحمى ٠٠ فان الذى يحدث ببسـاطة هو تجاوز ما يعتبره الغرب ذو النزعة العمليـة ٠٠ حقيقة تجريبية والانتقال الى مجال الرطانة الانفعالية وعالم الالهام البشرى ٠وويل للاجنبى المتهور الذى يأخذ هذا الفيض اللغوىالغزير بمعناه الحرفى ويسعى الى الاطراف المتعادية حول حقيقة ما تريده ٠

● ظلال الكهف

وحقيقة ما تريده أطراف نزاع الشرق الاوسط ٠٠ يكمن فىأعماق مزيج من المعتقدات وحالات الغضب والاحلام ٠٠ والمواقف الرسمية تشـبه الظـلال فى الكهف الذى تحدث عنـه الفيلسوف الاغريقى أفلاطون ٠٠ فهذه الظلال التى نراها هى انعكاسات لحقيقة مثاليـة متعالية أو سامية يكاد يكون من المستحيل الامساك بها خلال القيود الحرفية الجافة لعملية التفاوض ٠

وليس صحيحا أن النزاع دام آلاف السـنين كما يقال فى معظم الاحيان ٠ فهو الى حد كبير نتاج هذا القرن العشرين ٠ ومما لا شك فيه أن ظهور الحركة الصهيونية وحركة القومية العربيـة كان فى أواخر القرن الماضى ، ولكن كلا من الحركتين لم تكن موجهـة ضد الاخرى ٠ وقد بدأ الصراع بينهما فقط بعد سقوط الحكم العثمانى الذى دار قرونا (ليحل محله الانتداب البريطانى) وظهـور آفاق حق تقرير المصير لفلسطين ٠٠ هنا بدأت الحركتان صراعهما الرهيب حول المستقبل السياسى لهـذه الارض ٠ وأضـفى العصر الحديث ـ الذى خلق هذا النزاع الطائفى ـ كل امكانيـات الحقـد لديه على هذا الصراع ٠ وكانت المجـزرة التى أقامها النازيون سـببا اضافيا لظهور دافع معنوى ملح نحو السعى لاقامة دولة يهودية ولكن ما أن تأسست هذه الدولة وحصلت على تأييد المجتمع الدولى فى عام ١٩٤٨ حتى اضطرت للدفاع عن نفسها ضد الجيران العرب الذين لم يروا سببا يحدوهم الى ضرورة تقديم تضحيات للتكفير عن خطايا أوربية لا ذنب لهم فيها ٠

وأدى انتصار اسرائيل فى حرب ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ الى اشعال لهيب القومية العربية فىالوقت الذى وقعت فيه نظم الحكم التقليدية التى



ايجال ألون
تلميذ كيسنجر في هارفارد
ثم نائب رئيس وزراء اسرائيل



جونسون
براوغ ويستخدم
كلمات غير مفهومة

لحق بها عار الهزيمة تحت سيطرة أيديولوجيــة متطرفة ـ العروبة والاشتراكية ٠

ثم أصبحت المنطقة بؤرة لمنافسات الحرب الباردة ٠٠وكان عذان العاملان سببا فى تفاقم النزاع المحلى واثارة خطر انزلاق دول خارجية الى مواجهة كبرى ٠

● **نقطة البداية**

فى عام ١٩٦٩ كانت اسرائيل قد عاشت عشرين عاما دون اعتراف بها من جيرانها ، وفى ظل مضايقات من غارات الفدائيين ، وهجمات عليها فى المحافل الدولية ،وتحت ضغط مقاطعة اقتصادية عربية٠٠ ان وضعها الجغرافى ذاته يوضح النوعيــة الضعيفة لكيــانها كدولة لا يتجاوز عرضها تسعة أميال فقط عند أضيق نقطة بين ساحل البحر المتوسط والحدود الاردنية ٠٠والطريق الرئيسى الذى يقع بين القدس المقسمة وتل أبيب يبعد فى بعض الاماكن لمسافة تقل عن مائة ياردة عن المراكز العربية ٠٠ ومع وجود خصوم غير متسامحين على جميع جوانب حدودها ٠٠ أصبح من الصعب التمييز بين سياسة اسرائيل الخارجية وسياستها الدفاعية ٠ وكان هدفها الرئيسى والاقصى هو بالتحديد ما يمثل بالنســبة لمعظم الدول الاخرى نقطة البــداية فى سياستها الخارجية ٠٠ أى قبول جيرانها لحقها فى الوجود ٠

وبطبيعة الحال فقد اعتبرت اسرائيل أن الاراضى التى احتلتهــا فى عام ١٩٦٧ ضمان للامن الذى كانت تسعى اليه دون جدوى منذ

وجودها وسمحت اسرائيـل الى الحصـول على الارض والاعتراف على السواء ، وكرهت أن تعترف بأن كلا من الهدفين (الارض والاعتراف) يتعارض مع الآخر .

● العداوات .. تفاقمت

وكما يحدث فى جميع المآسى فان هذه الفجـوة التى تفصل بين الافكار ، حيث يقدم كل طرف من الاطراف احدى الحقائق ، جعلت النزاع العربى ـ الاسرائيلى يتسم بصعوبة مريرة . ذلك أنه عندما تتصادم الحقائق . يصبح الحل الوسط أولى الضحايا . ولا يمكن التوصل الى إتفاقيات الا من خلال عمليات تنطوى على تجنب للعقـد أو تهرب منها . وتتلاشى فرص التقـدم اذا اقترب الجانبـان من التفاصيل المحددة .

وأصبح ذلك واضحا بشكل متزايد عندما تولينا مهـام مناصبنا .. فقد كان الشرق الاوسط لا يزال يغوص فى الوحل فى أعقـاب حرب الايام الستة . وكانت المواقف قد تصلبت والدبلوماسية قد تجمدت والعداءات قد تفاقمت .

● تحذير كاذب

وفى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، تمددت اسرائيل عبر حدودها فى ذروة من سلسلة أحداث متعاقبة ضاعت فيها الاهداف العربيـة على مذبح اللغة الطنانة البلاغية العربية .

ففى شهر مايو عام ١٩٦٧ قام الاتحاد السوفيتى بتحذير مصر من هجوم اسرائيلى يوشك أن يقع على سوريا . وكان الزعم السوفيتى غير صحيح . وبصرف النظر عما اذا كان ذلك التحذير كاذبا عن قصد وتعمد بهـدف اثارة التوتر واحـراز مكسب رخيص أو كان ذلك التحذير ناتجا عن سوء فهم متجرد من الغرض .. فقد دفع الاحداث فى مسار مشئوم . أمر الرئيس جمـال عبد النـاصر بطريقة متهورة بأن يتحرك جيشه الى سيناء التى كانت من الناحية العملية منزوعة السلاح منذ عام ١٩٥٦ وأعلن اغلاق مضيق تيران الذى يتحكم فى طريق الوصول الى مينـاء ايلات الاسرائيلى من البحر الاحمر . وطلب من أوثانت السكرتير العـام للامم المتحدة سحب قوات الطـوارىء الدولية التى كانت تفصل بين القـوات الاسرائيلية والمصرية على طول الحدود الدولية

ومن المشكوك فيه أن عبد الناصر كان يسعى وراء صدام عسكرى بل يحتمل أن يكون قد أصيب بدهشة من السرعة التى استجاب بها أوثانت لطلبه · وربما لم يكن عبد الناصر يريد أن يفعل شيئا يتجاوز اطار اتخاذ موقف بطولى ·

● الضربة الأولى

وفى بعض الاحيان يفلت زمام الاحداث ·· تلك الاحداث التى تهزأ بنوايا الممثلين · وما أن حل الجيش المصرى محل قوات الامم المتحدة على حدود مصر حتى وجدت اسرائيل أنه لا مفر أمامها من تعبئة قواتها لأن أرض اسرائيل صغيرة المساحة الى الحد الذى لاتستطيع فيه أن تتحمل الضربة الاولى · وما أن تمت التعبئة فى اسرائيل حتى كان قرارها بالقتال لابد أن يتخذ خلال أسابيع · وذلك لأن اقتصادها لا يتحمل خسارة لا نهائية فى الطاقة البشرية التى امتصتها عمليــة التعبئة العسكرية ، ولم تكن لتستطيع تسريح قواتها بينما الجيش المصرى على حدودها ·

● دبلوماسية بطيئة

ولكن الدبلوماسية الدوليــة مارست عملها بخطى متمهلة كعادتها ·· فقد بدأت باستطلاع الآراء التى أعقبها اجراء مشاورات ثم اعادة التأكيدات · ناقش ساسة العالم الصيغ المتعددة للتغلب على الحصار المعلن لمضيق تيران ·

وجرى تبادل الآراء بصورة عقيم لم تسفر عن نتيجة الى أن قامت اسرائيل بتحطيم القوة الجوية المصرية فى هجوم مباغت فى صبــاح يوم ٥ يونيو · وانتهت الحرب التى استغرقت ســتة أيام باحتلال اسرائيل لأراضى مصر وسوريا والاردن : سـيناء ومرتفعات الجولان والضفة الغربية لنهر الاردن والاراضى الجديدة التى استولت عليها اسرائيل أكبر من مساحة اسرائيل ذاتها بثلاث مرات ·

وازداد التطرف العربى غداة حرب ١٩٦٧ · وكانت سياسة مصر الدولة العربية المحورية ــ والحقيقة أنها كذلك بالنسبة لمعظم العالم العربى ــ ما زالت تحت قيادة عبد الناصر المتقلب · وهدد الوجود المتزايد للفدائيين الفلسطينيين فى الاردن بقاء الملك حسين الهاشمى المعتدل الموالى للغرب ·

وحتى المعتدلون العرب فانهم لا يقبلون باقل من الانسحاب الكامل ورفضوا المحادثات المباشرة٠٠في الملن على الاقل (وكان الاردن فى الواقع يحتفظ باتصالات مباشرة سرية مع اسرائيل خلال تلك الفترة) أما المتطرفون العرب فقد رفضوا عملية السلام من الاساس ٠

وقد رفض التنظيم الفدائى الفلسطينى « فتح » فى بيان سياسى أصدره فى أكتوبر عام ١٩٦٨ « جميع المساومات التى تستهدف وقف النضال المسلح » وحذر الحكومات العربية من السير فى مثل هـذا الطريق وأعلن أنه يسعى الى اقامة « مجتمع حر مفتوح لا طائفى ولا عنصرى فى فلسطين » ٠ وبعبارة أخرى ازالة دولة اسرائيل كلها ٠

● تفسيرات مختلفة

ولم يتناول القرار ٢٤٢ ، الذى كان لابد أن أسـمع الكثير عنه ، هذه الخلافات عندما أصدره مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ بموافقة الجانبين المتنازعين فى الشرق الاوسط ٠ فقد تحدث القرار عن « سلام عادل ودائم » فى اطار حدود آمنة ومعترف بها ، ودعا الى انهاء (دعاوى أو حالات الحرب) والى انسحاب اسرائيل « من أراض احتلت فى النزاع الاخير » ٠٠ والى الاعتراف « بسـيادة ووحدة أراضى والاستقلال السياسى » لكل الدول ٠

غير أنه سرعان ما أصبح من الواضح أن هذه العبارات الغامضة مقبولة لدى كل طرف لا لسبب الا ٠٠ لأنه يمكن أن يفسرها لصالحه٠

وقد فسرت مصر والاردن البند الخامس « بانســحاب من أراض محتلة » على أنه يتطلب الانسحاب من جميع الاراضى المحتلة ٠ وفسرت اسرائيل عبارة « حدود آمنة ومعترف بها » على أنها تستبعد العودة الى الخطوط السابقة على حرب الايام الستة ٠

كان الانسحاب يعنى بالنسبة لاسرائيل التخلى عن مراكز وقاية محسوسة لضــمان الســلامة وطالبت بتعويض مقابل ذلك ٠ وكان الانسحاب يعنى بالنسبة للعرب استرداد ما ينتمى اليهم من وجهـة نظرهم ٠٠ وبالتالى اعتبروا الانسحاب الاسرائيلى ٠٠ حقهم وليس تنازلا اسرائيليا ٠

● جهود فاشلة

هذه الآراء المتصادمة اخترقت نزاع الشرق الاوسط ومنعت حدوث اية مساومة حقيقية ٠ كل طرف سـعى الى تحقيق هدفه الاســاسى كثمن للدخول الى المفاوضــات ٠ وأصرت مصر على أن الانســحاب

الاسرائيلي يجب أن يسبق تنفيذ أى شرط من الشروط الاخرى بل ويسبق المفاوضات نفسها · وطلبت اسرائيل محادثات وجها لوجه بادىء ذى بدء وهى فكرة لها ميزة مزدوجه هى الحصول على الاقل على اعتراف ضمنى وتقليل خطر التدخل من جانب دول عظمى · وجاءت موافقة الاردن على القرار رقم ٢٤٢ فى عام ١٩٦٧ بناء على وعد من آرثر جولدبرج المندوب الامريكى فى الامم المتحدة بأنه فى ضوء بنود هذا القرار يمكننا أن نعمل على اعادة الضفة الغربية للاردن مع تعديلات طفيفة فى الحدود وباننا مستعدون لاستخدام نفوذنا للحصول على دور للاردن فى القدس ·

وحيث انه لم تكن هناك مفاوضات جارية فقد كان الوعد مجردا من المعنى ·

وقد نص القرار ٢٤٢ على أن يقوم السكرتير العام اوثانت بتعيين ممثل خاص له ليتحدث مع الأطراف ويحاول فتح الباب لاجراء مفاوضات · ووقع اختيار اوثانت على جونار يارنج سفير السويد فى موسكو ·

ولكى يعرف يارنج ما اذا كانت الاصوات المتنافرة يمكن أن تحتوى على نغمه واحده تقوم على ترابط منطقى أو متشابهة ·· فقد بدأ مهمته بارسال مجموعة من الاسئلة الى الاطراف يطلب فيها تحديد مواقفها · وبعد شهور من المراوغة أبلغه كل طرف فى النهاية كل بلغته بما سبق أن أعلنه على الملا بلغة مبسطة وأحيانا بلغة غوغائية ·· وعندما زار يارنج الشرق الاوسط ·· وجد أن المواقف الحقيقية للاطراف غير قابلة للتوفيق بينها بصورة أكبر بكثير مما يبدو عليه الحال فى البيانات العلنية ·

● جنون الشرق الأوسط

· كان هناك قدر غير قليل من المشاعر التى تثير الرثاء فى الانفعالات الكامنة وراء حجج كل طرف ·· فقد أصرت اسرائيل على ما أسمته (بالسلام الملزم) · إن الدولة التى لم تعرف السلام أبدا هى وحدها التى لا يمكن أن تعلق مثل هذه الإهمية الكبيرة على عبارة كهذه العبارة ··

فما معنى السلام الملزم بين دول ذات سيادة عندما تكون احدى خصائص هذه السيادة هى الحق فى تغيير أفكار الانسان ؟

طوال ثلاثة قرون اشتبكت فرنسا وألمانيا فى حروب فى كل جيل تقريبا ، وانتهت كل حرب بمعاهدة سلام رسمية « ملزمة » لم تحل

دون اشتعال الحرب التالية .. كذلك لم تمنع « الحدود المفتوحة » في عام ١٩١٤ من انفجار حرب عالميــة هزت دعائم أوربا . ومعظم الحروب التي وقعت في التاريخ كانت بين دول اســتهلت العـلاقات فيما بينها بالسلام .. وانه لجنون خاص بالشرق الاوسط أن حروبه اشتعلت بين دول كانت بالفعل في حالة حرب من الناحية التكتيكية .

وقد أصر عبد الناصر ـ في الاتصالات الدبلوماسية ـ على انسحاب غير مشروط من جميع الاراضي المحتلة .. ولكنه لم يوضح على الاطلاق .. ماهو الحافز لدى اسرائيل للانسحاب في مقابل عروضه الغامضة بانهاء حالة الحرب ..

كما انه لم يذكر سابقة واحدة على تسوية سلمية ترتكز فقط على الانسحاب غير المشروط للمنتصر من الاراضي التي احتلها .

● في دوامة العالم

وفي مناطق أخرى من العالم فان مثل هذه الظروف كان يمكن أن تؤدي الى تجميد الموقف ثم زوال هذا الجمود من وقت لآخر عن طريق سلسلة من الحروب الى أن يؤدي الانهاك الى تحقيــق توازن كانت الحكمة عاجزة عن تحديد معالمه .

بيد أن الشرق الاوسط في النصف الثاني من القرن العشرين ، كان في دوامة السياســات العالمية . ورغم أن أواخر الستينات لم تكن قد شهدت بعد بروز البترول كســـلعة نادرة .. فان أهمية الشرق الاوسط ـ الذي يقع عند ملتقى قارات وحضــارات ـ كانت واضحة ومفهومة تماما .

● الوجود السوفيتي

ان الاتحاد السوفيتي الذي كان في أواخر الاربعينات قد حذف الشرق الاوسط من اهتماماته لأن المنطقة تتجاوز قدرته على أن يؤثر فيها ..قد قفز الى المنطقة بعد عشر سنوات منذلك التاريخ السابق عن طريق صفقة أسـلحة ثم بعد عشرين عاما ، من نفس التـاريخ السابق ، عن طريق ارسال آلاف من المستشارين العسكريين الى مصر .

وشكل هذا الوجود السوفيتي تغيرا رئيسيا من الناحية الجغرافية ـ السياسية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وطوال خمســة عشر عاما ساعد هذا الوجود على زيادة حدة النزاع .

ومع مرور الوقت .. تصرف الســوفيت بجرأة متزايدة ، ففي عام ١٩٥٦ ، تطفلوا بصورة هامشية على دبلوماسية أزمة السويس

ووجهوا تهديدات غامضة بالتدخل العسكرى بعد أن أدى الضغط الذى مارسناه على بريطانيا وفرنسا الى جعل هذه التهديدات السوفيتية لا تعنى أية مخاطرة .

وبعد حرب ١٩٦٧ ، زاد عدد المستشارين العسكريين السوفيت فى الشرق الاوسط خمس مرات .

وخلال الستينات زاد النفوذ السوفيتى بطريقة مثيرة فى مصر وسوريا والعراق والجزائر والسودان .. وبعد سنوات .. فى ليبيا أيضا .

ان حرب ١٩٦٧ التى ساعد السوفيت من جانبهم على اثارتها .. .. قد مكنتهم لأول مرة فى التاريخ من وضع أسطول دائم يتكون من حوالى خمسين سفينة حربية فى البحر المتوسط .

وكانت ادوار القوى الخارجية فى نفس مستوى تعقيد أدوار الاطراف الرئيسية فى النزاع تقريبا .

فقد لعب الاتحاد السوفيتى دور المحامى عن القضية العربية . واعتنق المقترحات العربية ولم يعرض أية ايماءة تشير الى تفاهم ممكن .

أما دول أوربا الغربية فقد كانت ممزقة بين عجزها وبين هواجسها عن الاخطار الاقتصادية لحرب جديدة . وكان أكثر هذه الدول نشاطا .. فرنسا ديجول التى تبنت فى الواقع الموقف العربى بعد حرب الايام الستة .

● العلاقات مع مصر

أما عن الولايات المتحدة ، فان الرئيس الامريكى الاسبق جونسون سعى الى تخفيف حدة الجدل عن طريق تجنب أى كلام محدد . وكان فى مناقشاته لقضايا الحدود والاعتراف وحقوق الملاحة البحرية يعكس ما اصبح فيما بعد . الغوامض الخفية للقرار ٢٤٢ .

وكانت مصر ودول عربية أخرى قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة فى أعقاب حرب ١٩٦٧ .

وهكذا كنا بدون دبلوماسيين كبار فى عواصم الدول العربية الرئيسية التى طلبت ـ مع ذلك ـ مساعدتنا فى عملية التفاوض .

وأصر عبد الناصر على أن نضغط على اسرائيل بالنيابة عنه وهو يعرض فى مقابل ذلك اعادة العلاقات الدبلوماسية معنا .

لماذا يجب علينا أن ندفع ثمنا لاعادة علاقات قطعها هو بحجة زائفة تماما لم يتم توضيحها أبدا ؟

وكان عبد الناصر قد اتهم الولايات المتحدة بالاشتراك العسكرى المباشر فى حرب ١٩٦٧ الى جانب اسرائيل ٠ وأصر الرئيس جونسون على أن يسحب عبد الناصر هذا الاتهام قبل اســتئناف العلاقات الدبلوماسية ٠ وقد فعل عبد الناصر ذلك وسحب الاتهام فى حديث صحفى ٠ ولكن جونسون أصر على أن يفعل عبد الناصر ذلك من خلال اتصال مباشر بالولايات المتحدة ٠

ولم يكن لدينا أدنى حافز لدفع ثمن اعادة العلاقات اذا ما استمرت سياسته فى الاعتماد على الدعم السوفيتى وتغذية المشاعر المتطرفة فى أنحاء العالم العربى ٠

● ازمة السويس

كنت أؤمن دائما بأنه من الجوهرى الحد من نطاق سياسة المغامرة السوفيتية فى الشرق الاوسط ٠ ولهذا السبب فان مسلك الولايات المتحدة فى أزمة السويس عام ١٩٥٦ قد صدمنى كتصرف يبعث على الاسف ٠٠ وكان يجب أن ندرك أن قيامنا فجأة بسحب مشروع تمويل السد العالى المصرى فى أسوان هو الذى يمكن أن يكون بداية وليس نهاية أزمة ٠ وفى رأيى أن طــريقة ادارة الازمة ، عنــدما وقعت ، كانت سيئة ٠ وبصرف النظر عن وجهة النظر بشأن حكمة العمل العسكرى البريطانى والفرنسى ٠٠ فقد كنت مقتنعا باننــا سندفع ثمنا فادحا فى السنوات القادمة (التالية) نتيجة قصر نظرنا اثناء اللعب فى الساحة ولم يكن اعتقادى أن اســاءة معاملة أوثق حلفائنا ـ بريطانيا وفرنسا ـ يمكن أن يؤدى الى الامتنان الدائم من جانب عبد الناصر أو هؤلاء الذين أعجبــوا به ٠ بل على العكس فان الاحتمال الاكبر هو أن يثبت أقدامه على طــريق يتعارض فى الاساس مع المصالح الغربية ٠ فالنظم المعتدلة التى كانت تدعمها قوة ومكانة بريطانيا ، وخاصة فى العراق ، كان الارجح أن تضعف ان لم تسقط بسبب ما حدث عندما وقفنا الى جانب العناصر المعادية التى كان عبد الناصر يمثلها ٠

وتحطمت ثقة كل من بريطانيا وفرنسا فى نفسيهما ٠ باحساسهما باتصالهما الوثيق بالعالم مما سيؤدى الى الاسراع بسقوط ما تبقى من مسئولياتهما الدولية ٠

ان حقائق القوة كان ينبغى أن تملى علينا وقتئذ أن نملأ الفراغ الذى نشأ فى الشرق الاوسط وشرقى الســـويس وأن نحمل على أكتافنا كل الاعباء الادبية لقرارات جغرافية ـ سياسية ٠٠ صعبة ٠

• التعليق على
الفصل الثالث

حقائق مناورات موسكو وواشنطن على حساب الحق العربي



عندما عدت الى قراءة كتاب أنور السادات .. « البحث عن الذات » الذى ترجم الى كل لغات العالم .. وجدت أن رئيس مصر فى عرضه المركز لطبيعة العلاقات بين مصر والقوتين العظميين .. الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى .. كان يدرك تماما بموازينه السياسية حقائق كل ما يجرى من وراء الاستار .. هذا الذى نشره هنرى كسينجر فى مؤلفه « سنوات البيت الابيض » مفصلا ومعبرا عن حقائق ما كان يجرى داخل البيت الابيض بالتفصيل ، سواء بالنسبة للاستراتيجية الامريكية تجاه مصر واسرائيل وأزمة الشرق الاوسط .. أو بالنسبة لاستراتيجية الوفاق الامريكى السوفيتى ، على حساب مصر والحق العربى .

ومن يقرأ الفصل الثالث الذى ننشره ـ بعد هذا التعليق ـ من مقتطفات من الكتاب .. مقترنا بما سجله أنور السادات فى مؤلفه التاريخى ، يدرك معنى اعتراف كسينجر فى كتابه بانه ارتكب أفدح خطأ طائش فى حياته ، عندما جهل من هو أنور السادات .. وعندما لم يجل بخاطره أن هذا الرئيس المصرى الذى توقعوا له البقاء فى الحكم أربعة أسابيع ، سيغزو المسرح العالمى باستراتيجية سلام جريء وشجاع يضع السادات فى قمم زعماء العالم فى هذا العصر .

● اعترافات كسينجر

ان كسينجر يعترف فى سطور مذكراته ، بان وزارة الخارجية الامريكية بقيادة روجرز وسيسكو وغيرهما كانوا فى واد .. وكان هو فى واد آخر مستشارا للامن القومى للرئيس نيكسون فى حساب الاستراتيجية الامريكية .. فقد عمل كسينجر مع نيكسون على قتل مبادرة روجرز .. كما خضعا للضغط الاسرائيلى ، فى جعل مباحثات يارنج مجرد تمثيلية .. كما سجل كسينجر أنه اقتنع مع نيكسون على كسب الاتحاد السوفيتى لمساعدتهم فى مشكلة فيتنام ، على حساب قضية الشرق الاوسط .. لأنهم كانوا يعرفون أن الاتحاد السوفيتى كان يريد موقفا استعراضيا مع العرب ، لا يكلفه الا اعطاء السلاح الذى لا يكفى لشن حرب لتحرير الارض المصرية مع بقاء حالة اللاحرب واللاسلم التى تهيىء للسوفيت توغل النفوذ .. ولا تكلفه أكثر من اصدار البيانات الملتهبة ، لان السوفيت يعرفون تماما أن أوراق اقرار السلام فى الشرق الاوسط تملكها امريكا .. ولا يملكها الاتحاد السوفيتى .

ولو كان كسينجر ادرك فعلا ـ حقيقة زعامة وشجاعة أنور السادات ـ لكان من الممكن أن يتحقق السلام بعد أول مبادرة للسلام عرضها أنور السادات فى فبراير ١٩٧١ أمام البرلمان .. ولما كانت هناك حرب أكتوبر .

وهذا ما يسجله كتاب « البحث عن الذات » حين يقول أنور السادات فى صفحة ٣٧٢ ، بعد أن استعرض مبادرة روجرز وما انتهت اليه بالحكم بالاعدام عليها من البيت الابيض تاييدا لاسرائيل .. ثم مبادرة مصر بعد ذلك، يقول السادات : « ولو أن هذه المبادرة وجدت العناية الكافية من امريكا لما قامت حرب أكتوبر ولبدأنا السلام فى فبراير ومارس ١٩٧١ »

● لماذا لم يفهموا ؟

ولكن السياسة الامريكية التى فرضها كسينجر أو نيكسون او الاثنان معا .. قد ابتعدت تماما عن فهم حقائق الاستراتيجية المصرية بعد تولى أنور السادات .. لعدة أسباب :

١ ـ الاقتناع بأن السادات رئيس مرحلى . وقد سجل « البحث عن الذات » هذه الحقيقة التى عرضها أنور السادات فى موضعين من كتابه .. قال فى صفحة ٣٦٧ وما تلاها : « .. بعد وفاة عبد الناصر

كان السفير الامريكي ريتشارد سون على رأس وفد أمريكي للتعزية مع أن العلاقات كانت مقطوعة .. وكانت مبادرة روجرز قائمة في تلك الايام ، فقلت لهم : اعملوا رعاكم الله ، وانقلوها أقول الى الرئيس الامريكي .. لقد كنت ضد مبادرة روجرز ، وبالفعل رفضتها . ولكنني وافقت عليها بعد أن عاد عبد الناصر من الاتحاد السوفيتي وشرح لى الظروف هناك . فكل ما أريده هو السلام . دعونا اذن نعمل من أجل السلام معا . أنا اليوم ملتزم بمبادرة روجرز ولكنني لا أرضى لامريكا أن تنقاد لاسرائيل في دعواها أن مصر قد نقضت المبادرة بتحريك الصواريخ في الضفة الغربية للقناة .. ومع ذلك فالضفة الغربية والضفة الشرقية للقناة هي أرضي .. مرة أخرى ادعوكم للعمل من أجل السلام .. وانا مستعد أن اذهب الى اقصى مدى في سبيل ذلك » .

ثم يقول السادات في كتابه « وعاد ريتشارد سون الى بلاده وقدم تقريرا الى وزارة الخارجية الامريكية يقول أن السادات لن يبقى في الحكم أكثر من أربعة أو ستة أسابيع وبعد ذلك لا يعلم مستقبل مصر الا الله .. وأكدت المخابرات البريطانية نفس الشيء .. وبناء على هذا اتخذوا قرارا فيما بينهم أن ينتظروا حتى يروا مصيره .. لم أعلم بهذا الموضوع الا متاخرا وكثيرا ما اتندر به اليوم مع المسئولين في امريكا . »

●●●

٢ ـ الاقتناع بان اسلوب السادات ـ لواستمر رئيسا ـ سيكون مجرد امتداد لاسلوب جمال عبد الناصر .. وقد عبر كسينجر في مذكراته عن ذلك بقوله أن جمال عبد الناصر أرسل الدكتور محمود فوزي الى امريكا للتعزية في وفاة ايزنهاور بعد ١٥ سنة من تآكل العلاقات بين مصر وامريكا .. وأبلغ محمود فوزي الرئيس نيكسون أن السوفيت يضغطون على مصر لتسوية سلمية .. ومصر تريد تحركا من أمريكا مع استعدادها لتخفيض الانفاق العسكري للبناء الداخلي كما أن جمال عبد الناصر قد فوض الملك حسين في التحدث باسمه الى الرئيس نيكسون عن انهما « عبد الناصر وحسين » مستعدان لتوقيع اى وثيقة مع اسرائيل ، باستثناء أن تكون في شكل معاهدة سلام ، ولكن عبد الناصر في الوقت الذى كان يجرى فيه هذه الاتصالات مع امريكا ، وفي الوقت الذى فقد فيه اى أمل في مساعدة جدية من الاتحاد السوفيتي .. كان يهدد امريكا في جميع خطبه . ونص تعبير

كسينجر عن ذلك .. كان عبد الناصر يريد التأييد الامريكي ضد اسرائيل والتأييد السوفيتي ضد أمريكا .. وقيادة الحركات الثورية في العالم الثالث .. وانسحاب اسرائيل الكامل .. وفي الـوقت نفسه كان يهددنا في جميع خطبه .. دون ان يملك شيئا يهددنا به .

واذا عدنا الى كتاب البحث عن الذات .. نجد أن الرئيس السادات قد عبر عن ذلك في صفحتي ٢١٧ و٢١٨ بأن جمال عبد الناصر اندفع في خصومة عنيفة مع أمريكا وصل بها الى نقطة اللاعودة .. في عام ١٩٦٦ معتمدا على مساعدة السوفيت .. ولكنه رحب بعد ذلك بزيارة السادات لامريكي بعد أن شعر أنه أخطأ في حق الامريكان أكثر من اللازم عندما وجه الكلام الى امريكا في احدى خطبه قائلا (فلتشرب أمريكا من البحر الابيض واذاكان هذا لايكفيهافهناك البحر الاحمر) .. ولكن السادات فوجيء وهو في امريكا سعيا لتحسين العلاقات بالاتفاق مع عبد الناصر ـ بصحفية أمريكية تسأله في عشاء رسمي اقامه له هاريمان أكبر مستشاري الرئيس الامريكي .. وما رأيك في هذا التصريح ؟ .. فأجاب : أى تصريح ؟ ..

فقرأ السادات من الصحيفة التي معها تصريحات لعبد الناصر يهاجم فيه امريكا بأعنف الالفاظ ..فقال لها واجما «ليس عندى أى تعليق».

ثم يقول السادات في كتابه : وتساءلت في نفسي لماذا يفعل عبـد الناصر ما فعله ؟ . وبعد أن اتفقنا على ان نبذل مجهودا لتحسين العلاقات وبعد تشجيعه لي على اتمام الزيارة .

ونجد ايضا فيكتاب السادات تفصيلاتوافية لاقتناع عبدالناصر أخيرا ، بأنه لافائدة من السوفيت .. وقد عبر عن ذلك للساداتبعد عودته من موسكو واضطراره بقبول مبادرة روجرز (التي رفضها السادات في القاهرة) وقال له : (السوفيت يا أنور حالة ميئوس منها تماما) وشرح للسادات الاسباب التي دعته للقبول مبــادرة روجرز فقال له السادات : معاك حق .. لان السوفيت حيودونا في داهية .

ولم يكن هذه أول تجربة لعبد الناصر مع السوفيت .. لقد كان السوفيت ضد حرب الاستنزاف بعد هزيمة ٦٧ . وقد بدأها واستمر فيها ضد رغبة السوفيت ..وكان عقاب السوفيتله ، عدم تعويضه عن الذخيرة التي فقدناها في حرب الاستنزاف .. مما اضطره الى التوقف من سبتمبر ٦٨ الى مارس ٦٩ . ثم عدم وفاء السوفيت بتعهدهم لعبد الناصر بارسال الطائرات (تي يو ١٦) التي وعدوا بارسالها مع



عبد الناصر
مشكلة الاختيار





الملك حسين
يفقد صبره

الصواريخ .. بعد ان ضربت اسرائيل مصنع ابو زعبل فى يناير ١٩٧٠ .. حتى ضاق عبد الناصر بالموقف كله وقال للسادات : اسمع يا أنور أوراق اللعبة كلها فى ايد امريكا شئنا أم ابينا ولقد آن الاوان عشان نتكلم وندخل امريكا فى العملية ..

ولذلك فان عبد الناصر فى خطابه فى عيد العمال فى ١٩٧٠ وجه اغلب كلامه فى الخطاب الى نيكسون وكانت لهجة الخطاب رقيقة أو على الاقل خالية من العنف ، كما كان بها قدر كبير من الدبلوماسية التى تفصح عن رغبة عبد الناصر فى أن يفتح باب الحوار مع أمريكا .. وفعلا بدأت امريكا الحوار فى يونيو سنة ١٩٧٠ بمبادرة روجرز .. وقبلها عبد الناصر وهو على مائدة المفاوضات فى آخر زيارة له لموسكو مع القادة السوفيت .. وجن جنون الرئيس برجينف وسال عبد الناصر . كيف تقبل حلا امريكيا ، فاجابه عبد الناصر أنه على استعداد لقبول الحل من أية جهة .

وأنا أنقل هذه السطور أيضا من كتاب البحث عن الذات ..الذى سجل أيضا « الحملة الشرسة الهوجاء التى شنها الفلسطينيون على عبد الناصر بقبول مبادرة روجرز دون أن يتريثوا أو يسالوا عن سبب قبوله وهو الذى وقف الى جانب القضية الفلسطينية كما لم يقف أى رئيس أو حاكم عربى آخر . بل لا أبالغ اذا قلت أن عبـــد الناصر بتبنيه لقضية فلسطين قد أضفى على القضية ابعادها الســـياسية التى أولاها لظلت مجرد قضية لاجئين » .

أعود فاقول . أن اقتناع عبد الناصر بأن أوراق اللعبة كلها فى يد امريكا جاء متأخرا . وفشلت كل محاولاته لجذب الموقف الامريكى .. لانهم فقدوا الثقة . ولانهم بنوا استراتيجيتهم على سياسة الوفاقمع

السوفيت • ولانهم تصوروا أن السادات رئيس مرحلي ، ولم يدركوا طبيعته السياسية • •

● سيطرة اسرائيل

هذا من ناحية مصر •• أما من ناحية الخضوع الامريكي للموقف الاسرائيلي •• فقد اعترف كسينجر اعترافا كاملا بأن نيكسون كان يريد سياسة استرخاء حتى لا يغضب يهود امريكا •• كما اعترف بكل المراوغات التي صنعها نيكسون للاستفادة من تلهف الاتحاد السوفيتي على مباحثات ثنائية مع امريكا بشأن الشرق الاوســـــط •• حتى يستفيدوا من أن أوراق اللعبة في يد امريكا •• فيدعموا بذلك نفوذهم في الشرق الاوسط •• ولعب نيكسون بهذه الورقة •• لكي يكسب مساعدة الاتحاد السوفيتي لامريكا في انهـــــاء أزمة فيتنام ••

وفسر كسينجر ذلك بقوله انه اذا نجحت مباحثات تسوية أزمة الشرق الاوسط مع الاتحاد السوفيتي•• فان السوفيت هم الكاسبون •• واذا فشلت فان اللوم سيقع على امريكا • وكان الســـــوفيت متلهفين على هذه المباحثات •• وعرضوا مناقشة صفقة شـــــاملة دون التمسك بالمطلب العربي وهو أن تبدأ عملية السلام بالانسحاب الاسرائيلي ••

وهكذا كانت قضية مصر•• وقضية الحق العربي•• هي الضحية الاولى والاخيرة ، للمساومات الخادعة بين امريكا والاتحاد السوفيتي •• وكل منهما يريد أن يلعب بالورقة ، لتحقيق مصالحه أولا واخيرا •• وانتهى ذلك باتفاق موسكو المشهور بارتياح أمريكا والاتحـــاد السوفيتي الى حالة استرخاء العسكري في المنطقة ••

وقتل كسينجر مبادرة روجرز •• رغم أن سيسكو أمضى من الوقت في التوسط بين كسينجر وروجرز •• أكثر من الوقت الذى امضاه في التوسط بين العرب واسرائيل •• وتحايل نيكسون على افشـــال المشروع الفرنسي باجراء مشاورات رباعية حول الشرق الاوسط بين امريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا • وكانت نصيحة ايزنهاور في أيامه الاخيرة ـ الذى أوقف عدوان ١٩٥٦ ـ لنيكسون •• بالا تتورط أمريكا في نزاع الشرق الاوسط بعد أن تنكرت مصر لموقف ايزنهاور ونسبت الفضل في وقف العدوان الى الاتحاد السوفيتي •• وكان

مطلب اسرائيل على لسان ابا ابيان بعدم تدخل امريكا ·· واستمرار تمثيلية يارنج هو المطلب المستجاب ·· وعلى الرغم من كل سخرية كسينجر بأسلوب اباابيان . فى الحديث عن اسرائيل ·· فأنه فى النهاية كان ينفذ كل ما طالب به ابا ابيان ·· وهى أن تستمر تمثيلية يارنج دون أى تدخل من أمريكا ·· وأن تحدث المباحثات الرباعية . وفشلت رحلة الدكتور محمود فوزى الى مريكا مبعوثا من عبد الناصر ·· كما فشل عرض الملك حسين باسم عبد الناصر واستعدادهما لتوقيع أى وثيقة مع اسرائيل مع الاحتفاظ بالا تأخذ شكل معاهدة سلام . كما تشمل عرض حسين باستعداده للصلح من اسرائيل . واعترافه بوجوب تعديلات حدود الضفة الغربية اذا ضمت غزة الى الاردن ·· كما فشل عرضه ايضا باسم عبد الناصر . بضمان المرور الحر فى قناة السويس ومضيق تيرانا ومناقشة المناطق المنـــزوعة السلاح ··



ومن كل هذا ·· يمكن أن يتفهم الشعب العربى ·· كيف حقق أنور السادات المعجزة ·· فان كسينجر الذى قضى على كل محاولات فريق وزارة الخارجية الامريكية ·· لايجاد صيغة سلام ·· هو الذى جاء يتفاوض مع انور السادات من أجل أولى مراحل السلام بعــد حرب اكتوبر ! ··

والحديث بعد ذلك ·· يطول ويطول . ومن يعود الى قـــراءة كتاب الســـــادات « البحث عن الذات » سوف يعـرف باليقين أن الرجل كان مدركا كل خفايا اللعبةالسياسية ··وكان واعيا بالاسلوب الذى يحطم كل المناورات الدولية على حساب الحق العربى ·· وكان المصلاق الذى غير وجه التاريخ .

كيف فشلت عروض عبد الناصر وحسين ؟

- كسينجر يعترف بدوره فى قتـــل كل محاولات السلام قبل حرب اكتوبر .
- صفقة نيكسون مع الاتحاد السوفيتى حول الشرق الاوسط كان الهدف منها كسب مساعدة موسكو لامريكا فى ازمة فيتنام .
- امضى سيسكو وقتا فى التوسط بينى وبين روجرز أكثر من الوقت الذى امضاه فىالتوسط بين العرب واسرائيل .
- حسين تحدث باسم عبد ا ناصر مع نيكسون لتوقيع وثيقة مع اسرائيل .
- فشل مهمة محمود فوزى فى واشنطن .
- نصيحة ايزنهاور على فراش الموت بعـــدم تدخل امريكا .
- ديجول يخشى السيادة المشتركة على العالم بين والاتحاد السوفيتى .
- حسين يطالب بضم غزة الى الاردن مقابل تعديل حدود الضفة الغربية .

● الفصل الثالث ●

كيف فشلت عروض عبد الناصر وحسين ؟

كتب كسينجر :



عندما توليت منصب مستشار الرئيس الامريكى لشئون الامن القومى ·· لم استطع تطبيق افكارى عن الشرق الاوسط · بينما كنت استطيع ذلك فى مجالات ومشكلات عالمية اخرى فقد كان الرئيس نيكسون يستمع الى اراء وتقارير الاجهزة والوكالات المتخصصة لوقت قصير حول القضايا العالمية ·· ثم يتصرف بعد ذلك من داخل البيت الابيض ولذلك كانت مسئوليات مكتبى فى البيت الابيض تتزايد باستمرار ·

أما عن الشرق الاوسط ·· فقد كان الامر يختلف ، كان مسموحا لى فقط بالتخطيط وابداء التحذيرات أو التنبيهات أو المرقلة ·· بالنسبة لسياستنا فى الشرق الاوسط · كما كنت استطيع أن أفتح مناقشات فى اطار مجلس الامن القومى الامريكى حول هذه السياسة · ولكن حتى نهاية عام ١٩٧١ لم يكن مسموح لى بممارسة الدبلوماسية فى شئون الشرق الاوسط باستثناء حالات نادرة من الازمات الحادة كما حدث عندما قامت سوريا بغزو الاردن فى سبتمبر عام ١٩٧٠ ·

وفى رأيى أن السببين الرئيسين لذلك هما : علاقة نيكسون المتكافئة مع وليام روجرز وزير الخارجية ·· وتقديره لاحتمالات تاثير

سياسة أمريكية نشطة فى الشرق الاوسط على الوضع الداخلى فى الولايات المتحدة . وكانت حسابات نيكسون أن أى سياسة نشطة تمارسها الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط سيكون مصيرها الفشل .. كما كان يخشى من أن تؤدى مثل هذه السياسة الى اثارة غضب مؤيدى اسرائيل فى أمريكا . ولذلك وجد أنه من الافضل ابعاد البيت الابيض بقدر الامكان من مرمى النيران المباشرة التى قد توجه ضده .

وثمة سبب شخصى آخر للدور النشط نسبيا الذى لعبته وزارة الخارجية فى مجال الشرق الاوسط .. وهو وجود جوزيف سيسكو فى منصب مساعد وزير الخارجية والذى عين رئيسا لمكتب الوزارة لشئون الشرق الادنى وجنوب آسيا .

● سيسكو عاطفى واجتماعى

انه رجل عاطفى واجتماعى .. وأحيانا ينفعل بحدة . ولم يكن جوزيف سيسكو موظفا تقليديا فى الخارجية . ولم يكن قد عمل فى الخارج على الاطلاق . وتمت ترقيته الى أعلى منصب فى السلك الوظيفى للوزارة نتيجة اصرار دين راسك وزير الخارجية الاسبق وبعد أن رفضت لجان الاختيار والترقية التى تطبق قواعد تقليدية الاعتراف بكفاءته . وما أن تولى العمل حتى تحول الى برهان حى على ما يمكن ان تنجزه القيادة المبدعة فى وزارة الخارجية حتى فى ظل رئيس فى البيت الابيض مصمم على أن يمارس بنفسه سياسته الخارجية ..وكان سيسكو يتصرف بموهبة كبيرة فى الابتكار وقدرة هائلة فى مجال الحيل التى هى عصب الحياة فى دبلوماسية الشرق الاوسط .. وأحيانا ما كان يعرض من الحلول مايتجاوز عدد المشكلات القائمة ! وهكذا سيطر « جو » سيسكو على زمام المبادرة البيروقراطية ولم يتركها أبدا . وكان داهية فى الالمام بمسالك ودروب واشنطن .. وسرعان ما أقام علاقة شخصية معى . فقد كان يعرف أن السلطة الرئاسية فى ظل ادارة نيكسون هى المرجع الاساسى . وفى النهاية .. أمضى سيسكو من الوقت فى التوسط بين روجرز وبينى .. ربما أكثر من الوقت الذى أمضاه فى التوسط بين العرب والاسرائيليين !

ومعظم المعلومات التى كان يتلقاها البيت الابيض عن المبادرات اليومية التى تقوم بها وزارة الخارجية الامريكية فى الشرق الاوسط .. كان مصدرها جوزيف سيسكو الذى كان يبلغها لى او لهارولد سوندرز كبير المعاونين فى مكتبى .

وبذل سيسكو كل جهده لكى يبقى على ولائه لكل من رئيسيه روجرز ونيكسون . وقد خدمهما بصورة جيدة . وفيما بعد .. عندما اصبحت وزيرا للخارجية عينته وكيلا للوزارة للشــئون السياسية وهو أعلى منصب فى مواقع صنع القرار السياسى داخل الوزارة .

● دعوات لواشنطن

وتناول كسينجر بعـــد ذلك موضوع حـــرب الاستنزاف التى خاضتها مصر واشتدادها عبر قناة السويس والخسائر التى لحقت باسرائيل من جراء هذه الحرب . كما تناول التقارير التى أذاعتها اسرائيل عن العمليات الفدائية وتفاقم الموقف فى المنطقة . وأشار كسينجر الى ان ذلك كله أدى الى تدفق الدعوات على واشـــنطون للتدخل الدبلوماسى . وكان هناك اقتراحان فى انتظار حكومة نيكسون الجديدة : ففى ٣٠ ديسمبر اقترح السوفييت مشروعا للسلام لتنفيذ القرار ٢٤٢ ، وكان المشروع يعكس مطلب العرب بشأن الانسحاب الاسرائيلى الكامل وتحديد معنى السلام يقف عند الحد الادنى بحيث لا يصلح ـ بوضوح ـ كخطوة أولى .

وفى ١٦ يناير عام ١٩٦٩ اقترحت فرنسا اجراء مشاورات رباعية حول الشرق الاوسط بين الولايات المتحدة والاتحاد الســـوفيتى وبريطانيا وفرنسا .

وفى اجتماعنا بمجلس الامن القومى الامريكى فى أول فبراير كان علينا أن نتخذ قرارنا بشأن كيفية الرد على هذه المبادرات وأن نقرر على وجه التحديد ما اذا كنا سنتخلى أساسا عن موقفنا الذى اتسمت به سنوات حكومة جونسون وهو تجنب ممارسة اى نشاط دبلوماسى فى الشرق الاوسط .

واتضح على الفور ان وزارة الخارجية الامريكية تتلهف على القيام بمبـــادرة أمريكية . أما عن الهدف من تدخلنـــا الدبلوماسى أو



محمود فوزى
. جنتلمان ، ودبلوماسى



جوزيف سيسكو
استخدم المهل

الاستراتيجية التي سيخدمها هذا التدخل .. فقد نحى جانبا لكى يتضح من خلال المفاوضات نفسها .

وكانت وزارة الخارجية تعتقد أن مسئولية الولايات المتحدة تحتم عليها المساعدة على ازالة الفجوة بين الاطراف .. كما كانت ترى أن واشنطن يجب ألا تبدو فى صورة من يتخذ موقف عدم الاكترات بينما الاشتباكات تتصاعد .

● مفتاح التسوية

جميع الاطراف فى المنطقة فى ذلك الوقت (١٩٦٩) تعرب عن اعتقادها بأن الولايات المتحدة تملك مفتاح التسوية . ومن هنا .. كان رأى وزارة الخارجية أننا يجب أن نشارك بأنفسنا وبصورة ايجابية حقا . وكان المأمول أنه قد يتسنى التوصل الى أرضية مشتركة بين الاطراف وكذلك بين القوى الخارجية وذلك من مجرد عملية قوة الدفع فى المفاوضات . ومن ناحية ، كان رأى وزارة الخارجية أنه نظرا لما يبدو أن موسكو تحصل على مكاسب عن طريق استغلال التوتر فى المنطقة .. فان المؤكد أن التسوية السلمية سوف تحبط استراتيجيتها . وعلى الاقل فان سلوك هذا الطريق سيكون اختبارا للنوايا السوفيتية .

كان عدد كبير من خبراء شئون الشرق الاوسط فى وزارة الخارجية غير سعداء تجاه موقف جونسون الذى لم يكن يعير اهتماما لنزاع الشرق الاوسط . وكانوا يرون أن عوامل سياسية داخلية تكمن وراء موقف جونسون . وكان حماسهم يرجع أيضا الى تصور بعض

الدبلوماسيين الامريكيين بأنه لايمكن أن تكون هناك أزمة حقيقية ما لم نكن ــ نحن ــ جزءا منها !

أما أنا فقد كانت عندى شكوك جدية حول الاندفاع الى مفاوضات لم نحدد لها أهدافا وسنكون مسئولين عن نتيجتها • كذلك كان يبدو لى أنه من المستبعد العثور على أرضية مشتركة بين الاطراف • ولم أكن أرحب بوجه خاص بشكل المفاوضات المعروضـــــة علينا • فالسوفيت والفرنسيون منحازون الى العرب (مما سيشكل ضغطا على بريطانيا) •• كما أن اجتماعا رباعيا كالذى اقترحته فرنسا يمكن أن يسفر عن وقوف الولايات المتحدة وحدها فى داخله • ومن ناحية أخرى •• فان محادثات ثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ــ يمكن اذا أحرزت أى تقدم أن يرجع الفضل فى هذا التقدم الى الاتحاد السوفيتى لانه فرض علينا تسوية فى الشرق الاوسط ، واذا فشلت هذه المحادثات فان اللوم سيقع على كاهلنا •

● نصيحة ايزنهاور

وأعربت عن قلقى فى هذا الصدد للرئيس نيكسون • وكان قد دعانى لمرافقته الى مستشفى والتر ريد العسكرى لزيارة الرئيس السابق أيزنهاور الذى كان قد تقدم فى السن ويعانى من المرض الذى قضى عليه بعد سبعة أسابيع من هذه الزيارة • كان الرجل أكثر هزالا مما كان عليه فى آخر مرة لقيته فيها • وأمضى معظم الوقت وهو يحذر نيكسون من تسرب أنباء مجلس الامن القومى الامريكى • وأبلغه نيكسون عن المناقشات الدائرة حول الشرق الاوسط •

وحث ايزنهاور الرئيس نيكسون على الامتناع عن القيام بدور أمريكى رئيسى فى المفاوضات • وربما كان رأى ايزنهاور يعبر عن الالم الذى عانى منه خلال حرب السويس عام ١٩٥٦ • وقال ايزنهاور انه يعتقد أن أفضل السبل هو ترك الاطراف لكى تتفاهم فيما بينها بنفســـها • وقال ايزنهاور أنه اذا أصبحت الولايات المتحدة نشطة فانها قد تضطر فى النهاية لان تصبح حكما ثم تقدم للاطراف ضمانات من عندها لاى اتفاق نهائى •• مما سيجعل الولايات المتحدة متورطة فى مصاعب الشرق الاوسط الى الابد •

وكتبت تأملاتى فى مذكرة للرئيس نيكسون أشرح فيها صعوبة التوصل الى تسوية شاملة • وذكرت أنه ربما كان من الافضل التركيز على تسوية جزئية مع الاردن (صاحب التاريخ الطويل والمشرف)

في الصداقة مع الولايات المتحدة . وقد اتضح خطأ موقفي فيما بعد لان الضفة الغربية والقدس هما أصعب القضايا في المفاوضات مع اسرائيل .

● مأزق نيكسون

واجريت مع نيكسون حديثا خاصا في مساء يوم ٣ فبراير . كان يشعر بأنه في مأزق . فهو لا يستطيع أن يرفض الاقتراح الفرنسي رفضا سافرا لان ذلك يعني تجميد محاولته تحسين العلاقات مع الرئيس الفرنسي ديجول ، كذلك كان يرى في الشرق الاوسط بارقة أمل تساعد على تحريك التعاون السوفيتي مع امريكا بشأن فيتنام .

واقترحت على نيكسون وسيلة للتحرك دون أن نلزم أنفسنا بطريقة لا رجعة فيها : بدلا من أن نختار بين المحادثات الرباعية والمحادثات الثنائية مع السوفيت فاننا يمكن أن نحتفظ بقدر من حرية العمل بقبول هذين الشكلين من المحادثات .. ونجعل احراز تقدم في المباحثات الرباعية يتوقف على المحادثات الاستطلاعية مع السوفيت. وبهذه الطريقة يمكن ان نحاول الربط بين مناقشات الشرق الاوسط وبين اهتماماتنا الاوسع بما في ذلك مساعدة السوفيت لنا على ايجاد حل لمشكلة فيتنام . أما في المحادثات الرباعية .. فان حلفاءنا الاوروبيين سيكونون أكثر ترددا في الوقوف الى جانب السوفيت ضدنا اذا علموا أن لنا اختياراتنا الثنائية .. نحن وموسكو . ولكي نمنع العملية من أن تسير في اتجاه لا يمكن السيطرة عليه فاننا يمكن أن نصر على أن يستعرض الرئيس نيكسون نتائج المحادثات الاستطلاعية قبل الانتقال الى المناقشات الرسمية .

ووافق الرئيس نيكسون على هذه الخطة .

● فشلت خطتي

وفي يوم ٣ فبراير أبلغت روجرز وسيسكو بالقرار . وفي الخامس من فبراير أعلنت وزارة الخارجية الامريكية ، وفقا للتعليمات ، أن الولايات المتحدة تنظر الى الاقتراح الفرنسي نظرة ايجابية واننا سنبدأ مشاورات مع الاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا على مستوى ثنائي للتوصل الى (درجة من التفاهم) من شأنها أن تجعل عقد اجتماع مبكر للاربعة (مستمرا وبناء) .

وفشلت خطتى .. لاننى لم أستطع التحكم فى الايقاع الزمنى للمفاوضات . فقد تعاملت وزارة الخارجية مع البيت الابيض بطريقة التحايل التكتيكى لتخفيف وقع تصرفاتها على السياسات الداخلية وندفعت لانجاز المحادثات « الاستطلاعية » باسراع ما يمكن . وخلال أقل من اسبوعين اكتشفت أن وزارة الخارجية تخطط بالفعل للخطوة التالية .. وأنها وضعت مبادىء جوهرية شاملة لتسوية سلمية فى الشرق الاوسط . أى أنها فعلت بالدقة ما كنت آمل فى تجنبه طوال عدة أشهر .

وعندما أبلغت سيسكو فى منتصف فبراير أننا لا نريد نجاحا سريعا للمشاورات الرباعية فى اطار الامم المتحدة فى نيويورك .. كنت أتحدث بلغة تتناقض مع كل معتقدات وزارته .

● خارج الامم المتحدة

وفى تلك الاثناء تناول السوفيت الطعم بسرعة . فى أول اجتماع بينى وبين أناتولى دوبرينين السفير السوفيتى فى واشنطن يوم ١٤ فبراير .. أبلغنى بأن القيادة السوفيتية مستعدة لاجراء محادثات ثنائية معنا حول الشرق الاوسط وأنه من المستحسن اجراء هذه المحادثات خارج اطار الامم المتحدة . وكرر دوبرينين نفس القول أثناء لقائه الاول مع نيكسون فى ١٧ فبراير . ولكن الرئيس الامريكى راوغ فى قبول الاقتراح باجراء محادثات سرية حول الشرق الاوسط على مستوى البيت الابيض . واصر على رأيه بأن هذه القنوات للحديث يمكن أن تكون متاحة فى حالة واحدة فقط فى مقابل تعاون الاتحاد السوفيتى فى مسألة فيتنام .

● ديجول وآلهة الاغريق

وأسفرت محادثات الرئيس نيكسون أثناء رحلته الى أوربا . فى أواخر فبراير وأوائل مارس عام ١٩٦٩ ، عن زيادة الضغوط على الولايات المتحدة لكى تشارك بطريقة ايجابية فى مسألة الشرق الاوسط . وبطبيعة الحال فان البريطانيين والفرنسيين ارادوا أن تجرى المحادثات الرئيسية فى الاطار الرباعى ، ولم يعارضوا بطريقة صريحة المناقشات الامريكية ـ السوفيتية الموازية لهذا الاطار غير أن حماسهم للمحادثات الثنائية كان متحفظا . وقال ديجول بروح استقلالية على طريقة آلهة الاوليمب الاغريق أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يمكن أن يتحدثا فى أى شىء يقع عليه اختيارهما

مادام أنهما يتجنبان اعطاء الانطباع بأنهما يفرضان سيادة مشتركة على العالم . واذا وضعنا جانبا هذا الاهتمام بالاجراءات .. وتأييد ديجول للانسحاب الاسرائيلى الكامل مع ضمانات من الدول الاربع .. فانه لم يكن لدى أى زعيم أوربى فكرة محددة حول كيفية تحريك الاطراف نحو اتفاقية شاملة . لقد تركوا بسخاء مثل هذه التفاصيل .. لنا !

● موضوعات دقيقة

كان دوبرينين مشوشا الى حد ما أثناء تناولنا طعام الغداء يوم ٣ مارس وألح على أن يستوضح العلاقة بين المحادثات الثنائية - التى كان يتلهف على أن تبدأ - والمحادثات الرباعية . وحاول تعذيبى باغرائى بان الاتحاد السوفيتى مستعد لمناقشة صفقة شاملة .. أى مشروع يتم تنفيذ كل بنوده فى وقت واحد .. الامر الذى يتناقض مع المطلب العربى - السوفيتى السابق بأن تبدأ العملية بالانسحاب الاسرائيلى . وأراد أن يعرف منى عمل الذى يقدم فيه مشروعه .. وأشار الى أنه يفضل مناقشة بعض الموضوعات الدقيقة ، مثل الحدود، مع البيت الابيض .

وفى اليوم التالى كان لقائى مع اسحاق رابين سفير اسرائيل فى واشنطن . وقدمت له نصيحة خاصة وهى أن اسرائيل يجب أن تعد برنامجا محددا يتضمن بوضوح تعريفا « للسلام » الذى يمكن أن تعيش فى ظله .

وفى نفس الوقت كانت وزارة الخارجية الامريكية قد أصبحت على وشك أن تقترح على نيكسون وضع مبادىء جوهرية شاملة حول التسوية فى الشرق الاوسط بعد أن كان الموقف الامريكى هو عدم الالتزام بامور جوهرية . ولم تكن أفكارى قد تغيرت فى هذا الصدد .

● مذكرة سرية

وفى يوم ٥ مارس كتبت مذكرة للرئيس نيكسون أوجز فيها وجهة نظرى :

« الجميع يقولون أنهم يتوقعون أن نتخلى عن اسرائيل فى اية مفاوضات . ويدعى العرب - دون وجه حق ولكن بشكل قاطع يصعب تغييره - اننا نستطيع أن نحمل اسرائيل على أن تفعل ما نريده . ويدعى الفرنسيون والبريطانيون انه كان فى استطاعتنا أن نفعل

أكثر من ذلك . وقد يكون السوفيت هم الوحيدين الذين يدركون بصور واقعية حدود نفوذنا في القدس .. لان السوفيت يعرفون حدود نفوذهم في القاهرة ودمشق . ولكنهم ـ أي السوفيت ـ يجدون ميزات دعائية ضخمة في مساندتنا لاسرائيل بحيث يمتنعون عن الاعتراف بالحقيقة علنا .

والحجج الشائعة المطروحة في مجال محاولة التوصل الى شيء يصعب التوصل اليه هي :

● (١) ان المحاولة في حد ذاتها يمكن ان تكون أحد عناصر اشاعة الاستقرار في الشرق الاوسط .

● (٢) أن ترتيب تسوية في هذا العام هو السبيل الوحيد لضرب الفلسطينيين المتشددين .

غير أن ذلك يمكن ان يؤدي الى موقف على النحو التالي :

● (١) ان محاولة صعبة وملحة يمكن أن تجعل الامور أسوأ مما سيحدث في حالة عدم القيام بجهد شامل الآن .

● (٢) ان تسوية يمكن أن تؤدي في الوقت الحالي الى تقوية الفلسطينيين وأضاف الحكومات العربية التي تقبلها .

● خطر على عبد الناصر ..

كان تقديري في ذلك الوقت من عام ١٩٦٩ أنه حتى في حالة موافقـــة اسرائيل على بنود حل وسط .. فان الفلسطينيين قد يعترضون طريق التسوية بتأييد من سوريا والعراق .. وان الحكومة العربية المعتدلة التي ستوافق على التسوية سوف تتعرض لهجوم المتطرفين .. ان الملك حسين .. وحتى عبد الناصر يمكن أن يصبحا عرضة للسقوط . ولن تكون النتيجة هي مجرد أن مفاوضات قد فشلت بل المزيد من الفوضى وظهور خطر حرب جديدة .
ووضعت وزارة الخارجية ورقة « مبادىء عامة » تتضمن الدعوة الى تغييرات بسيطة في الحدود السابقة على حرب يونيو .. ولكن هذه التغييرات « يجب أن تعكس ثقل الغزو » .

● ايبان يطلب تاييدا ١٠٠٪

في منتصف شهر مارس جاءت زيارة أبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي .. البليغ . ولم أقابل أحدا في حياتي يضارعه في اتقان

اللغة الانجليزية . ان العبارات تتدفق منه في تركيبات تنساب برقة .. وهي معقدة بالدرجة التي تكفي لاختبار ذكاء المستمع وتتركه في نفس الوقت مشلولا بالبراعة الفنية الفائقة للمتكلم . ولم يسبق لي من قبل مع أية شخصية امريكية أو بريطانية أن تذكرت أن اللغة الانجليزية بالنسبة لي لغة مكتسبة بالتعلم .. ولكن هذا ما حدث مع ايبان . انه مستعد تماما على الدوام ويعرف ما يريد . واذا كان ثمة رأي يتفق مع اسرائيل بنسبة تقل عن مائة في المائة .. فان ذلك يعني بالنسبة لايبان .. افتقارا الى الموضوعية . واذا كان ثمة راي يتفق مع اسرائيل بنسبة ٩٩ في المائة .. فان ذلك يعني « تآكلا » يدعو للاسف في التأييد لاسرائيل !

وابدى ايبان معارضته للمحادثات الثنائية والرباعية على السواء كما اعترض على ورقة المبادىء العامة التي وضعتها وزارة الخارجية الامريكية واعترض بشدة على ما ورد في هذه الورقة بشأن الحدود . وأوضح أن اسرائيل تفضل أن تتجنب الولايات المتحدة القيام بدور ايجابي في النزاع .. وأن تترك المبعوث الدولي جونار يارنج يواصل مهمته :

● محاولة لاذابة الجليد

عندما توفي الرئيس الامريكي الاسبق ايزنهاور في ٢٨ مارس ١٩٦٩ .. أوفد عبد الناصر الدكتور محمود فوزي مستشاره لشئون الخارجية لحضور الجنازة كممثل لمصر .

كان حضور فوزي لتكريم زعيم لدولة لا توجد علاقات دبلوماسية بين مصر وبينها علامة على احترام ومجاملة جديرة بالذكر . وكان فوزي رجلا « جنتلمان » رائعا .. ومحترفا يتصف بأسلوب المجاملة الذي يتميز به المصري المتعلم وكان يبدو عليه ذلك السأم الذي يشعر به الرجل الذي رأى الكثير من نقاط الضعف البشرية . ولانني كنت أعتبر مصر زبونا للاتحاد السوفيتي فانني لم أنتهز هذه الفرصة لاقامة علاقة انسانية أوثق معه . وفي ضوء تجربتي التالية شعرت بأسف لانني لم أفعل .

وجاءت زيارة فوزي بعد حوالي ١٥ سنه من تآكل العلاقات بين مصر والولايات المتحدة . وخلال فترة التحول بعث عبـــد الناصر برسالة مفككة الى الرئيس المنتخب نيكسون يعدد فيها شكواه من الولايات المتحدة ولكنه يشير الى أنه في الظروف المناسبة سيكون

مستعدا لاستئناف العلاقات · وكان هذا هو نفس ما قاله عبدالناصر لوليام سكرانتون المبعوث الامريكي الذى زار القاهرة فى أوائل ديسمبر وهو أن مصر تريد استئناف العلاقات . ولــكنها تود أن ترى سياسة أمريكية أكثر ايجابية فى الشرق الاوسط كذريعــة لاتخاذ هذه الخطوة · وفى أوائل عام ١٩٦٩ كرر عبــــد الناصر طلب قيام أمريكا بتحرك لاذابة الجليد ·

وكانت وجهة نظرى أننا اتخذنا بالفعل العديد من الخطوات التى اقترحها عبد الناصر (وأن يكن لاســـباب مختلفة) ·· وقمنا بدبلوماسية نشطة وطرحنا مبادىء عامة ·· وأن الاساس لتقارب ممكن بين واشنطن والقاهرة كان يبدو قائما ·

● ضغط سوفيتى

وعقدت اجتماعين بينى وبين فوزى تمهيدا لاجتماعه مع نيكسون فى ١١ ابريل · ولكن سرعان ما تكشف أن فوزى لم يكن يملك صلاحية استئناف العلاقات الدبلوماسية · انه سينقل رد فعلنا الى القاهرة . وقال فوزى ان العلاقات يمكن أن تستأنف فى حالة حدوث بعض التقدم الملموس · ولم يوضح ما يقصده بهذه العبارة · ثم قال : « ان مصر تتوق الى احراز تقدم وذلك يرجع الى حد ما . الى أن السوفيت يضغطون علينا فى اتجاه السلام · ويبدو أنهم أدركوا انهم لن يكونوا قادرين على مساعدة أصدقائهم العرب بأى وسيلة · ومن المؤكد أنه فى ظل حالة الجمود ·· ستتدهور مكانة السوفيت فى العالم العربى » ·

وأكد فوزى فى لقائه مع نيكسون بأسلوب ناعم أن مصر تتوق الى تخفيض أنفاقها العسكرى وتكريس مواردها لاغراض الســلام فى الداخل · ولم يطلب من الولايات المتحدة الضغط على اسرائيل للاقدام على تصرفات تتعارض مع مصالحها · وطلب معاملة عادلة لمصر · أما عن استئناف العلاقات . فقد ذكر أن الوقت لم يتضح بعد

● لم افهم عبد الناصر

وحتى يومنا هذا ·· لم افهم دوافع عبد الناصر ··

على مدى شهور نقل الينا اشارات ملحة فى اتجــاه استئناف العلاقات · واوفد فوزى . المعروف بأنه رجل المصـــالحات . الى واشنطن · وتصرف فوزى بكفاءة ·· ولكنه فيما يتعلق بهذه المسألة

الحاسمة فان التعليمات التي كانت لديه لم تكن تتيح له لسوء حظه أن يتزحزح . ولم يتضح أبدا .. كيف اعتقد عبد الناصر أن نيكسون يمكن أن يتحدى المعارضة الداخلية (يقصـــد النفوذ اليهودى) والرفض الاسرائيلى والتباعد السوفيتى .. المتحفظ .. وكل ذلك من اجل تأييد الحد الاقصى لاهداف دولة (مصر) رفضت العلاقات الدبلوماسية معنا وظلت سياستها الخارجية غير ودية فى أساسها .

وفى الحقيقة أن عبد الناصر سعى الى التعامل معنا عن طريق الابتزاز غير أنه لم يكن يملك شيئا يهددنا به .. ومن أجـــل طموحاته العربية لا بد أنه شعر بأنه مضطر الى أن يظل فى مواجهة دائمة معنا فى الشرق الاوسط والعالم الثالث حتى لو كان ذلك على حساب نسف رغبتنا فى التحرك تجاهه . وقد أصر محمود فوزى فى هدوء بناء على تعليمات ناصر على أن يحصل على شيء مقـــابل لا شيء : التأييد الامريكى ضد اسرائيل ، والتأييد السوفيتى ضد الولايات المتحدة . وقيادة الحركات الثورية فى العالم الثالث . والسياسة الخارجية لا تسير على هذا النحو .

ولم يستطع عبد الناصر أن يختار بين مطامحه البلاغية وبين تفكيره البديهى فى حدود قدرة مصر على تحقيق هذه المطامح . ومات دون أن يقدم أبدا على الاختيار .

ان خليفته العظيم أنور السادات هو فقط الذى وضع بعد ذلك الاجزاء المتناثرة معا لتصبح كلا متماسكا ، فى استراتيجية شاملة تتفهم كل العناصر التى تسيطر على المسرح العالمى . بالنسبة لازمة الشرق الاوسط .

● حسين يطلب تسوية

وجاء زائر عربى آخر هو الملك حسين ملك الاردن الذى لم يساوم أبدا على صداقته بالولايات المتحدة ورغم أنه يعتمد على المعونة الامريكية بصورة جوهرية فانه قاوم اجراءاتنا المزعجة .. وأحيانا المهينة .. دون أن يفقد صبره . وأبدى استعداده للتحدث عن عقد صلح مع اسرائيل . واحتفظ بصلة متقطعة مع اسرائيل ولكنها غير مثمرة . ومن سوء الحظ أن قوة مركز حسين فى المساومة لاتضاهى اعتداله .. وان الاختيارات المتاحة أمامه ليست متكافئة مع حسن نواياه . وهكذا فانه لا يملك القدرة على العمل المستقل ولا على الابتزاز .

وفي لقائه مع نيكسون يوم ٨ ابريل تحدث الملك حسين أيضا بالنيابة عن عبد الناصر مؤكدا على الالتزام بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . واعترف حسين بالحاجة الى اجراء تعديلات طفيفة في الحدود .. واذا تخلت اسرائيل عن غزة للحكم الاردني فان هذه التعديلات في الضفة الغربية يمكن أن تكون جوهرية الى حد ما . وقال حسين باسم عبد الناصر انهما مستعدان لتوقيع اى وثيقة مع اسرائيل باستثناء أن تكون في شكل معاهدة سلام .

وأكد حسين أنه هو وعبد الناصر راغبان في بحث موضوع المناطق المنزوعة السلاح والمرور الحر في قناة السويس ومضيق تيران على السواء .

● رحلة جوية مخيفة

وهذا الملك الذى يحكم بالوراثة كان يستخدم كلمة « ياسيدى » في حديثه معي عندما كنت مجرد مساعد للرئيس . وفي احدى المرات أخذني معه أنا وزوجتي نانسي في طائرته الهليكوبتر في رحلة يقف لها شعر الراس اذ كان يحلق على ارتفاع منخفض يصل الى مستوى الاشجار . ولكى تحمله على أن يحلق على مسافة أعلى .. قالت له نانسي ببراءة انها لم تكن تعرف أن طائرات الهليكوبتر تحلق على هذا المستوى المنخفض للغاية . وأكد الملك لها أن الطائرات الهليكوبتر يمكن أن تحلق على مستوى أكثر انخفاضا من ذلك . وأمضى بقية الرحلة وهو يكاد يحلق على ارتفاع يلامس مستوى الارض . ولو كان حسين قد استغل هذه الفرصة .. لكان قد حصل على موافقتي على أى مطلب سياسى له .. مقابل شئ واحد .. هو أن يقدم وعدا بالتحليق بطائرته على ارتفاع أكبر !

• التعليق على
الفصل الرابع

اعترافات مذهلة ..

واضح من هذه الاعترافات التي يقدمها هنري كسينجر للتاريخ مع التحفظ بالنسبة لما أخفاه او تجاوزه .. حقيقة المؤامرة الكبرى التي تعرض لها الحق العربي سواء من جانب أمريكا في عهد جونسون .. ثم نيكسون .. او من جانب الاتحاد السوفيتي الذي كان رسولنا لدى أمريكا .. والسبب الاول والاخير في كل ذلك .. ان الجميع كانوا يعتقدون اننا جثة ميتة . كنا نتحدث من موقع الضعف .. بعد هزيمة منكرة في ٦٧ . وكنا نريد كل شيء في الوقت نفسه . دون تقدير للاخطبوط الصهيوني المخيف الذي كان يسيطر على امريكا.. ودون تقدير لأن الاتحاد السوفيتي .لايستطيع أن يفرض حقها .. لأن أوراق اللعبة في يد أمريكا .. ودون تقدير أيضا لأن الاتحاد السوفيتي ، كان يرعى مصلحته الاولى وهي استمرار حالة اللا سلم واللا حرب .. مع امدادنا بالسلاح بأسلوب « القطارة » .. حتى لا تقوى شكيمتنا .



وحتى المحاولات التي قام بها روجرز ومعه سيسكو .. لعقد تسوية يرون أنها في صالح أمريكا لاقرار السلام . كانت محاولات

مبتورة استطاعت اسرائيل أن تحكم عليها بالاعدام .. وجعل منها نيكسون بالاتفاق مع كسينجر مجرد مناورات للاستهلاك العالمي .. ونجحا في افشال كل تدخل سوفيتي باسمنا حتى مع التراجعات التي اضطر عبد الناصر الى اعلانها في حديث الى الصحافة الامريكية اعتذر فيه عن اتهامه أمريكا بالاشتراك في عدوان ٦٧ .. وفي حديث آخر لمجلة « تايم » أعلن فيه أنه يقبل تسوية مع اسرائيل . وأنه يعترف باسرائيل .. مقابل الانسحاب الكامل وعودة اللاجئين الفلسطينيين



واذا تجاوزنا الاحداث التي يعرضها كيسنجر في هذا الفصل ـ وكلها في عام ١٩٦٩ ـ وقفزنا الى ما قبل حرب أكتوبر بأيام . فان كسينجر قد اعترف للرئيس السادات ـ بعد حرب أكتوبر ـ أن أبا ايبان قال له : ان مصر قد أصبحت جثة .. وستظل جثة لمدة خمسين عاما ولا داعي لاستئناف أي محاولة للتسوية . اتركوها لنا .

● ماذا حدث لنا ؟

ماذا حدث لنا ـ ونحن في موقع الضعف وعدم الادراك لحقائق لعبة المسرح العالمي .. كما جاء في اعترافات كسينجر في هذا الفصل ؟ ..

● ● ● استطاعت امريكا أن توقف الاتحاد السوفيتي عند نقطة الصفر .. وساومت على أي حوار ، بأن يقدم الاتحاد السوفيتي مساعدة حقيقية لأمريكا في أزمة فيتنام . الصفقة لها ما يقابلها .

● ● ● استطاعت أمريكا ان تلعب بدول أوربا التي تدخلت من أجل مباحثات رباعية للازمة بين « أمريكا والاتحاد السوفيتي وفرنسا وانجلترا » .. بل قبل الاتحاد السوفيتي أن يجعل من هذه المباحثات الرباعية مجرد تمثيلية . وفضل الاتصال الثنائي من وراء الستار مع أمريكا .

● ● ● استمرت أوراق اللعبة كما هي في يد أمريكا . التي كانت تعمل بأكثر من وجه .. وجه وزارة الخارجية الفاشل .. ووجه نيكسون الذي خدع أوربا ، والعالم كله .. وكان يبلغ اسرائيل ، وزعماء المنظمات الصهيونية ، وأعضاء الكونجرس المؤيدين لاسرائيل . أن كل مايجري هو مجرد كلام في كلام .. وأغرق اسرائيل بشحنات

الاسلحة والمعونات الاقتصادية لكى تقبل شيئا . يعلم أنه مرفوض مقدما من اسرائيل . ومرفوض أيضا من مصر !

● لم يفرط

ولم يكن جمال عبد الناصر مفرطا فى اى حق وطنى . ولكنه كان موقف العزلة الضعيفة الا من الخطب الملتهبــة . ان الحليف الذى إعتمدنا عليه وهو الاتحاد السوفيتى عاجز عن أن يصل مع أمريكا الى مبادىء تسوية سلمية مشرفة .. أو على الاقل تحفظ ماء الوجه .. كما أن هذا الحليف خذله عسكريا بعد هزيمة ٦٧ . واوقف حرب الاستنزاف .. وكان لا يريد الا خداع عبد الناصر لكى يبقى الرجل الذى يحمى النفوذ السوفيتى .. وكان عبد النـاصر يخشى تجربة حرب أخرى بعد هزيمة ٦٧، ولكنه كان مضطرا للاستعداد العسكرى الذى لم يسـاعده عليه السـوفيت .. حتى بكل عروض القـواعد العسكرية .. والقيادة الروسية المباشرة لسلاح الطيران المصرى .
ولذلك فقد عبد الناصر القدرة على المناورة .. وكانت التنازلات التى يقدمها لا تلقى أى تجاوب من البيت الابيض الامريكى .. بل اعتبروا موقفه متطرفا . لمجرد أنه يهدد بشىء لا يستطيع تنفيذه ضد أمريكا .

بل ان كسينجر يقول فى مذكراته : « وأعرب الزعمـاء المعتدلون من أصدقائنا فى الشرق الاوسـط .. الملك حسـين والملك الحسن ملك المغرب والامير السعودى فهد وشـاه ايران واللبنانيون .. عن يأسهم من التطرف المتزايدفى المنطقة.. وقد نقلوا الينا هذا الشعور بطريق مباشر . أو عن طريق مبعوثين » .

● اسرار الدهاليز

ومن هذه المذكرات ايضـا . نفهم أن التعامل مع أمريكا . لم يكن تعاملا مع دولة .. بل كانت الاوراق موزعة . والاتجاهات متناقضة . واللعبة مستمرة . والخضوع كامل للســيطرة الاسرائيلية . ان كسينجر يقول لنا : « لقد قرر نيكسون أن يترك وزارة الخارجيـة تتقدم بمشروع تسوية مع الاردن ، الى جانب مشروع تسوية مع مصر .. ولك على أن يظل البيت الابيض الامريكى بعيدا تماما عن هـذا المشروع بقدر الامكان !.. وفى نفس الوقت الذى صرح فيه نيكسون بتقديم المشروع الى المباحثات الرباعية .. فقد أمر بتقديم تأكيدات سرية لجولدا مائير بأن الولايات المتحدة لن تمضى أكثر من ذلك على

هذا الطريق ، وانها لن تضغط عليها في سبيل تنفيذ المشروع » ٠

٠٠ ومع ذلك ٠٠ ومع هذه التأكيدات من نيكسون لاسرائيل » فان جولدا مائير جمعت مجلس الوزراء لبحث العلاقات الامريكية الاسرائيلية وأعربت عن « خيبة أملها المريرة » وقالت أن الموقف الامريكي فضيحة وكارثة » ٠ وانا انقل هنا نص كلمات كسينجر ٠

● خطورة هذا الرجل

ومن هذه المذكرات تتأكد أيضا مدى خطورة هذا الرجل « هنرى كسينجر » ٠٠ ومدى قدراته على توجيه السياسة الامريكية الى حيث يريد في تقديراته ٠ وهو الذى يقول أنه كان مشلول اليد فيموضوع الشرق الاوسط ٠٠ « فقد كان مسموحا لى فقط بالتخطيط وابداء التحذيرات أو التنبيهاتأو العرقلة ٠٠ بالنسبة لسياستنا فيالشرق الاوسط باستثناء حالات نادرة من الازمات الحادة كما حدث عندما قامت سوريا بغزو الاردن في سبتمبر عام ١٩٧٠ ٠ »

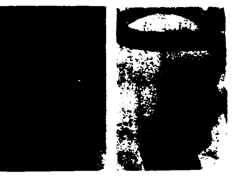
٠٠ ومن حقنا أن نتساءل : ترى لوكانت له أكبر من هذه السلطات ٠٠ ماذا كان يستطيع أن يفعل أكثر من أنه ضحك على العالم كله ؟!



وفي الصفحات المقبلة ، عندما يصل كسينجر الى بداية حكم أنور السادات الذى قدر هو أنه لن يستمر أكثر من أسابيع ٠٠ وعندما يتحدث كسينجر عن زيارة روجرز لمصر ولقائه بأنور السادات ، سأوضح كيف أن أنور السادات ، كان عارفا بكل هذه المناورات ، وكيف حاول أن يفهم أمريكا أنارادة مصر هي ارادةمصرية ولنتكون سوفيتية او امريكية ٠٠ وكان في الوقت نفسه يستعد للحرب بكل الاصرار ٠٠ لكى يفاوض من موقع القوة ٠٠ حتى يعترف أكبر داهية سياسى امريكي ـ أقصد كسينجر ـ بأنه لم يكن يتصور أن أنور السادات على هذا القدر من الفهم لاستراتيجية المسرح الدولى ٠٠ وللعبة القوى الكبرى ٠٠ وأنه فاز بمواقفه التاريخية الى مصاف قمم زعماء العالم في هذا العصر ٠

● من كان يتصور ؟

وعندما نرى اليوم ان اسرائيل تنسحب انسحابا كاملا من كل شبر على أرض مصر ٠٠ وتعترف بحدودها الدولية لأول مرة ٠٠٠

الملك الحسن   الامير فهد   شاه ايران

قال نيكسون ان الملك الحسن والامير فهد وشاه ايران والملك حسين هم الزعماء المعتدلون اصدقاء امريكا فى الشرق الاوسط الذين عبروا عن ياسهم من التطرف المتزايد فى المنطقة . وقد نقلوا الى امريكا هذا الشعور بطريق مباشر أو عن طريق مبعوثين

وعندما نرى مرشحا لرياسة أمريكا مثل « كونللى » يعلن بيانه عن الشرق الاوسط مؤيدا الانسحاب الاسرائيل الكامل من كل الارض المحتلة وانشاء دولة فلسطين ‥ ونعرف أن هذا البيان لم يصدر من « كونللى » الا بعد مراجعته واقـراره من كسينجر ‥ نعـرف أن (كونللى) أعلن أنه سيختار كسينجر وزيرا للخارجية اذا أصبح رئيسا ‥ عنـدما نرى كل ذلك ‥ ونرى أن تعليقـات الصحف الامريكية وأجهزة الاعلام التى لا تزال خاضعة للسيطرة الصهيونية تقول أن كونللى قد عبر عما كان الكثيرون من الامريكيين ومن اليهود الامريكيين يريدون التعبير عنه علنا ‥

عندما نرى أن هذا هوالموقف فى الاسابيع الاولى لمعارك الترشيح للرياسة الامريكية داخل الحزبين ‥ نقول للاخوة العرب (العقلاء) ‥ هل يستطيع أحد أن ينكر بعـد ذلك ‥ الاهداف المستحيلة المعجزة التى حققتها حرب أكتوبر وحققتها مبادرة السلام المصرية ؟

لم يعد استرضاء اسرائيل بأى ثمن هو موضوع المنافسة الانتخابية لمعركة الرياسة ‥ بل ان كنيدى الذى ينافس كارتر على ترشيح الحزب الديمقراطى ، لا يجد أمامه الا استغلال الأزمة الاقتصادية فى عهـد كارتر ـ وهو ـ أى كنيـدى ـ يحـاول أن يتلمس الاساليب الملتوية لتأييد اسرائيل ومهاجمة منظمة التحرير الفلسطينيـة ‥ ونجده أخيرا يستثمر ارهاب الخمينى فى ايران ، لكى يلتمس

العذر لاسرائيل فى رفضها أن تتعامل مع « الارهاب » الفلسطينى . ان كنيدى يلف ويدور لأنه يعلم أن اتفاقيات كامب دافيد ، ثم معاهدة السلام بين مصر واسرائيل .. هى من أروع مفاخر كارتر فى معركته الانتخابية لفترة الرياسة المقبلة ..



والسبب الاوحد والاول لكل ما جرى .. هو أن أمريكا التى تملك أوراق اللعبة ، رأت رئيس أكبر دولة عربية ، يواجه العالم كله . مما حول كل دعاوات اسرائيل داخل أمريكا ـ بعد ٣٠ سنة من القطيعة الكاملة مع مصر ـ الى مجرد أنقاض .. ثم كان هو الزعيم الذى لا يتحدث بلغتين .. لغة داخل الغرف المغلقة .. ولغة أخرى أمام الجماهير للخداع والتهريج والمزايدة وخداع الشعب العربى .

والى فصل مقبل .. حيث أعرض ماذا جرى بين السادات وروجرز .. عند حضور الاخير الى مصر .. بما لم يرد فى مذكرات كيسنجر .

ماذا جرى بين موسكو وواشنطن عام ١٩٦٩؟

● نيكسون يؤكد لاسرائيل وللمنظمات الصهيونيه في امريكا ان كل محاولات التسوية هي مجرد تمثيليات

● الاتحاد السوفيتي يعرض باســـم عبد الناصر ، مشروعا لاتفاق السلام تعترف فيه مصر باسرائيل.

● نيكسون يخدع روجرز بالموافقة على سفر سيسكو الى موسكو باقتراحات جديدة .

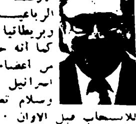
● مائير تقـــــول ان الموقف الامريكى على اسرائيل « كارثة » . وفضيحة » رغم تاكيد نيكسون لها .. بان المشروعات الامريكية للســـلام .. مشروعات وهمية

● نيكسون يقول للسفير السوفيتى : مصر خسرت الحرب وخسرت الارض .. فكيف تتقدم بمطالب المنتصرين ؟

● الفصل الرابع

ماذا جرى بين موسكو وواشنطن فى عام ١٩٦٩؟

كتب كسينجر



الطريق المسدود الذى وصلت اليه أطراف الشرق الاوسط .. كان لابد أن ينعكس على المحادثات الرباعية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا .
كما أنه حدث فى أمريكا نفسها أن احتشدت أغلبية من اعضاء مجلسى النواب والشيوخ لمساندة موقف اسرائيل فى بيان علنى يدعو الى مفاوضات مباشرة وسلام تعاقدى .. ويرفض الضغط على اسرائيل للانسحاب قبل الاوان .

وبعد شهرين من مبادرة وزارة الخارجية الامريكية بتقديم (مبادىء عامة) لتسوية النزاع .. وجدنا انفسنا بدرجة أو بأخرى نعود الى نقطة البداية .

فى كل مكان تجرى فيه مباحثات حول الشرق الأوسط كان المطلوب منا أن نفرض السلام .. والشىء الذى لم يكن يحتاج منا الى محفل أو منتدى عام للنقاش .. وكانت هذه هى بالدقة النتيجة التى تنبأت بها . وقد اثبتنا مرة أخرى ما كنا نعرفه من قبل . ذلك أن آراء الطرفين مختلفة كل الاختلاف حول معنى الحدود الامنة المعترف بها وحول توقيت ومدى الانسحاب وطبيعة الاعتراف .. بل وحول عملية التفاوض .

وكان من الواضح ضرورة اجراء مراجعة أخرى للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط . فالامر الذى بدأناه في شهر فبراير (١٩٦٩) على اساس استطلاع احتمالات المفاوضات قد تطور في شهر مايو الى افتراض أن الولايات المتحدة ملتزمة بانقاذ المفاوضات عن طريق تقديم مقترحات جديدة اكثر تحديدا ..غير أنه يمكن تجنب حقيقة أن اقتراحات كل من طرفي النزاع في المنطقة غير مقبولة على الاطلاق من الطرف الاخر . ولا يمكن المناورة على الطرفين عن طريق اجراءات مفتعلة تدفعهما الى التخلى عن موقف تمسك به كل منهما وخاض من أجله ثلاث حروب على مدى عشرين عاما . ولا يمكن ازالة الفجوة الواسعة بينهما الا بطريقة واحدة هي اللجوء الى صيغ شـــديدة الغموض تعيد ببساطة ترديد مراوغات قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢

● فضائل المواقف الغامضة

في تلك الظروف لم يكن السؤال الحيوى بالنسبة لنا هو طبيعة المقترحات العامة التي يمكن أن نقدمها بل .. هل نحن مستعدون للاصرار ـ بالضغط اذا لزم الامر ـ لتنفيذ مقترحاتنا ؟ ولحين الاجابة على هذا السؤال الذى يعني انه ما أن تصاغ هذه المقترحات .. حتى نمارس الضغط على اسرائيل .. فانه من المحتم أن تتجمد المفاوضات بطريقة أو بأخرى . أما اذا تشبثنا بمواقفنا الغامضة ، فان المحادثات الرباعية والثنائية سوف تنهار وسيقع اللوم على الولايات المتحدة . واذا اتخذنا موقفا محددا فسوف ندخل في شجار كبير مع اسرائيل دون أن نكسب صداقة العرب . وعلى عكس ذلك سيكون الاتحـــاد السوفيتي وزبائنه هم المستفيدين الرئيسيين . واذا امتنعنا عن الضغط على اسرائيل ـ سواء لاسباب محلية أو لاســـباب تتعلق بالسياسة الخارجية ـ فان المفاوضات ســـتتوقف مرة أخرى .. وبالنسبة لى .. كانت تلك هي النتيجة المحتومة لمحاولة التوصل الى تسوية شاملة بينما مواقف الاطراف متباعدة تماما .

محاولة اختبار

وحث وليام روجرز وزير الخارجية على وضع خطة تفصيلية تؤدى الى تحسين موقفنا حتى في حالة رفضها . وكان يرى انه لا بساطة لاتوجد وسيلة أخرى لمعرفة ما اذا كانت التسوية ممكنة بدون اختبار للآراء المصرية والسوفيتية واليهودية.. ولذلك قدمت وزارة الخارجية للرئيس نيكسون مشروعا لتســـوية سلمية مفصـــلة بين مصر واسرائيل تستند الى العودة للخطوط السابقة على حرب ٥ يونية ١٩٦٧

وعقب ذلك بوقت قصير سيطرح مشروع لاتفاقية سلام أردنية ـ اسرائيلية .

واعربت للرئيس نيكسون عن تحفظات شديدة .

● نفوذى كان ضعيفا !

وجرت مناقشة هذه المسألة امام الرئيس فى اجتماع مجلس الامن القومى فى صباح يوم ٢٥ ابريل . وكان الرئيس موزعا بين التحذيرات التى وردت فى مذكراتى وبين ضغوط جهازه البيروقراطى (هنا يقصد كسينجر .. وزارة الخارجية) .. ولذلك تجنب اتخاذ قرار .. بل وطلب منى فيما بعد العمل مع جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية لتعديل اقتراح وزارة الخارجية لتخفيف المخاطر التى تنبأت بها ـ وافق نيكسون على الورقة ـ بعد مراجعتها وتعديلها فى الخامس من مايو . وكانت التغييرات شكلية . لان الرئيس لم يكن مستعدا بصراحة ـ لتخطى وزير خارجيتـــه فيما يتعلق بأمور الشرق الاوسط وكان نفوذى ضعيفا ! وطبقا للصيغة الجديدة فان الولايات المتحدة لن تقدم مشروعا شاملا لتسوية مصرية ـ اسرائيلية دفعة واحدة ولكن بنوده ستطرح تدريجيا فى محادثات متعاقبة بين سيسكو ودوبرينين . كما أن الولايات المتحدة لن تلزم نفسها بادىء ذى بدء بالعمل على الانسحاب الاسرائيلى الكامل من سيناء بل أن الصيغة التى ستتناول الحدود ستترك غامضة .. على أن يكون الانسحاب الى الخط السابق على الحرب (غير مستبعد .. بالضرورة) .. وكان من شأن هـــذه التغييرات أن تؤدى فقط الى تأخير جريان موجات النهر فى وزارة الخارجية . ولكنها لا توقفه ..

وتفاوض سيسكو مع دوبرينين على أساس هذه الخطة خلال الفترة من ٦ مايو حتى ٩ يونيو . وفى الحادى عشر من يونيو أعرب دوبرينين معى عن شكواه من تجمد المحادثات مرة أخرى واحتج على أن سيسكو يفتقر الى التحديد وانه يقدم صيغة (مجردة) عن مسألة الحدود . وادركت ان سيسكو ينفذ تعليماتى بدقة .

● معارك يومية

وكانت المعارك القتالية فى الشرق الاوسط تسير بانتظام مع الجهد الدبلوماسى . ففى أشهر مايو ويونيو ويوليو كانت المنطقة تنفجر كل يوم بالمعارك الجوية على الجبهتين المصرية والسورية وبغـــارات الفدائيين من الاردن . وفى شهر مايو ادلى عبد الناصر بحديث لمجلة

، تايم ، قال فيه ان التسوية ممكنة اذا وافقت اسرائيل على الانسحاب الكامل ومنح الفلسطينيون حق العودة · وقال . في نفس الحديث انه يقبل ، حقيقة وجود ، اسرائيل ·· ولكنه أمر بحذف هذه العبارة الاخيرة من حديثه عند نشره أو اذاعته في وسائل الاعلام القاهرية ·

وفي ١٧ يونيو قدم لنا الاتحاد السوفيتي في النهاية اقتراحا مضادا ··واتسم الرد السوفيتي بعناصر ايجابية : فقد اشار الى العمل من أجل اتفاقية ملزمة والاعتراف باسرائيل · بيد أن الرد أبدى مرونة محدودة تجاه القضايا الكبرى التي كانت تهمنا أكثر من غيرها : لم يرد ذكر المفاوضات المباشرة . والحدود النهائية يجب أن تكون خطوط ١٩٦٧ بالدقة . والاشارة الى حرية الملاحة غامضة . وتحديد السلام النهائي لا يتضمن أى التزام بالسيطرة على العمل العدائي . كما أن الرد لا يتبنى اقتراح وجوب أن تتحكم اسرائيل الى حد ما في تحديد نوع الفلسطينيين الذين يعودون الى اسرائيل ·

● الورقة الرابعة

ومع ذلك فقد قرر وليام روجرز وزير الخارجية ان الرد السوفيتي هو ، حركة الى الامام ، تتيح التقدم باقتراح أمريكي آخر · ولما كان السفير السوفيتي دوبرينين قد سافر الى بلاده لاجراء مشاورات ، فقد اقترح روجرز في ٣٠ يونيو أن يتوجه جوزيف سيسكو الى موسكو لطرح بعض الافكار الجديدة · وقد اراد روجرز بالتحديد تفويض سيسكو السلطة اثناء وجوده في موسكو بحيث يكون حر التصرف ـ في حالة اتخاذ موقف تراجعي ـ في تقديم ، ورقتنا الرابعة ، (وهي الالتزام الصريح بحدود ماقبل الحرب) اذا ابدى السوفيت تعاونا في قضايا السلام والامن والمفاوضات المباشرة ·

واذا استخدمت في التعبير عن وجهة نظري عبارة مخففة ·· فانني أقول أن ذلك كله سابق لاوانه ·· واوصيت الرئيس نيكسون بأن يساير فكرة رحلة سيسكو الى موسكو دون التقدم بتنازل جديد بشأن الحدود على النحو الذى اقترحه روجرز ·

● نصيحة لنيكسون

ونصحت الرئيس نيكسون قائلا : ، انني لا ارحب بفكرة منح سيسكو في هذه المرحلة سلطة الزامنا بأى وسيلة بلغة تراجعية · ذلك يجعلنا نسبق اسرائيل بمسافة طويلة جدا ونتخلى عن موقفنا بلا مقابل ،

ووافق نيكسون على السماح لسيسكو بالسفر الى موسكو ولكن دون أن يحمل معه أى موقف جديد بشأن الحدود .

وامضى سيسكو فى موسكو الفترة من ١٤ الى ١٧ يوليو .. وعاد وهو يعرف عن شكوكه فى مرونة السوفيت ونواياهم ، وقال للرئيس نيكسون أنه لم يجد دليلا على أن السوفيت مستعدون للضغط على عبد الناصر حول القضايا الرئيسية والمفاوضات المباشرة .. وانهم ينظرون الى عبد الناصر باعتباره أداتهم الرئيسية فى الشرق الاوسط .. وهم غير راغبين فى المخاطرة بوضعه السياسى أو بنفوذهم لديه عن طريق حثه على اقرار سلام على أسس غير الاسس التى يقدمها ، وبدلا من الضغط على عبد الناصر فان استراتيجيتهم فيما يبدو هى التشبث بموقفهم وزعزعة موقفنا الى الحد الذى يجعلوننا فيه مستعدين لفرض شروطهم على اسرائيل . واستنتج سيسكو من ذلك ـ وهو على حق من وجهة نظرى ـ أننا أيضا يجب أن نتشبث بموقفنا .

● روجرز يضغط

فى شهر أغسطس احتدم القتال مرة اخرى على جميع الجبهات بخطورة شديدة على طول قناة السويس بوجه خاص .

وتطلب هذا الموقف الكئيب القيام باستعراض آخر للسياسة الامريكية .. واتخذ هذا الاستعراض ـ كالعادة ـ شكل ضغط من وزارة الخارجية للقيام بمبادرة . واتخذت أنا نفس موقفى وهو أولوية الاتفاق على استراتيجية امريكية محددة .

وفى اجتماع مجلس الامن القومى فى ١١ سبتمبر (١٩٦٩) ، أوضح ممثلو وزارة الخارجية أنه بدون تراجع أمريكا فى موقفها بتقديم اقتراح مقبول .. فان احراز تقدم سيكون امرا مستحيلا (وهو رأى يمكن فى النهاية ـ اذا تطور بما فيه الكفاية ـ أن يقودنا مباشرة الى اتخاذ نفس الموقف السوفيتى فى كل قضية) . وتساءلت من جانبى عن الحكمة فى تقديم اقتراح سترفضه اسرائيل حتما وربما لا تقبله مصر .

وفى الجولة التالية سنتعرض حتما ـ اذا الزمنا انفسنا بهذا الاتجاه ـ لضغط من أجل تليين موقفنا أكثر فأكثر ثم نفرض هذا الموقف على أسرائيل .

● ورطة .. لمن ؟

وكان المدافعون عن فكرة تقديم تنازلات يقولون ان الزمن لايسير في صالحنا وانه كلما طال امد تجميد الموقف فان مركزنا في العالم العربي سوف يتدهور . وأكدت من جانبي أن العكس هو الصحيح : ان استمرار تجمد الموقف في صالحنا لان ذلك سيقنع مصر بمواجهة حقيقة أن الوصاية السوفييتية والسياسة الخارجية المتطرفة تشكل عقبات امام التقدم وان الولايات المتحدة هي وحدها التي يمكن أن تحقق تسوية وذلك من شأنه أن يكشف عجز السوفيت . وكان روجرز يرى في المحادثات الثنائية وسيلة يمكن للاتحاد السوفيتي أن يساعدنا من خلالها على الخروج من ورطة الشرق الاوسط . وكان اعتقادي ان السوفيت هم الذين في ورطة .. لانه لا توجد لديهم وسائل لتحقيق أهدافهم الا عن طريق تعاوننا أو عن طريق حرب سيخسر فيها زبائنهم (يقصد مصر) فاذا بقينا هادئين .. سيجد السوفيت آجلا أو عاجلا أن عليهم أن يدفعوا ثمن مساعدتنا لهم سواء في الشرق الاوسط أو في مكان آخر .. وسمع نيكسون تحذيرات من أحد معاونيه الخبراء في الشئون المحلية حول الصخب الذي سيحدث في داخل الولايات المتحدة عند حدوث صدام مع اسرائيل .

● اعذار لتاخير القرارات

وهكذا كان نيكسون مستعدا تماما لاجتماع مجلس الامن القومي الامريكي وتحدث بحدة مع روجرز وسيسكو قائلا : « الا تتحدثون ابدا يا رجال مع الاسرائيليين ؟ .. »

وقرر الرئيس نيكسون أن تقتصر مفاوضاتنا على أطار المحادثات « الاستطلاعية » لحين زيارة جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل لواشنطون . والى هذا الحين .. أمر الرئيس بدراسة شروط التسوية بالنسبة للاردن وسوريا الى جانب مصر . وقد لا تكون اجتماعات مجلس الامن القومي جدية من زاوية التوصل الى اختيارات ولكن لها ميزة كبرى في ايجاد الاعذار لتأخير اصدار القرارات ! ..

وقال لي نيكسون بعد بضعة اسابيع أنه يتفق معي في أنه من الافضل تأخير التوصل الى مقترحات محددة حتى يرى طبيعة التوترات التي قد تتطور بين السوفيت . والمصريين .

وقال نيكسون :

« يمكن لموسكو أن تحصل على مؤتمر للقمة وعلى اتفاق التجارة

ولكنني سوف استحق اللعنة اذا استطاعوا الحصول على الشرق الاوسط » .

وهكذا صدرت التعليمات الى روجرز وسيسكو بان يمتنعا عن التحدث فى شيء جديد فى محادثاتهما مع اندريه جروميـــكو وزير الخارجية السوفيتى الذى كان على وشك الوصـــول الى نيويورك لحضور اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة .

● عمتي .. جولدا !

جاءت جولدا مائير الى واشنطن فى ٢٥ سبتمبر فى أول رحلة لها الى الولايات المتحدة بصفتها رئيسة للحكومة .

إنها مؤسسة لدولتها . وكانت تشعر بأن موت كل جندى اسرائيلى بمثابة مصاب فادح لاحد افراد أسرتها . وكنت اراها تتصرف معى مثل عمة محسنة تتعامل مع ابن شقيق يتمتع لديها بمكانة خاصة بحيث يكون مجرد السماح بامكانية ظهور أى خلاف معها بمثابة تحد للتراث العائلى يستدعى الغضب العنيف .

وكانت زوجتى تقول أن أكثر المشاهد المسرحية اثارة .. عندما ترانى احتلف مع جولدا مائير . وكانت مائير تتعامل مع روجرز كما لو كانت التقارير التى تصل اليها عن آرائه لا يمكن ان تكون صحيحة . وكانت على ثقة من أنه اذا اتيحت له الفرصة مرة واحدة ليوضح موقفه فان سوء التفاهم الناشىء عن التقارير التى تصلها فى البرقيات .. سوف يتلاشى .

وكان حديثها مع نيكسون « بسيطا » فالولايات المتحدة يجب ألا تترك عبد الناصر يتفادى مسئولية صنع السلام عن طريق دفع الآخرين الى القيام بهذه المهمة .. وعلى الاتحاد السوفيتى أن يدرك أن الولايات المتحده لن تسمح بتدمير اسرائيل . وعلى العرب أن يفهموا ان اسرائيل ليست ضعيفة .. وأن ذلك كله هو السبيل الوحيد الى تحقيق السلام .

● وعود واسلحة

لم يكن نيكسون يعتقد للحظة واحدة ان السلام يمكن ان يتحقق بعربقة تلقائية . ولم يكن مستعدا للضغط على أسرائيل لاسباب يرجع معظمها لعوامل محلية ولم يجد صعوبة فى تقديم تأكيدات لجولدا مائير بالمساعدة فى حالة وقوع هجوم سوفيتى .

وكانت الدعاية الاسرائيلية تروج فى ذلك الوقت لفـــكرة ان

السوفيت يمكن أن يحاربوا معركة مصر .. وهو أمر مستحيل الحدوث)) ولكن كيسنجر يتجاهل ذلك .

وكان نيكسون يفضل أن تكون اسرائيل قوية لانه لم يكن يريد ان تضطر الولايات المتحدة الى القتال فى معارك اسرائيل .. وكان ذلك هو رأى جولدا مائير .. واوضح انه سيتجاوب مع مطالب اسرائيل من الاسلحة اذا اعطتنا اسرائيل قدرا من حرية العمل فى المفاوضات .. واشار بوضوح الى ان هذا القدر من حرية العمل لن يكون كبيرا .

ومن المبالغة القول بان مائير وافقت على ذلك ولكن يمكن القول بانها تحاوبت بطريقة توحى للمستمع بأن المستقبل هو وحده الكفيل بأن يبرهن على أن ذلك هو ما سيحدث .

وفى يوم ٢٧ سبتمبر قابل اناتول دوبرينين السفير السوفيتى فى واشنطون ، وهو يحمل معه اقتراحا سوفيتا باتخاذ موقف مشترك بين البلدين لوضع خطوط عريضة لجونار يارنج الوسيط الدولى فى الشرق الاوسط . ورفضت الاقتراح بحجة انه طالما أن السوفيت يمتنعون عن المساعدة على تسوية مشكلة فيتنام .. فان اى عمل مشترك فى مكان آخر سيكون ، صعبا ، وتحول دوبرينين بعد ذلك لمواصلة محادثاته المكثفة مع سيسكو خلال شهرى سبتمبر واكتوبر وفى ١٤ اكتوبر قدم سيسكو تقريرا جاء فيه أنه تم احراز تقدم كاف فيما يتعلق بالاجراءات (مثل عقد محادثات غير مباشرة بين طرفى النزاع بالطريقة التى مارسها الوسيط الدولى رالف بانش منذ عشرين عاما فى جزيرة رودس) .

● نيكسون يقرر التجميد

وكانت تخامرنى شكوك ازاء حقيقة هذا ، التقدم ، واعتقادى ان السوفيت كانوا يستخدمون الشرق الاوسط وكذلك مفاوضات سولت (للحد من الاسلحة الاستراتيجية) لكى يحملوا نيكسون على أن يفكر مرتين قبل تنفيذ تهديده بشان فيتنام الذى حدد له موعدا فى اول نوفمبر .

ولم يهدأ قلقى عندما عقد اجتماع بين الرئيس نيكسون ودوبرينين فى ٢٠ أكتوبر . فقد قرأ السفير من مفكرة كان يحملها .. كلاما يلقى اللوم على واشنطون فيما يتعلق بجمود الموقف فى الشرق الاوسط . ورد عليه نيكسون بحدة قائلا أن السوفيت لا يطلبون أى تضحية من مصر .. بينما مصر خسرت الارض .. وليست فى موضع يتيح لها التقدم بمطلب المنتصرين .

وبينما كان نيكسون يواجه دوبرينين ·· طلب سيسكو تفويضا بابلاغ السفير السوفيتي عن موقفنا الجديد (الذي تراجعنا اليه بقبول حدود ١٩٦٧ على ان يرتبط ذلك بضمانات للامن · وأراد سيسكو أن يتحرك في هذا الاتجاه في اجتماعه مع دوبرينين الذي تحدد له يوم ٢٨ اكتوبر ·· وناقشت هذا الموضوع مع الرئيس نيكسون الذي وافق على أنه لا حاجة الى مبادرات امريكية من أي نوع قبل ان يتضح الموقف في فيتنام · وفي الواقع أن نيكسون أصدر أمرا صريحا بعدم اجراء المزيد من الاتصالات على الاطلاق مع السوفيت لحين القاء خطابه الهام عن فيتنام يوم ٣ نوفمبر ·

● محاولة انقاذ

واحتج سيسكو على ذلك ·· لان روجرز كان قد وعد جروميكو بالفعل بعقد لقاء بين سيسكو ودوبرينين يوم ٢٨ أكتوبر واضطر نيكسون الى الاذعان لرغبة وزير خارجيته ثم طلب من مستشاره للشئون اليهودية بأن ينقل الى زعماء الطائفة اليهودية شكوكنا تجاه الدبلوماسية التي تسير عليها وزارة خارجيته ·· بل وتبرأ من مبادرات الوزارة ·

وفي بعض الاحيان كان نيكسون يجد ما يغريه على فرض تسوية في الشرق الاوسط · في احدى المرات أبلغته بتشاؤم الملك حسين تجاه احتمالات السلام بسبب موقف اسرائيل المتشـــدد · وكتب نيكسون بخط يده في أحدى صفحات مذكرتي في أواخر عام ١٩٦٩ تعليقا على ذلك ·· قائلا : « انني الان بدأت أفكر في أن علينا ان نبحث اتخاذ خطوات قوية من جانب واحـــد لانقاذ اسرائيل من تدميرها لنفسها . ولكنه كان عندما يمعن التفكير ·· يتوقف عن السير في هذا الطريق ·

● مقامرة فاشلة

وفي النهاية قدم سيسكو الى دوبرينين الموقف الذي حددته وزارة الخارجية بعد تراجعها ·· وهو الموقف الذي يلزم الولايات المتحدة باعادة الحدود الدولية لعام ١٩٦٧ بين اسرائيل ومصر · واشتمل المشروع على بنود عن السلام وترتيبات الامن · وهي اجراءات قامرت وزارة الخارجية على أنها ستكون جذابة بدرجة كافية لاسرائيل ، دون دليل على ذلك ، لكي تنسحب ، ولاقناع السوفيت بالضغط على مصر · وقد خاب الامل في هذه التوقعات ·

على خلاف تنبؤات وزارة الخارجية .. فان العرض الذى قدمناه . لم يدفع السوفيت الى الالتزام بشىء . وعلى خلاف ما فهمناه عن موقف عبد الناصر من قبل .. فان موافقتنا على العودة الى الحدود الدولية لم تسفر عن تحسين العلاقات معه . وبدلا من ذلك . القى خطابا ملتهبا فى مجلس الشعب فى ٦ نوفمبر اعلن فيه أنه سوف يستعيد الاراضى المحتلة « بالنار والدم » بدلا من « انصاف الحلول » السياسية واتهم الولايات المتحدة بالتدخل العسكرى نيابة عن اسرائيل . واصدرت وزارة الخارجية الامريكية بيانا تصف فيه موقف عبد الناصر بانه « نكسة للسلام » . وبعد وقت قصير . وصف محمود رياض وزير الخارجية المصرى مشروعنا للسلام (بما فى ذلك الموقف من الحدود) بانه « أسوأ » من المقترحات السابقة .

ورفضت اسرائيل أيضا المشروع . واحتجت عليه باقوى اللهجات الدبلوماسية . وابدى الامريكيون المناصرون لاسرائيل انزعاجهم . وتصاعد القتال مرة أخرى . وخاصة على جبهة قناة السويس .

● الرهان الخاسر

واعرب الزعماء المعتدلون من اصدقائنا فى الشرق الاوسط ـ الملك حسين والملك الحسن وملك المغرب والامير السعودى فهد وشاه ايران واللبنانيون ـ عن يأسهم من التطرف المتزايد فى المنطقة . وقد نقلوا الينا هذا الشعور بطريق مباشر أو عن طريق مبعوثين .

مثل المقامر الذى يخسر الرهان .. فان المدافعين عن دور امريكى ايجابى ارادوا زيادة المراهنة .. واصروا على القول بانه ما زال فى الامكان التوصل الى تسوية . واقترحوا تقديم ورقة أخرى تتعلق بالاردن تضم فى الاساس نفس المبادىء . وقالوا أن ذلك سيجعل موقفنا متوازنا فى عيون العالم ويمكن أن يكون نقطة بداية لمفاوضات تجرى فيما بعد اذا فشلت هذه المفاوضات الآن . ولم يوضح هؤلاء ما هو « العالم » الذى يقصدونه .

● روجرز وسط النيران

وجاء يوم يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩ ليلقى روجرز خطابا امام مؤتمر للتعليم (ولم أفهم ما علاقة مثل هذا المؤتمر ببيان على مستوى عال حول الشرق الاوسط) اشتهر فيما بعد باسم « مشروع روجرز » .

وقال فى خطابه : « اننا نعتقد انه فى الوقت الذى يجب فيه اقرار حدود سياسية معترف بها ومتفق عليها بين الاطراف فان أى

تغييرات في الخطوط السابقة يجب الا تعكس ثقل الغزو ويجب أن تقتصر على تغييرات غير جوهرية يتطلبها الامن المتبادل . اننا لا نؤيد التوسع . ونعتقد ان القوات يجب أن تنسحب وفقا للقرار . ونحن نريد أمن اسرائيل وامن الدول العربية ايضا »

وبعد ساعات . كان كل شخص يطلق النار على خطاب روجرز .

ونظرا لان الخطاب يحتوى على عناصر مرفوضة سلفا من كل من الجانبين فقد كان من المحتم أن يتعرض للهجـــــوم من كل الاتجاهات . وهاجمت الصحف المصريةالخطاب باعتباره خدعةامريكية هدفها ان تتظاهر الولايات المتحدة أمام العرب بانها غير متحيزة . وبعد ذلك سارت صحيفة « برافدا » السوفيتية في نفس الخط . ووصفت الخطاب بانه محاولة امريكية لوضع قناع على انحياز امريكا لاسرائيل . وفي اليوم التالى للخطاب رفض مجلس الوزراء الاسرائيلى كل الجهود الخارجية لوضع خط للحدود . واعربت المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى عن « قلق خطير » تجاه الخطاب . وتم ايفاد أبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلى مرة أخرى لاجراء مباحثـات مع المســـئولين الامريكيين .

● موضوع لعلم النفس !

ومع ذلك فقد اجتمع مجلس الامن القومي الامريكي يوم ١٠ ديسمبر لوضع مشروع التسوية مع الاردن . أما الدافع الذى جعل وزارة الخارجية الامريكية تواظب على المثابرة في وضع هذه المشروعات في الوقت الذى تشير فيه جميع الدلائل الى فشل محقق .. فهذا امر متروك لطلبة علم النفس الادارى لكى يعكفوا على دراسته !

وفي اجتماع مجلس الامن القومي ـ المشار اليه ـ قرر نيكسون ان يترك مشروع التسوية مع الاردن يسير قدما على أن يظل البيت الابيض الامريكي بعيدا تماما عن هذا المشروع بقدر الامكان ! وفي نفس الوقت الذى صرح فيه نيكسون بتقديم المشروع الى المحادثات الرباعية .. فقد أمر بتقديم تأكيدات سرية لجولدا مائير بان الولايات المتحدة لن تمضى أكثر من ذلك على هذا الطريق وأنها لن تضغط عليها في سبيل تنفيذ المشروع .

● المحادثات .. ماتت !

واثار الاسرائيليون ـ رغم ذلك ـ عاصفة . ودعت جولدا مائير الى اجتماع لمجلس وزرائها لبحث العلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية .

واعربت مائير عن « خيبة أملها المريرة » . وقالت أن الموقف الامريكي « فضيحة وكارثة » ..

ولتهدئة مخاوف الاسرائيليين .. أوصى سيسكو باتخاذ قرار ايجابي مبكر بشأن طلبات المعونة الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل . ووافق نيكسون . وسوف تظل هذه الحلقة مستمرة في كل خطوة من خطوات المفاوضات التي لا توافق عليها اسرائيل . اذ تعتمد الولايات المتحدة تصميم برامج المساعدة لاسرائيل دون أن يحدث أي لقاء حقيقي في الافكار مع اسرائيل .

ولم يتم احراز أي تقدم بعد تسعة أشهر من مناقشة المبادىء العامة والتحول الى مشروعات محددة للتسوية في الشرق الاوسط . ولم تتحسن العلاقات مع مصر . وربما كان هناك سبب رئيسي هو أن الاتصال المباشر مع مصر كان محدودا .

وفي ٢٣ ديسمبر ١٩٦٩ . أي بعد شهرين من الانتظار . رد السوفييت في النهاية على اقتراحنا الذى قدم في ٢٨ أكتوبر . وكان الرد بالرفض . وقال لي السفير دوبرينين أن مشكلة الشرق الاوسط يمكن تسويتها فقط « على أعلى مستوى » . وقلت له انه لا يوجد لدينا جديد يمكن ان يضاف الى مشروعاتنا المقدمة .

وهكذا .. ماتت المحادثات الرباعية والمحادثات الثنائية . والجديد أن نيكسون اصبح الآن يشاركني تماما الرأى بأن الوقت لم ينضج بعد للتسوية . ولكنه كان يفضل أن تموت مبادرتنا دون اعلان بدلا من أن نأمر بموتها .



● التعليق على
الفصل الخامس

٣ أخبار خطيرة ..

لعل هذا الفصل الجديد من مذكرات هنرى كسينجر يتميز بثلاثة أخبار .. بل هى فى رأيى أكثر من خطيرة .

● **الخبر الاول**

●●● الخبر الاول هو أن الاتحاد السوفيتى أبلغ كسينجر على لسان أناتولى دوبرينين السفير السوفيتى فى واشنطن ، أن الاتحاد السوفيتى لم يرفض مشروع روجرز كما فهمت أمريكا خطأ من الرد السوفيتى . وهذا نص كلمات كسينجر عما جرى بينه وبين السفير السوفيتى على الموقف العلنى الذى اتخذته وزارة الخارجية الامريكية . التى قال أنها فسرت رد موسكو على مشروع روجرز تفسيرا خاطئا واعتبرت أن هذا الرد هو الرفض » ..

ويعلق كسينجر على ذلك بقوله « ان هذا التفسير الجديد الذى قدمه دوبرينين قد غاب بوضوح عن كل شخص قرأ مذكرة موسكو التى أرسلت فى شهر ديسمبر . بما فى ذلك كاتب هذه السطور . كما أن السوفيت لم يعارضوا من قبل تفسيرنا لموقفهم على أنه رفض لمشروع روجرز » .. ثم انقطع الاتصال السوفيتى الامريكى قرابة شهر بعد هذا اللقاء بين كسينجر ودوبرينين .

يفهم من هذا بكل وضوح أن الاتحاد السوفيتي كان يلعب على الحبلين - ففي رحلة عبد الناصر الى موسكو التي يشير اليها كسينجر ·· رفض السوفيت ارسال أسلحة الردع التي طلبها عبد الناصر ·· واضطر الى أن يعلن قبوله لمبادرة روجرز وهو على نفس المائدة مع القادة السوفيت في الكرملين ·· وجن جنون بريجنيف وسأل عبد الناصر كيف تقبل حلا أمريكيا فأجابه عبد الناصر انه على استعداد لقبول الحل من أية جهة ·· وعاد عبد الناصر الى مصر وأبلغ السادات بذلك وقال له « السوفيت يا أنور حالة ميئوس منها تماما » ·· وقال الجزء الاخير من العبارة باللغة الانجليزية Hopeless Case

●●●

- « وبعث عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتي في رحلة استشفاء استمرت عشرين يوما ، حيث أدخلوه غرفة الاوكسوجين الخاصة برجال الفضاء ليجدد خلايا جسمه كلها ··

وكانت هذه آخر زيارة قام بها عبد الناصر للقادة السوفيت - وأنا أنقل هنا عن كتاب أنور السادات « البحث عن الذات » - وكان تأثيرها على صحته سيئا للغاية · فلاول مرة أحس عبد الناصر بأنه ليست هناك ارض للمناورة · وعبد الناصر مناور ممتاز ، ولذلك فهو بدون أرضية مناورة يساوي صفرا ، وهو لا يحب أن يكون صفرا » ·

●●●

يتضح من سطور كسينجر التي لم يكذبها أناتولي دوبرينين السفير السوفيتي الذي حضر احتفال كسينجر باصدار كتابه منذ عشرة أيام ·· وقال ضاحكا ان من حقه ربع الارباح ·· لان كسينجر تناوله في ربع فصول الكتاب ·· يتضح من ذلك أن الاتحاد السوفيتي كان يلعب بعبد الناصر · يبلغ واشنطن سرا انهم لم يرفضوا مشروع روجرز ·· ويحتجون على عبد الناصر لقبوله المشروع · بل ان احتجاج بريجنيف كان غاضبا وعصبيا !

● الخبر الثاني

●●● الخبر الخطير الثاني أن أجهزة المخابرات الامريكية التي كانت تنقل لكسينجر أخبار كل الاتصالات التي كانت تجرى بين عبد الناصر والسوفيت ·· كانت أخبارها خاطئة ومبتورة · ذلك لان كسينجر يبني في مذكراته قراره بان تستعد أمريكا عسكريا ،

للتدخل لحماية اسرائيل . على أساس أن العلاقات بين عبد الناصر والسوفييت كانت فى قمة التفاهم .. وأنهم يغدقون على مصر بكل الاسلحة التى يطلبها عبد الناصر .. بل انهم مستعدون للتدخل عسكريا .. مع مصر فى حرب ضد اسرائيل .

●●●

وأنا أنقل هنا أيضا فقرة أخرى من مؤلف السادات وهو يستعرض جهود عبد الناصر لامتصاص آثار الهزيمة على الشعب ، ببيان ٣٠ مارس .. « صورة أخرى من صور الانتقال هذه كانت حرب الاستنزاف التى بدأناها فى سبتمبر ١٩٦٨ بعد أن كان اللواء أحمد اسماعيل قد انتهى من بناء خط الدفاع المصرى وكنا قد سرنا شوطا لا بأس به فى تدعيم قواتنا المسلحة .. بدأت الحرب بالمدفعية . فردت علينا اسرائيل بضرب محطة المحولات فى نجع حمادى وقناطر نجع حمادى وكوبرى قنا فى الصعيد .. فاضطررنا الى التوقف من سبتمبر ٦٨ الى مارس ٦٩ حيث استطعنا فى تلك الفترة أن نحمى جميع المنشآت ثم استأنفنا فى سنة ٦٩ رغم أن الاتحاد السوفيتى كان ضد هذا .. ولم يعوضنا عن الذخيرة التى استنفذناها حينذاك الا مع الكوبرى الجوى عند بدء معركة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . وكان هذا عقابا لعبدالناصر لانه بدأ حرب الاستنزاف واستمر فيها ضد رغبة السوفييت » ..

●●●

.. اذن السوفييت كانوا ضد حرب الاستنزاف ، وعاقبوا عبدالناصر بعدم تعويضه عما فقده من ذخيرة فى هذه الحرب .. واستمر ذلك بعد وفاته حتى حرب أكتوبر .

تمت هذه الوقائع فى رحلة عبد الناصر العلنية التى قام بها الى الاتحاد السوفيتى فى ديسمبر ١٩٦٩ .. بعد مبادرة روجرز بناء على طلبه .. وأعد أنور السادات لهذه الرحلة مع السفير السوفيتى فى القاهرة فينوجرادوف .

●●●

ولكن عبد الناصر قام برحلة سرية أخرى الى الاتحاد السوفيتى بناء على طلبه فى يناير ١٩٧ . وقد عاد من هذه الرحلة لتى استمرت اربعة ايام سعيدا . لانه تصور أن السوفييت سيصدقون القول معه هذه المرة .. ولكن انتهت هذه الرحلة أيضا بالفشل ولم يف السوفييت بتعهداتهم .. حتى أن عبد الناصر قال فى ابريل ١٩٧٠ وهو ضائق بالموقف .. « انه لا مهرب أمامه من الاتجاه الى أمريكا .. »

وأنقل تفصيل ذلك عن كتاب أنور السادات ـ رغم أنني أشرت اليه باختصار في تعليق سابق .



قال أنور السادات في صفحة ٢٥٧ من « البحث عن الذات » وهو يصف صراع عبد الناصر مع السوفييت من أجل بقاء مصر . وصراع السوفييت مع عبد الناصر من أجل بقائهم في المنطقة .. قال السادات: « .. ففي أول يناير سنة ١٩٧٠حينما ضربت اسرائيل مصنع أبوزعبل وقتل فيه أكثر من ٧٠ عاملا بريئا استدعى عبد الناصر السفير السوفيتي وكبير الخبراء وأخبرهما أنه ليس في امكانه الانتظار الى يونيو وهو ميعاد تسليم بطاريات الصواريخ سام ٣ . وخاصة بعد أن وصلت اسرائيل الى العمق وضربت التجمعات العمالية والسكانية . فحدد القادة السوفييت ميعادا في ٢٢ يناير ـ أي بعد لقائه بالسفير السوفيتي بثلاثة أسابيع ـ وسافر الى موسكو في زيارة سرية استغرقت أربعة أيام عاد بعدها وهو في قمة السعادة .

قلت له خير يا جمال ؟

قال : الدور ده الظاهر حيصدقوا معانا ..فأنا لما قلت أن الامر عاجل وملح وطلبت منهم يبعتوا لنا صواريخ سام ٣ بأطقم سوفيتية الى أن يتم تدريب أطقمنا في أغسطس جمعوا القيادة السياسية وأخدوا قرارا بارسال سام ٣ ابتداء من شهر مارس ١٩٧٠ » .



ويستطرد أنور السادات قائلا : « كنا منذ الهزيمة نلح على السوفييت أن يعاونونا في الدفاع الجوي . حتى أن عبد الناصر طلب منهم حينذاك أن يتولى الدفاع الجوي عن مصر قائد سوفيتي . فقد كان الدفاع الجوي عندنا نقطة ضعف بارزة كما ثبت في عامي ٦٩ و ٧٠ عندما ضربت اسرائيل مصنع أبو زعبل ومدرسة بحر البقر للاطفال . ولذلك اعتبرنا دخول سام ٣ مصحوبا بجنود سوفييت . نقطة تحول في تعامل السوفييت معنا .. ولكن جاء ابريل ١٩٧٠ موعد وصول الطائرات تي يو ١٦ التي كانوا قد وعدوا بارسالها مع الصواريخ ولم يظهر لها أثر . وسألنا مرة ومرات أين الطائرات التي وعدتم بها ؟ .. ولكن لا اجابة .. نفس الاسلوب القديم الذي كنا تصورنا أنهم غيروه . وضاق عبد الناصر بالموقف

كله وقال لى : اسمع يا أنور أوراق اللعبة كلهـا فى ايد أمريكا شئنا أم أبينا ولقد آن الاوان عشان نتكلم وندخل أمريكا فى العملية .. وفعلا بدأت أمريكا الحوار فى يونيو سنة ٧٠ بمبادرة روجرز التى تنص على نقطتين هما الانسحاب ووقف اطلاق النار لمدة ٩٠ يوما يجرى فيها وسيط من الامم المتحدة المفاوضـات بين الاطراف المعنية من أجل تسوية مشكلة الشرق الاوسط .. كان الوسيط جونار يارنج منذ أن صدر قـرار مجـلس الامن ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧ . وكنا نعرف أن مهمته محكوم عليها بالفشل بسبب تعنت اسرائيل ، وفعلا لم يستطع أن يحقق شيئا وانتهت مهمته فى سنة ١٩٧١ .

●●●

أخلص من هذا أن فهم كسينجر والبيت الابيض ووزارة الخارجية الامريكية أن السوفيت كانوا يغرقوننا بكل ما نطلبه من سلاح .. كان فهما خاطئا .. ولم تدرك معلوماتهم أبدا المحنة التى كان يمر بها جمال عبد الناصر فى تعامله مع السوفيت .

كما أن تصور كيسنجر أن قوات الاتحاد السوفيتى كان يمكن أن تشارك فى القتال ، تصور خاطىء .. لا اساس له من الواقع بنى عليه دعوته الى نيكسون واقناعه بضرورة التواجد العسكرى الامريكى لمواجهة السوفيت .. وهو قرار حاول كيسنجر استصداره ولكن وزارة الدفاع الامريكية رفضت القـرار وطلبت من البيت الابيض الحل السياسى .

●●●

ونفهم ايضا من الحقائق ان رسالة كوسيجين التى ارسلها فى ٢١ يناير عام ١٩٧٠ ، بعد انتهاء زيارة عبد الناصر السرية بأيام ، الى كل من الرئيس نيكسون وبريطانيا وفرنسا .. وجرى اعلانها كانت لمجرد التهويش والاستهلاك العالمى .. وكانت الرسالة تهدد بأنه اذا استمرت هجمات اسرائيل « فان الاتحاد السوفيتى سيكون مضطرا لان يستوثق من أن الدولة العربيـة تملك تحت تصرفها الوسائل التى تكفل مساعدتها على صد المعتدى المتعجرف بالطريقة المناسبة » .

كانت رسالة للاستهلاك والتهويش بدليل أن الاتحاد السوفيتى لم يف بتعهداته للرئيس عبد النـاصر .. أرسل الصواريخ ولم يرسل الطائرات .

ولما رد نيكسون على كوسيجين ردا حازما فى ٤ فبراير ١٩٧٠ ، « بتحذير بأن التهديد السوفيتى بزيادة شحنات الاسلحة يمكن — فى حالة تنفيذه — ان يجر الدول الكبرى بصـــورة أكثر عمقا الى النزاع » عندما تلقى كوسيجين هذا الرد فى ٤ فبراير ١٩٧٠ — أى بعد انتهاء زيارة عبد الناصر السرية بسبعة أيام فقط ٠٠ تراجع السوفيت عن تعهداتهم لعبد الناصر ٠٠ وبعد أن تعهدوا بارسال صواريخ سام ٣ ابتـــداء من مارس ١٩٧٠ ٠٠ عدلوا عن ارسال الطائرات تى يو ١٦ ٠٠ وسأل عبد الناصر مرات ومرات عن السبب ٠٠ ولم يسمع اجابة من الاتحاد السوفيتى ٠

●●●

وكان تقدير كسينجر الخـاطئ، الذى اقتنـــع به حتى روجرز وسيسكو — غير نيكسون طبعا ، انه اقتنع ان رسالة كوسيجين التى كانت شديدة الاسهاب ٠٠ « ليست خطوة معزولة » ولابد أن تكون جزءا من خطة أوسع ٠٠ ويكاد يكون من المؤكد أنهـــا نذير بعمل محدود فى المجال العسكرى ٠

ثم يقول كسينجر بعد ذلك : « ٠٠ وأثار ذلك عنـدى احتمالا أكثر شؤما ٠٠ وهو أنه اذا سعى السوفيت الى القيام بشىء فعال ضد الهجمات الاسرائيلية ، فان ذلك يبدو انه يجعل من المقطوع به تقريبا أن تشترك فى الامر عناصر سوفيتية ٠٠ »

ثم يستطرد « وقمت باعداد خطة طوارئ لمواجهة احتمال تحرك سوفيتى ما له أهميته ٠٠ واستعرضت خططنا فى حالة تهـــديد السوفيت لاسرائيل بعمـــل انتقـامى ٠٠ وقدمت وزارة الدفاع الامريكية مذكرة رسمية تؤكد فيهـا على أنهـــا تفضل اختيارات سياسية ٠

وهذا ما يجعلنا نسجل أن تقديرات كيسنجر وتحليلاته فقدت صوابها ٠٠ وانه لم يكن قد تمرس بعد على أساليب السوفيت ٠٠ وان البيت الابيض لم يكن يدرى شيئا عن ازمات عبد الناصر مع السوفيت من ناحية الامداد العسكرى ٠

● الخبر الثالث

الخبر الخطير الثالث الذى جاء فى هذه المقتطفات التى ننشرها من كتاب كسينجر أنه تصور أن المقاتل المصرى لن يستوعب الاسلحة

السوفيتية المتطورة وان اسرائيـــل ستنسف هذه الاسلحة ·· ولذلك فان السوفيت سوف يشاركون فى القتـــال ·· ويهددون وجود اسرائيل · وكسينجر يقول فى ذلك : « وأعربت لنيكسون عن شكوكى فى جدوى المعدات الحربية السوفيتية وحـــدها التى ترسل الى مصر ·· ذلك لانه اذا أدت الاسلحة الجديدة الى مجرد زيادة الترسانة الحربية القائمة فسوف يجرى تدميرها بواسطة الاسرائيليين ·· أما اذا كانت هذه الاسلحة أكثر تطورا ·· فان المصريين سيعجزون عن تشغيلها » ·· ولذلك قدر أن السوفيت سوف يحاربون اسرائيل بقواتهم !!

●●●

وقد اتضح أنه بمجرد أن تسلم السوفيت ردا عنيفا من نيكسون ·· أسرع السفير السوفيتى فى واشنطن (دوبرنين) لكى يؤكد لكسينجر ·· « انه يعترض على اذاعة رسالة كوسيجين ·· الامر الذى تسبب فيه السوفيت أنفسهم عن طريق قيـــامهم بارسال رسائل مماثلة الى باريس ولندن ·· » كما قال دوبرنين ان وزارة الخارجية الامريكية فهمت خطأ أن الاتحاد السوفيتى رفض مشروع روجرز !!

● **خبر اضافى**

ويستتبع هذا الخبر الخطير الثالثفى مذكرات كسينجر خبرآخر يدل فعلا على وقوعه فى خطأ أكبر عنـدما ســخر من تقـــدير كل الوزارات الامريكية من أن اسرائيل (فى عام ١٩٧٠) تستطيع الاحتفاظ بتفوقها العسكرى خلال فترة تتراوح بين ٣ و ٥ سنوات دون الحاجة الى شحنات جديدة كبيرة من الاسلحة · وكان هـــذا أيضـــا تقدير الوكالات الامريكية المتخصصة (يقصد أجهزة المخابرات) ويدافع كسينجر عن خطئه بقوله « ان الاحداث أثبتت بعد ذلك فى حرب اكتوبر على أنه حتى بعد الشحنات العسكرية الضخمة لاسرائيل فى الفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ ·· فان التوازن العسكرى فى الشرق الاوسط أصبح هشا ·· »

ان كسينجر يتجاهل هنا ، ان الانتصار المصرى فى اكتوبر ، لم يكن انتصار سلاح فقط ·· بل كان انتصـــارا لارادة وايمان المقاتل المصرى ·· لانه من المقطوع به ، ان ما كنا نملكه من سلاح فى حرب اكتوبر كان أقل كثيرا من الترسانات الامريكية الضخمة



دوبرينين
قال ان واشنطن اخطات عندما فسرت موقف موسكو بأنه رفض لمبادرة روجرز



كوسيجين
الانذار التهويشى .. الذى خدع كسينجر .. ثم تراجعت موسكو على الفور ..

التى يملكها جيش اسرائيل . ويعترف كســـينجر أن اسرائيل طلبت من امريكا فى عام ١٩٧٠ فقط ٢٥ طائرة فانتوم (ف ــ ٤) من قاذفات القنابل المقاتلة ، و ١٠٠ (مائة) طائرة قاذفة هجومية من طراز سكاى هوك (أ ــ ٤) وعددا لايحصى من الدبابات وناقلات الجنود لصفحة ..

وكل ذلك كان مجانا بالطبع ، تحت ستار أشكال متعددة من القروض الامريكية التى لاتسددها اسرائيل .

●●●

والحديث يطول ويطول .. عن سوء تقديرات كسينجر .. أو سوء نيته فى هذه التقديرات !

الاتحاد السوفيتي لم يرفض .. مبادرة روجرز

- كسينجر يقترح ارسال قوات عسكرية الى الشرق الاوسط بعـــد حرب الاستنزاف لمواجهة احتمال تدفق عسكرى سوفيتى .
- وزارة الدفاع الامريكية تعترف .. وتطلب حـلا سياسيا .
- نيكسون يقول : ان هزيمة ٦٧ تحولت الى انتصار سياسى للسوفيت . فقد اصبحوا اصدقاء للعرب واصبحنا نحن الاعداء .
- كسينجر مقتنع بان المصريين سوف يعجزون عن تشغيل الاسلحة الحديثة .
- نيكسون يحـــاول ان يظهر عدم اهتمامه بالنفوذ اليهودى داخل امريكا .. ثم يتراجع امام نصيحة كسينجر .

● الفصل الخامس ●

الاتحاد السوفيتي لم يرفض مبادرة روجرز

كتب كسينجر :



في يناير عام ١٩٧٠ بدأت اسرائيل «غارات العمق» في مصر وشنت هجمات جوية حول القاهرة ودلتا نهر النيل كان الهدف من هذه الغارات هو اظهار عجز عبد الناصر وارغامه على وقف ما يسمى بحرب الاستنزاف · ونقل عن جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل انها تقول لزوارها أنها لا تستطيع التكهن بالموعد الذي يصبح فيه السلام ممكنا مادام عبد الناصر يحكم مصر ·

وعلى الجبهة الاردنية تزايدت سرعة الحلقة المفرغة من غارات الفدائيين والعمليات الانتقامية الاسرائيلية ووقعت اشتباكات بين اسرائيل وسوريا في الجولان ·

وفي النهاية ·· قام عبد الناصر فجاة برحلة سرية الى موسكو· وبدأت بعد ذلك مشكلات الشرق الاوسط تندمج بصورة متزايدة مع العلاقات بين الدولتين الكبريين ·

وكانت الولايات المتحدة مشلولة في تلك الفترة بسبب خلاف خطير داخل حكومتها حول طبيعة المشكلة · وكانت فكرة وزارة

الخارجية الامريكية أن الاصـــل فى مصـــاعبنا هو نزاع العرب والاسرائيليين حول الاراضى ·· وما أن تحل هذه المشـكلة ، فان نفوذ المتطرفين العرب سوف يتضاءل وكذلك الدور السوفيتى فى الشرق الاوسط ·

هذا ما كان يقوله الخبراء ·

وكانت هذه الاراء هى التى توجه دبلوماسيتنا خلال عام ١٩٦٩ ودفعتنا الى طرح مقترحات محددة أكثر فاكثر من أجل تسويات شاملة ·

● اسباب للتطرف !

وكانت عندى شكوك خطيرة ازاء هذه الادعاءات وازاء الطريق الذى كانت تفرضه · وكان تقـــديرى للموقف ، كما شرحته للرئيس نيكسون فى مذكرة ، أن للتطرف العربى خمسة اســـباب : غزو اسرائيل للاراضى ــ وجود اسرائيل نفسه ــ سخط اجتمـــاعى واقتصادى ــ المعارضة للمصالح الغربية ــ المعارضـــة للمعتدلين العرب ·

والعنصر الاول فقط هو الذى سيتاثر بالتسوية ، اما العناصر الاخرى فسوف تبقى · وستظل الرأسمالية الغربية شيئا بغيضـــا بالنسبة للمتطرفين ، وستظل نظم الحكم العربية المعتدلة غيرمقبولة· وستبقى أسباب القلاقل الاجتماعيةو الاقتصادية · وستظل اسرائيل باقية هناك لكى يسعى المتطرفون العرب الى ازالتها ·

وكان الاسرائيليون يدركون ذلك ·· لان المشكلة بالدقة هىمشكلة وجود اسرائيل وليست قضية حدود معينة لها · ولهذا كانت تحجم عن التخلى عن مكتسبات غزواتها ·

● مفتاح السلام

كذلك لم آكن مقتنعا بان النفوذ السوفيتى سوف يتلاشى حتما لحل النزاع العربى ــ الاسرائيلى · فالكثير يتـــوقف على طريقة

وتفاصيل التسوية . أن معالجة شاملة تضم جميع الاطراف ستكون بطبيعة الحال لصالح المتطرفين لانها ستعطى لاكثر الحكومات تشددا حق الفيتو (الاعتراض) على العملية برمتها . واذا بدا أن تسوية ما قد تحققت نتيجة للضغط أو الابتزاز السوفيتي .. فان النظم المتطرفة - بتوجيهاتها المناهضة للغرب والموالية للسوفيت - سوف تتدعم . وفى هذه الحالة ستعود الاراضى الى زبائن السوفيت .

كنا نحتاج للعمل .. لا من أجل أى حل ، بل لكى نبرهن على أن احراز تقدم يمكن ان يتحقق بصورة أفضل بواسطة أصدقائنا وبعبارة أخرى .. ان المعتدلين هم الذين يمسكون بمفتاح السلام فى الشرق الاوسط .

وكنت مقتنعا بأننا فى مركز قوى يتيح لنا تلقين هذا الدرس . ووجهت النصح الى نيكسون فى أوائل فبراير قائلا :

« ان الميزة التى نتمتع بها هى أن العرب سيتحقق لديهم أن الولايات المتحدة ، وليس الاتحاد السوفيتى ، هى التى تمسك بمفتاح ما يريدونه » .

وفى اجتماع « للمجموعة العليا لاستعراض المواقف » فى ٢٥ فبراير .. قلت « فى مرحلة معينة .. سيصبح من الواضح أن الزمن لا يسير لمصلحة السوفيت . فاذا لم يستطيعوا اعادة الاراضى للعرب ، فان العرب سوف - يجيئون الينا » ولذلك - يجب الا نذعن للابتزاز . ويجب الا تصيبنا البيانات المتطرفة الطنانة بالرعب ويمكن أن يكون الصبر هو سلاحنا . وما ان ينكسر الجمود ويتجه العرب المعتدلون نحونا حتى نتحرك بحسم لاحراز تقدم دبلوماسى.

ولكننى لم أكن فى وضع يتيح لى تنفيذ مثل هذه الاستراتيجية . فقد عهد نيكسون بالشرق الاوسط الى روجرز . وكان الرئيس يمتنع عن التدخل حتى لو كان له راى اخر . كما انه لم يكن مقتنعا فى ذلك الوقت بأن استراتيجيتى سليمة فقد كان لايزال يرى أن الاتحاد السوفيتى هو الذى انتصر سياسيا فى حرب عام ١٩٦٧ . ولم يكن قد تخلى عن فكرة غامضة تتعلق بمقايضة مع الاتحاد السوفيتى بين الشرق الاوسط وفيتنام . وكان نيكسون يعتبر نفسه أقل التزاما من أى شخص من الرؤساء السابقين عليه نحو الاصوات الانتخابية اليهودية فهو لا يشعر بأن لها فضلا عليه .. وكان يتوق الى اثبات أنه لا يتأثر بضغوط جمهرة الناخبين اليهود . كذلك كانت لديه شكوك ازاء تأثر آرائى بالاصل اليهودى الذى انتمى اليه.

ولو كانت الامور تسير ســيرها الطبيعي لكنت قد عملت على تشكيل اختيارات نيكسون الاســتراتيجية والتوجيــه التكتيكي للوزارات غير أنني كنت مستبعدا من القيـــام بذلك فيما يتعلق بالسياسة الامريكية فى الشرق الاوسط حتى أواخر عام ١٩٧١ ٠

وهكذا كانت سياستنا فى الشرق الاوسط تفتقر الى التوجيــه الذى يصدر عن الفكر الواحد ، الامر الذى اعتاد نيكسون أن يطالب به٠ وترك نيكسون الامور تسير على غير هدى ٠٠ وهو على ثقة من أنه بمساعدتى سوف يتمكن دائما من السيطرة على هذه الامور قبل أن يفلت الزمام ٠

وقد سمح نيكسون بقدر من حرية التصرف أو الاختيار لوزارة الخارجية ٠٠ الامر الذى لم يكن متصورا أن يفعله فى أى منطقة اخرى ٠

ولكن ٠٠ بعد كل ما قيل وما تم ٠٠ ولان معتقــدات نيكسون كانت أقرب الى معتقداتى منها الى معتقـــدات روجرز فقد وضع الرئيس الامريكي « الفرامل » بالقدر الذى يحول دون تطبيق سياسة متماسكة على أيدى وزارة الخارجية ٠

● رسالة من موسكو

فى ٣١ يناير عام ١٩٧٠ قام أناتولى دوبرنين السفير السوفيتى فى واشنطن بتسليم رسالة من الكسى كوســيجين رئيس الوزارة السوفيتية للرئيس نيكسون ٠ وقد علمنا انه تم تسليم رسائل مماثلة الى كل من هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا والرئيس الفرنسى جورج بومبيدو ٠

وكانت رسالة كوسيجين تحذر من أن اسرائيــــل قد استأنفت بالفعل العمليات العسكرية ضد الدول العربيـــة ٠٠ وان الاتحاد السوفيتى يدرس ٠٠ الى أى مدى تم تنسيق هذه العمليات الاسرائيلية مع التصرفات الدبلوماسية « لدول معينة » وهى اشارة غير بارعة الا أن مقترحاتنا السلمية البريئة التى قدمناها فى عام ١٩٦٩ كانت غطاء لغارات الاعماق التى تقوم بها اسرائيل فى الجو ٠٠ وأضافت الرسالة أنه اذا استمرت هجمات اسرائيل « فان الاتحاد السوفيتى سيكون مضطرا لان يستوثق من أن الدول العربيـــة تملك تحت تصرفها الوسائل التى تكفل مساعدتها على صد المعتدى المتعجرف بالطريقة المناسبة ٠ ودعا كوســيجين الدول الاربع الى « اجبار »

اسرائيل على وقف هجماتها واقامة سلام دائم يبدأ بانسحاب القوات الاسرائيلية بأسرع ما يمكن من جميع الاراضي العربية المحتلة ٠

وقلت لنيكسون تعليقا على الرسالة ان هـــذا هو أول تهديد سوفيتي للحكومة الامريكية الجديدة ٠ ولم يهدد كوسيجين باتخاذ اى خطوة محددة ولكن قوله بأن اسرائيل يجب أن تنسحب قبل تسوية القضايا الاخرى ٠٠ هو ارتداد الى الموقف السوفيتي في عام ١٩٦٧ ٠ الامر الذى يبدو أنه تحقق فى المحـــادثات الامريكية ـ السوفيتية في الصيف الماضي ٠ وفى نفس الوقت اعتبرت ان رسالة كوسيجين تعكس موقفنا الاقوى في الشرق الاوسط ٠

● مأزق ومسئولية

ذلك أن سياستنا الحازمة تخلق المأزق التالى أمام السوفيت : اذا لم يوافقوا على مقترحاتنا فانهم لن يحصلوا على شيء وتقع مسئولية التصعيد عليهم ٠ وسيخسر زبونهم اذا أدى التصـــعيد الى صدام كبير ٠ واذا وافقوا فانهم سيضطرون الى التخلي عن زبونهم وفقا لشروطنا ٠ ان استراتيجية الرد من جانبنا التى اقترحها يجب أن تكون بالغة الشدة فى مواجهة التهديد السوفيتي ٠٠ وهى الربط بين احترام اسرائيل لوقف اطلاق النار وبين احترام مماثل من جانب الطرف الآخر بما فى ذلك احترام القوات غير النظـــامية ـ للطرف الآخر ـ لوقف اطلاق النار ٠٠ وذلك للضغط على السوفيت لكي يكشفوا آراءهم فيما يتعلق بما سيلزم العرب أنفسهم به فى حـــالة انسحاب اسرائيل ٠

ولاول مرة اتخذت حكومتنا موقفا موحدا حول كيفية الرد على كوسيجين ووافق روجرز وجوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية على أننا فى حاجة الى رد حازم ٠ تم ارسال رد الرئيس نيكسون يوم ٤ فبراير يتضمن رفضا صارما للمزاعم السوفيتية ويشير الى أن وقف اطلاق النار قد انتهك من جانب الطرفين والى أن مصر هى التى أشعلت دائرة التصعيد عن عمد فى عام ١٩٦٩ عن طريق البدء فى حرب استنزاف ٠ وحذر نيكســـون فى رده من أن التهديد السوفيتي بزيادة شحنات الاسلحة يمكن ـ فى حالة تنفيذه ـ أن يجر الدول الكبرى بصورة أكثر عمقا الى النزاع ٠ وجاء فى الرسالة « ان الولايات المتحدة ترقب بعناية التـــوازن النسبى فى الشرق الاوسط ولن تتردد فى تقديم الاسلحة الى الدول الصديقة اذا ظهرت الحاجة » ٠ واختتمت الرسالة برفض الموقف السوفيتي الذى يدعو

الى ضرورة انسحاب اسرائيل قبل تسوية القضايا الاخرى المتعلقة بالسلام .

● الرد المضاد

وفى نفس اليوم أرسلت الى الرئيس نيكسون المزيد من الافكار حول هذه الرسالة السوفيتية .

وقد اعتبرتها بمثابة مناورة شاذة وبالتالى فانها مزعجة :

« .. لابد من أن نتوقع على الاقل اننا سوف نرد على الاتحاد السوفيتى - ان لم تكن فرنسا وبريطانيا ستردان أيضا - بأننا نفضل اعادة وقف اطلاق النار على أساس تبادلى . وهكذا يكون الرد المضاد على التحرك السوفيتى هو القاء تبعة اعادة وقف اطلاق النار على عبد الناصر والعرب . ومن خلالهم نلقى التبعة على السوفيت أنفسهم .. وليس علينا وعلى الاسرائيليين » .

وبعد يومين قدمت تحليلا مسهبا للرئيس نيكسون حول القضايا الرئيسية فى استراتيجية الشرق الاوسط . واعدت تأكيد وجهة نظرى : « الان بعد أن اتجه عبد الناصر الى موسكو لكى يشتد علينا فى الضغط على اسرائيل لوقف القصف الجوى ، فانه على وشك أن يكشف العجز السوفيتى عن اخراجه من الورطة التى يوجد فيها »

● ستار من الدخان

ونظرا لان رسالة كوسيجين كانت شديدة الاسهاب ولم تطلب شيئا يمكن تنفيذه فى الواقع ، فقد بدات أقتنع بأنها ليست خطوة معزولة ولابد أن تكون جزءا من خطة أوسع .. ويكاد يكون من المؤكد انها نذير بعمل محدد فى المجال العسكرى .

ولابد أيضا من تفسير غموضها بالرغبة فى تثبيط الهمة فى الرد الذى قد يتدخل فى قرارات سبق اتخاذها .

ونحن نعرف الان من كتاب أنور السادات « البحث عن الذات » أنه بينما كان عبد الناصر فى موسكو فى أواخر يناير ١٩٧٠ . تم اتخاذ قرار بتزويد مصر بأحدث الصواريخ السوفيتية المضادة للطائرات .

وهكذا لم تكن رسالة كوسيجين تحذيرا بل ستارا من الدخان .
وفى الاسبوع الاول من شهر فبراير (١٩٧٠) .. ظهرت دلائل

على أن السوفيت قد يرسلون اسلحة جديدة الى مصر · وأعربت لنيكسون عن شكوكي في جدوى المعدات الحربية ـ وحدها ـ ذلك لانه اذا أدت الاسلحة الجديدة الى مجرد زيادة الترسانة الحربية القائمة فسوف يجرى تدميرها بواسطة الاسرائيليين اما اذا كانت هذه الاسلحة أكثر تطورا ·· فان المصريين سيعجزون عن تشغيلها وقد أثار ذلك عندى احتمالا اكثر شؤما : اذا مضى السوفيت الى القيام بشيء فعال ضد الهجمات الاسرائيلية · فان ذلك يبدو أنه يجعل من المقطوع به تقريبا أن تشترك في الامر عناصر سوفيتية » ·

وقرأ نيكسون التحليل الذى أعددته · وكتب على هامشة ما يلى :

« اعتقد أنه حان الوقت للتحدث مباشرة مع السوفيت حول هذه المسالة · ان حكمة دين اتشيسون القائلة : « دع الرماد يهدأ ويستقر » لا تجدى فى هذه الحالة ، وموقف وزارة الخارجية الامريكية القائم على « التفاوض من خلال اى شكل أو عن طريق أى منبر » لا تجدى · يجب أن نقوم بمحاولة على مستوى حديث ثنائي مع موسكو لنرى ما اذا كان من الممكن عقد صفقة تتفق مع مصالحنا » ·

ويقصد بالاشارة هنا الى حكمة « دين اتشيسون » وزير الخارجية الامريكي الاسبق ، الرسالة التى بعث بها اتشيسون فى شهر يناير الى نيكسون والتى يحث فيها على أن نتعامل مع الشرق الاوسط عن طريق « الاهمال البارع الذى ينم عن الذكاء » · وكان نيكسون قد أوضح فى ذلك الوقت (شهر يناير) موافقته على رأى اتشيسون ·

ومن أجل تنفيذ رغبات نيكسون قمت بالتحرك على جبهتين · وصدرت تعليمات من وزارة الخارجية الى جاكوب بيم سفيرنا فى موسكو بابلاغ اندرية جروميكو وزير الخارجية السوفيتى بأن الولايات المتحدة مستعدة للعمل على اعادة وقف اطلاق النار وبحث مسألة الحد من ارسال الاسلحة الى الطرفين · وكما كان متوقعا فان رد جروميكو على (بيم) فى ١١ فبراير كان ابداء عدم الاهتمام بالاقتراح · وقال ان الاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يبحث وقف اطلاق النار ما لم تكف اسرائيل أولا عن غاراتها فى العمق ·· واوضح أنه لا يعارض مناقشة الحد من الاسلحة ولكن ليس مع استمرار بقاء اسرائيل فى الاراضى العربية التى تحتلها ·· وبعبارة أخرى فان على اسرائيل أن تنسحب من جميع الاراضى المحتلة فى

عام ١٩٦٧ .. وكل ذلك يمكن تسويته ـ كما قال ـ في المحادثات الثنائية بين الدولتين ، والاتحاد السوفيتي مستعد لاستئناف هذه المحادثات .

● اخطر انواع القلق

ومما لاشك فيه أن أحد اسباب مراوغة جروميكو هو أن الاتحاد السوفيتي كان يدرس بالفعل اصدار بيان أقوى عن الموقف الامريكي .. فقد حدث في اليوم السابق (١٠ فبراير) انني التقيت ـ بالنيابة عن الرئيس نيكسون ـ مع السفير دوبرنين . ولم يكن السوفيت عند اجتماع بيم مع جروميكو قد انتهوا من تحليل رسالتي

وقلت لدوبرنين (نريد من الزعماء السوفيت أن يعرفوا أن ادخال جنود مقاتلين سوفيت الى الشرق الاوسط سوف ينظر اليه بأخطر درجات القلق) وقد اخترنا هذا الاسلوب في الاتصال لاننا لم نكن نريد مواجهة رسمية . وفي نفس الوقت أبلغت دوبرنين ـ بناء على تعليمات نيكسون ـ برغبتنا في أن نبدأ مناقشات ثنائية حول الشرق الاوسط عبر القنوات الخاصة بيننا .

ولم يكن دوبرنين يضيع فرصة عقد اجتماع معي حتى لو كان لا يحمل تعليمات . وهذا ما حدث في تلك المرة . فقد اعترض على اذاعة أنباء رسالة كوسيجين (الامر الذى تسبب فيه السوفيت انفسهم عن طريق قيامهم بإرسال رسائل مماثلة الى باريس ولندن) كما اعترض على الموقف العلني الذى اتخذته وزارة الخارجية التي قال انها فسرت رد موسكو على مشروع روجرز تفسيرا خاطئا واعتبرت أن هذا الرد هو الرفض .

وهذا التفسير الجديد الذى قدمه دوبرنين قد غاب بوضوح عن كل شخص قرأ مذكرة موسكو التي أرسلت في شهر ديسمبر بما في ذلك كاتب هذه السطور . كما أن السوفيت لم يعارضوا من قبل تفسيرنا لموقفهم على أنه رفض لمشروع روجرز .

● خطة طوارىء

ولم نسمع اى شيء آخر من السوفيت طوال قرابة شهر . وقمت باستغلال فترة الاستراحة في اعداد خطة الطوارىء لمواجهة احتمال تحرك سوفيتي ما له أهميته .. بما في ذلك بالتأكيد ادخال قوات عسكرية الى الشرق الاوسط .

وكشفت الاجتماعات المتعددة لمجموعة الاعمال الخاصة لواشنطن عن انقسامات فى الرأى .

كانت وجهة نظرى أنه اذا ادخل السوفيت قوات عسكرية فانه ليس أمامنا اختيار سوى المقاومة . ولم يكن فى وسعنا أن نقبل بوجود عسكرى سوفيتى جديد كما لم نكن مستعدين لرؤية المتطرفين العرب وقد حصلوا - ربما - على دفعة حاسمة وأردت القيام باستعراض لخططنا فى حالة تهديد السوفيت لاسرائيل بعمل انتقامى . كذلك طلبت اتخاذ اجراءات لمنع استنزاف السلاح الجوى الاسرائيلى فى حالة ادخال السوفيت معدات متطورة تتولى نفس عناصرهم تشغيلها .

● اللوم .. لاسرائيل

كانت جميع الوزارات فى الولايات المتحدة أقل حماسا . معظم من هم فى الحكومة ألقوا اللوم على التعنت الاسرائيلى باعتباره سبب تجمد الموقف . الجميع (باستثناء كاتب هذه السطور) كانوا مقتنعين بأن معونة ضخمة جديدة لاسرائيل يمكن - فى هذه الظروف - ان (تنسف المنطقة وتحولها الى شظايا) . أما عن خطط الطوارىء ، فان أحدا لم يستطع أن يفكر فى عذر مقبول لمقاومة الجهد الذى يستهدف الاعداد للمستقبل ، ولكن .. كان من الواضح أن القيام بأى عمل عسكرى مضاد لتحرك سوفيتى كبير سوف يصطدم بمقاومة بيروقراطية مكثفة .

وقدمت وزارة الدفاع الامريكية مذكرة رسمية تؤكد فيها على أنها تفضل اختيارات سياسية .. مما يعنى - كما هو الحال فى فيتنام - ان وزارة ما أخرى يجب أن تتحمل العبء والمخاطرة . ولم تفسر المذكرة الكيفية التى سنحقق بها انسحابا اسرائيليا كاملا (وهو الاختيار السياسى الوحيد المطروح على المائدة) أو الكيفية التى لن يبدو فيها هذا الانسحاب نتيجة لضغط سوفيتى فى حالة ظهور أفراد مقاتلين سوفيت فى المنطقة .

● اسباب المصاعب

ووافق نيكسون على تحليل الجغرافى .. السياسى .

وكتب تعليماته على احدى مذكراتى :

(رغم أن السياسة المتوازنة هى الصواب .. الا أن مصلحتنا

فوق كل شيء تكمن فيما يثير للسوفيت أشد المتاعب .. لا تدعوا النزاع العربي الاسرائيلي يحجب هذه المصلحة) .

وفي نفس الوقت كان نيكسون يميل الى اراء وزارة الخارجية الامريكية التي تقول ان سياسة اسرائيل هي السبب الرئيسي في المصاعب . وكان يتشكك في أن انكشاف العجز السوفيتي عن احراز تقدم سوف يحرر العرب من الاوهام .

وكتب نيكسون ملاحظة على مذكرة اشرت فيها الى هذا الاحتمال. وكان نص هذه الملاحظة :

« انني اختلف تماما مع هذا الاستنتاج فالسوفيت يعرفون أن العرب يكثرون من الكلام . لقد كنا نتباهى « بهزائم » السوفيت في الشرق الاوسط منذ عام١٩٦٧ وقالت وزارة الخارجية ان حرب يونيو كانت هزيمة للسوفيت . انها لم تكن كذلك . فقد اصبحوا اصدقاء العرب ..والولايات المتحدة عدوهم . واستمرار هذه الحالة على المدى الطويل يخدم مصلحتهم » .

وبطبيعة الحال كانت المشكلة هي كيفية التوفيق بين الملاحظتين اللتين كتبهما نيكسون .. اى كيف نثير المتاعب للسوفيت بينما نتركهم يظهرون باعتبارهم القوة السائدة في المنطقة عند ادخال قوات مقاتلة .

● نيكسون واليهود

ولم يحسم نيكسون هذه المشكلة بالتفكير المجرد .. مفضلا الانتظار الى أن تنشأ الحاجة لاتخاذ قرار . وكما كان يقع دائما في حيرة أمام الخلافات بين مساعديه أو مرءوسيه .. حدث نفس الشيء بالنسبة للمضاعفات الداخلية لازمة الشرق الاوسط . وكان الرئيس مقتنعا بأن معظم زعماء الطائفة اليهودية قد عارضوه خلال حياته السياسية كلها . وكان يقول في دعابة ان النسبة الضئيلة من اليهود التي ادلت بصوتها لصالحه في الانتخابات يجب أن تكون من الجنون المفرط لكي تفكر في احتمال استمرار التشبث به حتى في حالة تحوله ضد اسرائيل ! وكان يشعر بسرور وهو يقول لمساعديه وزواره ان « اللوبي » (مراكز الضغط) اليهودي ليس له تاثير عليه . فهو يريد ان يبرهن - ربما لنفسه - انه متحرر من التأثيرات التقليدية التي تعرض لها الرؤساء الآخرون . ولكنه في نهاية الامر - بعد قدر كبير من الالم والمناورات - كان

ينتهج السياسة التى تتفق مع المصلحة القومية ويسير على نفس الاستراتيجية .. لتقليص النفوذ السوفيتى واضعاف مركز المتطرفين العرب وتشجيع العرب المعتدلين وضمان أمن اسرائيل .

وهكذا كنا - انا ونيكسون - نفترق فى جزء من الطريق .. ولكن فى لحظات اتخاذ القرار حول الشرق الاوسط كنا نلتقى ونتفق ونعمل فى جو من التأييد المتبادل لبعضنا البعض .

● طلبات الاسلحة

وخلال شهر فبراير كانت طلبات القائمة السنوية للمساعدة العسكرية لاسرائيل موضع بحث الحكومة . وفى عام ١٩٧٠ بلغت ٢٥ طائرة فانتوم (ف - ٤) من قاذفات القنابل المقاتلة ومائة طائرة قاذفة هجومية من طراز سكاى هوك (أ - ٤) وعددا ضخما من الدبابات وناقلات الجنود المصفحة .. وكل ذلك يتم دفع ثمنه بأشكال متعددة من القروض الامريكية .

واجمعت كل الوزارات الامريكية على أن اسرائيل تستطيع الاحتفاظ بتفوقها العسكرى خلال فترة تتراوح بين ٣- ٥ سنوات دون الحاجة الى شحنات جديده كبيرة من الاسلحة وكان هذا ايضا تقدير وتقييم الوكالات الامريكية المتخصصة .

وكما أثبتت الاحداث بعد ذلك فان حرب ١٩٧٣ فى الشرق الاوسط برهنت على أنه حتى بعد الشحنات العسكرية الضخمة لاسرائيل فى الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٧٣ .. فان التوازن العسكرى فى الشرق الاوسط أصبح هشا بصورة اكبر مما كان يتنبأ بها المحللون عندنا .

وكان الاتجاه العام فى الجهاز البيروقراطى بالامتناع عن ارسال شحنات جديدة من الاسلحة الى اسرائيل قد تدعم .. بسبب رسائل تحذير من اصدقائنا فى العالم العربى مثل ملك المغرب وملك الاردن .

وفى نهاية فبراير قام الرئيس الفرنسى جورج موميبدو بزيارة للولايات المتحدة .. للتحدث معنا فى ازمة الشرق الاوسط .. وفجأة وقعت ازمة عنيفة بين نيكسون والمنظمات اليهودية الامريكية !

● التعليق على
الفصل السادس

أسرار جديدة وراء مبادرة روجرز

يتضح من كلمات كسينجر للتاريخ – من وجهة نظره – أن روجرز وزير الخارجية الامريكية كان رجلا فاضلا ، وكان مقتنعا بان أمريكا يجب أن تتحرك نحو اقرار السلام ، وأن تثبت وجودها لصالحها ، بدلا من أن تترك عبد الناصر معتمدا على السوفيت بما يدعم نفوذهم ·· وأن التعنت الاسرائيلى هو سبب الفشل المستمر لمحاولات السلام ·· وليس الوجود العسكرى السوفيتى ·

● ● ●

أما سيسكو ، الرجل الثانى فى وزارة الخارجية الامريكية حينئذ ، فقد استطاع أن يلعب على الحبلين · ولم يكن فى استقامة روجرز · كان يرضى روجرز من ناحية ، وكان فى الوقت نفسه يرضى كسينجر ، الذى كان يدافع دفاعا كاملا عن الموقف الاسرائيلى ، مهما وجه الى زعمائهم أو أسلوبهم السياسى من نقد ·· وكان يؤيد اسرائيل فى أن الوجود السوفيتى على الارض المصرية هو العقبة أمام السلام ·· بل بالغ فى ذلك الى حد أن تصور – خطأ أم خبثا – أن الاتحاد السوفيتى سيحارب بقواته ، وسيحرر الارض بالنيابة عن مصر ·· وأن ذلك مثير للخطر ، وقاتل لاى استراتيجية للسلام

الدائم .. وأن مصر المهزومة لا يمكن أن تفرض شروطها ، حتى انه دعا الى ارسال قوات أمريكية الى الشرق الاوسط فى عام ١٩٧٠ ـ قبل وفاة عبد الناصر ـ لحماية اسرائيل . ورفضت ذلك وزارة الدفاع الامريكية . وكان فى الوقت نفسه يلعب بورقة أن الاتحاد السوفيتى وحده عاجز عن فرض أى سلام .. وأن عبد الناصر سوف يكتشف بنفسه عجز موسكو عن أن توصله الى أى حل .

● الرجـل الحائر :

أما نيكسون ـ فى مذكرات كسينجر ـ فهو الرجل الحائر ، الذى كان يريد أن يتحرر من الضغط الصهيونى ، ويريد أن يثبت أنه ليس فى حاجة الى أصوات اليهود فى الانتخاب .. وهو الذى اختار روجرز لوزارة الخارجية ، وابعد كسينجر مستشاره للامن القومىعن مشكلات الشرق الاوسـط .. ولكننا نرى ـ فى المذكرات ـ أن نيكسون كان يتراجع أخيرا ، أمام تأثير كسينجر عليه الذى يعترف بأنه فرض نفسه على الازمة .. وقوض كل جهود روجرز .. وقرب سيسكو اليه .. وكان نيكسون يتراجع أيضـا أمام الضـغط الصهيونى داخل أمريكا ، ومن اسرائيل .. ويلغى القرارات التى أصدرها . وكان أيضا لا يريد انتصارا للنفوذ السوفيتى .. بل كان يريد أن يساوم السوفيت بمسـاعدته فى حل ازمة فيتنام ، مقابل مسايرته لهم فى التحدث باسم مصر فى اجراءات السلام .

● ● ●

ففى صفحات هـذا الفصل .. من كتاب كسينجر .. نجد أن نيكسون فقد أعصابه عندما أهانت المظاهرات اليهودية الصهيونية ضيفه بومبيدو الرئيس الفرنسى فى مدينة شيكاغو .. ووصل الامر الى اهانة زوجة بومبيدو .. وأراد نيكسون أن يعاقب اسرائيل على هذه الاهانة ، فأصدر على الفور قرارا بالغاء صـفقة أسلحة الى اسرائيل..وتلقف روجرز هذا القرار ، وأعد كل الاجراءات لتنفيذه ولكن نيكسون يتراجع .. ولا يكتفى بالغاء قراره ، بل أنه يقرر زيادة شحنات الاسلحة الى اسرائيل .. وينسب كسينجر هـذا التحول الى تاثيره على نيكسون بالحجة والاقناع !

● حتى خطاب الدعوة :

وتمادى كسينجر فى هذا الى أقصى الحدود ، حتى أنه فسر خطاب عبد الناصر فى أول مايو ١٩٧٠ الذى توجه به الى الرئيس نيكسون

من أجل السلام .. بأنه خطاب يؤكد به عبد الناصر تدهور الموقف الامريكي..ويتهمها بأنها تريدأن تفرض على مصر شروط الاستسلام .. والحقيقة أن خطاب عبد الناصر في ذلك اليوم ، كان أول خطاب معتدل لا يتناول أمريكا فيه بالهجوم أو بالتهديد بأن تشرب من مياه البحر الابيض والبحر الاحمر .. بل كان يناشد فيه نيكسون أن يتدخل وأن يعلن بكل الوضوح .. هل هو راغب فى حل الازمة .. أم هو عاجز عن حل الازمة .

وقد ألقى عبد الناصر هـــذا الخطاب لكى يفتح الباب أمام تفاهم مصرى أمريكى بعد أن يئس تماما من الموقف السوفيتى ، وبعد أن اقتنع ان أوراق اللعبة فى يد أمريكا .

وكنا فى ذلك الوقت نعطى الاتحاد السوفيتى كل حقوق التحدث باسمنا مع أمريكا .. ومهما كانت قوة متابعتنا لما كان يجرى بين واشنطون وموسكو .. فاننا كنـــا نتلقى كل المعلومات من جانب واحد هو الاتحاد السوفيتى .. وكنا نرى فى الوقت نفسه بوادر تحركات أمريكية من أجل اجراءات السلام ولكنها تحركات متعنتة .. لاننا نتحدث ونصرخ ونهاجم من موقف ضعف . نحن مهزومون .. ونحن نترك التفـــاوض باسمنا ، لوصى علينـــا هو الآتحاد السوفيتى .

وكما قلت .. أن عبد الناصر لم يفرط .. بل كان الرجـــل يعيش اقصى أوقات حيـــاته ، فهو ميت روحـــا بعـــد هزيمة ٦٧ المنكرة .. والمرض الخطير يهدد جســده ، وصحته تتهاوى ، والاطباء السوفيت يعرفون حقيقة مرضه .. ولذلك فقد أعدوا العدة ـ مقدما ـ للتعامل مع من اختارهم لخلافته .. ورغم أن عبد الناصر كان مناورا ممتازا ـ كما يقول السادات فى « البحث عن الذات » .. ولكن أوراق المناورة أفلتت من يديه .. وأصبح فى حالة عجز .. ولم يكن عبد الناصر يريد أبدا أن يكون عاجزا .. فهو زعيم العـــالم العربى ، وهو مفجر القومية العربية .. وهو الذى حول هزيمة ٥٦ العسكرية الى انتصار سياسى أسقط ايدن فى بريطانيا وأسقط موليبه فى فرنسا .. وهو رمز كل حركات التحرير .. وكل ذلك يريد أن يحتفظ به عبد الناصر .. ولكن كيف ؟! ..

● اسرار جديدة عن مواقف السوفيت :

وماذا نرى من موقف الاتحاد السوفيتى فى هـــذه الصفحات الجديدة من مذكرات هنرى كسينجر ؟ ..

اننا نرى بكل الوضوح أنه كان يلعب بكل الاوراق .. لا يريد أن يصل بالموقف الى حافة الهاوية ، لانه سيتحمل مسئولية ذلك .. والاتحاد السوفيتى لا يريد لنا أن نحارب .. وبعد أن أوقف حرب الاستنزاف .. وبعد أن تولى أنور السادات المسئولية .. كان أكبر خبراء السوفيت يقولون لنا أن تحطيم خط بارليف يحتاج الى قنبلة ذرية ..

● ● ●

كان الاتحاد السوفيتى اذن يريد أن يحقق اى انتصار من أجل السلام ، يدعم به موقفه ونفوذه أمام مصر والامة العربية .. ولكنه فى الوقت نفسه يعرف قدراته . ولذلك فهو يرســـل الانذارات العنيفة المجلجلة .. ولكنه يتراجع بدبلوماسية وعلى الفور ، أمام اى رد أمريكى حازم .

وفى صفحات هذا الفصل .. نرى أن اناتولى دوبرينين السفير السوفيتى يعرض على كسينجر المقترحات تلو المقترحات .. التى تحمل تراجعات بعد تراجعات .. وكل ما يريده أن يكون له دور فى اى حل سلمى تملكه أمريكا .. أو تملك على الاقل كل الوسائل اليه ، سواء شاءت أن تستخدمها أو لم تشأ .

وادلة ذلك :

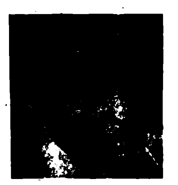
● عرض الاتحاد السوفيتى فى لقاءات دوبرينين مع كسينجر أن موسكو تقبـــل طلب أمريكا وقف اطلاق النـــار (فى حرب الاستنزاف) اذا أوقف الاسرائيليون عمليات القصف الجوية . على أن يتم ذلك بصورة غير معلنة .

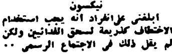
● أعرب دوبرينين لكسينجر عن سعادته لان موسكو صرحت له أن يستأنف المباحثات الثنائية مع روجرز وزير الخارجية الامريكى .

● بل انه أعطى كسينجر مقدمة مشجعة ، عن تنازلين سيقدمهما الاتحاد السوفيتى فى هذه المباحثات الثنائية .

التنازل الاول : هو أن التسوية فى الشرق الاوسط لن تقتصر على حالة انهاء الحرب بل تقيم حالة سلام . ومعنى هـــذا التنازل هو استعدادنا لعقد معاهدة سلام مع اسرائيل .

التنازل الثانى : هو امكانية أن تتعهـــد الحكومات العربيـــة





نيكسون
ابلغني على انفراد أنه يجب استخدام
الاختطاف كذريعة لسحق الفدائيين ولكن
لم يقل ذلك في الاجتماع الرسمي ..



روجرز
اجرى حديثا في اوربا احتج فيه
على ان كسينجر نسف مبادرته السلمية

بالسيطرة على عمليات قوات الفدائيين من أراضيها .. ومعنى هذا التنازل هو اغراء أمريكا ، بأن أى عمل فدائى فلسطينى سوف يتوقف .. وبذلك يعطى الفرصة لامريكا أن تتحرر من الضغط الاسرائيلى عليها بنوايا الفلسطينيين ابادة اسرائيل .

● استغلال الفرصة :

ويعلق كسينجر على هذه التنازلات التى قدمها الاتحاد السوفيتى بما جاء فى مذكراته الى نيكسون ، بأن السياسة الصلبة الامريكية أثبتت نجاحها .. ووصف كسينجر هذه التنازلات بأنها « هامة » .. واستغل كسينجر الفرصة وأقنع نيكسون أنه ليس من المعقول أن تطلب أمريكا من اسرائيل قبول وقف اطلاق النار ، دون امدادها بمزيد من السلاح .. وفى نفس اليوم وافق نيكسون على اقتراح كسينجر على تقديم ٨ طائرات فانتوم و ٢٠ طائرة سكاى هوك .



وكنا فى ذلك الوقت نستصرخ الاتحاد السوفيتى أن يفى بتعهداته نحونا ، وأن يكمل الاسلحة الناقصة .. ولا نسمع جوابا .



ولكن اسرائيل لم تقنع بما قدمه نيكسون .. بل جاء رابين

سفيرها بعد أن زار القدس ، وطالب بمضاعفة كميات الاسلحة الامريكية التى تقدم الى اسرائيل على سبيل التعويض (أى مجانا) وصدور بيان رسمى من نيكسون يؤكد على المحافظة على قوة اسرائيل الجوية وعلى التوازن العسكرى فى الشرق الاوسط ·· الذى كان يصوره الاسرائيليون تصويرا كاذبا ومخيفا ·· بسبب التواجد السوفيتى على أرض مصر ·

● ولم يسكت كسينجر على التواجد السوفيتى العسكرى فى مصر ·· وأراد أن يفرض شروطه على الاتحاد السوفيتى ·· واعتبر ارسال صواريخ سام ·· وكأنها أزمة الصواريخ الكوبية (وهذا هو تعبيره) ·· فكان الرد من السفير السوفيتى فى ٧ أبريل ١٩٧٠ ، هو عرض دبلوماسى بأن يقتصر وجود الاسلحة السوفيتية على الاسكندرية والقاهرة وأسوان فقط ·· أى دون منطقة القناة التى كان يجرى منها قتال الاستنزاف ·

● لعبة الصواريخ :

وبدأ كسينجر يلعب لعبة الصواريخ مع اسرائيل ·· وأصبحت المعلومات التى تقدمها اسرائيل عن قواعد الصواريخ هى المعلومات المصدقة ·· وأن السوفيت يقاتلون نيابة عن المصريين ·· وحصل كسينجر على تفويض من نيكسون بابلاغ رابين فى ٣٠ أبريل ١٩٧٠ بأن أمريكا ستزود اسرائيل بالمزيد من الطائرات ·· رغم قرار نيكسون السابق · وذلك على الرغم من ان جميع أجهزة المخابرات الامريكية قد أجمعت على أن المهمة السوفيتية فى مصر ·· هى مهمة دفاعية بحتة كما يقول كسينجر فى مذكراته ! ·· حتى روجرز الرجل الفاضل المستقيم ، تراجع واستدعى السفير السوفيتى ــ دون أن يحيط نيكسون أو كسينجر علما به ــ وقال له أن الوجود السوفيتى فى اطار ٣٠ كيلو مترا من القناة ورغم اعلان الاتحاد السوفيتى بأنه سيبقى عملا دفاعيا ·· هو دعم لسياسة انتهاك وقف اطلاق النار ·· يمكن أن يؤدى الى تصعيد خطير لا يمكن التنبؤ بعواقبه · ولا يمكن أن تقف الولايات المتحدة تجاه هذا التصعيد موقف عدم الاكتراث ·

ومع ذلك فقد اعتبر كسينجر هذا البيان من روجرز وكأنه أعطى شيكا على بياض للاتحاد السوفيتى بالوجود العسكرى فى كل أنحاء مصر باستثناء منطقة القناة ·

وقد رأينا قبل ذلك أن الاتحاد السوفيتي عرض هذا التنازل على كسينجر .

ثم جاءت مبادرة روجرز بوقف اطلاق النار لمدة ٩٠ يوما ، واجراء مفاوضات غير مباشرة عن طريق الوسيط الدولي يارنج .. ومع المبادرة تعهد أمريكي لاسرائيل بالمزيد من الامداد الشهري بالطائرات المقاتلة !

● **اشركونا معكم :**

وكان كل هم السفير السوفيتي دوبرنين ، أن يتهرب من الاسئلة الامريكية عن استمرار الوجود السوفيتي في مصر .. وأعلن غضبه لان هناك محاولة امريكية (من جانب واحد) للانفراد بالعمل الدبلوماسي في الشرق الاوسط .. وقد قرآنا من قبل أن السفير السوفيتي أبلغ البيت الابيض أن وزارة الخارجية الامريكية قد أخطأت عندما فهمت أن موسكو رفضت مشروع روجرز !

ولكن كسينجر مع ذلك استطاع أن يؤثر على نيكسون لكي يجري حديثا تليفزيونيا يتفق مع آراء كسينجر .. وكان الرجل الطيب روجرز - في أوربا - واحتج بحرارة ، وأعلن أن مبادرته قد نسفت .. واتهم سيسكو بالاشتراك في مؤامرة النسف التي دبرها كسينجر ونفذها نيكسون .

وماذا جرى بعد ذلك ؟ ..

اعتدلت لهجة السفير السوفيتي دوبرنين في اجتماعين مع كسينجر (٧ و - ٩ يوليو) .. وأبدى روح التعاون .. وقال أن موسكو لديها الكثير لتقوله .

.. وأخيرا .. وبعد كل هذا الذي جرى من السوفيت .. وبعد أن تأكد عبد الناصر أن أمريكا هي المسيطرة الحقيقية على الموقف .. أعلن عبد الناصر في ٢٢ يوليو الموافقة على مبادرة روجرز .. وقف اطلاق النار والتفاوض .

ويصف كسينجر هذا الاعلان من عبد الناصر بانه جاء مفاجأة لامريكا !!



واعود فاقول ·· لكل أبناء الشعب العربى ·· اقرأوا هــذه الحقائق جيدا ··لتعرفوا وتتأكدوا وتؤمنوا أن الطريق الذى اختاره السادات للسلام ·· كان هو الطريق الذى بدأه عبد الناصر وانتهى الى الفشل ، لاقتناع الجميع أننا جثة هامدة ·· وأننا فى موقف الضعف ·· ولاقتناع أمريكا أن التهويش السوفيتى لن يجدى ·· وكانت حرب أكتوبر التى قلبت كل الموازين ·· وكانت مبــادرة السلام التى حققت المستحيل ·· وفتحت كل الابواب المغلقة ·

ولعله يتأكد لنا ، بكل الوضوح··وبعد كل هذا ·· لماذا يعارض الاتحاد السوفيتى مبادرة السلام ·· ولماذا يتآمر ضــد مصر ·· ولماذا يحرك « صبيانه » فى المنطقة العربية فى محاولة يائسة فاشلة ·· لتدمير الصرح الجبار ·· صرح السلام ·

نيكسون يتراجع أمام اليهود ..
وموسكو تتراجع أمام واشنطن

- موسكو تقترح على واشنطن تسوية فى الشرق الاوسط لاقامة حالة سلام وليس مجرد انهاء حالة الحرب .
- موسكو تسعى الى ان تتعهد الحكومات العربية بالسيطرة على عمليات الفدائيين .
- نيكسون يقرر عقاب اسرائيل بالغاء صفقة اسلحة بعد مظاهرات اليهود فى امريكا ضد بومبيدو ..
- وزارة الخارجية تؤيد نيكسون بحماسة ..
- .. ولكن نيكسون يتراجع أمام نصيحة كسينجر .
- ثم يقرر نيكسون بعد ذلك زيادة شحنات الاسلحة لاسرائيل !
- موسكو مستعدة ان يقتصر وجود السلاح السوفيتى على الاسكندرية والقاهرة واسوان فقط !

نيكسون يتراجع أمام اليهود
وموسكو تتراجع أمام واشنطن

كتب كسينجر :

فى نهاية شهر فبراير ١٩٧٠ جاء الرئيس الفرنسى بومبيدو فى زيارة رسمية للولايات المتحدة . وكان الرئيس الامريكى نيكسون يعلق أهمية كبرى على هذه الزيارة .

لم تكن لدى بومبيدو حساسية تجاه رد الفعل المحلى داخل الولايات المتحدة . وربما لم يكن يكترث بهذا الامر .. ولذلك أنهى فى الشهر السابق على الزيارة صفقة مع الحكم الجديد فى ليبيا لبيع مائة طائرة ميراج على مدى أربع سنوات .. وفى الحقيقة أن ليبيا لم تكن فى حاجة لمثل هذا العدد من الطائرات . وفى ذلك الوقت لم يكن فى ليبيا كلها طيارون يستطيعون قيادة طائرات حديثة سوى عدد محدود . ومن الواضح ان هذه الطائرات سوف تستخدمها دول عربية اخرى وعلى الارجح .. مصر .. وكما هو متوقع احتج مؤيدو أسرائيل فى الكونجرس الامريكى .. بقوة وجرت مظاهرات فى كل مدينة زارها بومبيدو وقرينته .. ووقع حادث فظيع فى مدينة شيكاغو حيث اهان بعض المتظاهرين قرينة الرئيس الفرنسى . وقطع بومبيدو فجأة زيارته لشيكاغو وعاد الى نيويورك . وظهر احتمال بأنه سيلغى أقامته فى نيويورك أيضا ويستقل الطائرة الى فرنسا . ولم يتخلص بومبيدو أبدا من أثار هذا الحادث الذى لايمكن تبريره . كما كان للحادث تأثيره على موقفه من الولايات المتحدة فيما بعد .

● نيكسون ينتقم من اليهود

واحتدم نيكسون غيظا · وطار فجأة الى نيويورك لحضور عشاء أقيم تكريما لبومبيدو والقى خطابا حارا فى تحية الضيف · وكان الاجراء الانتقامى هو اصدار أمر رئاسى الى وزارة الخارجية مباشرة عن طريق جوزيف سيسكو وكيل الوزارة (وذلك ليتجنب ان يتم الامر عن طريقى) بارجاء النظر فى صـفقة الاسـلحة الامريكية لاسرائيل الى اجل غير مسمى · ولو كان نيكسون قد اخذ مشورتى لكنت قد عارضت بالتأكيد معاقبة دولة اجنبية على تصرفات أقلية امريكية وبالتالى اغراء الاتحاد السوفيتى بأن يطلق يده ·

وتردد نيكسون بعد ساعات من الامر الذى اصدره الى سيسكو وطلب من مساعده هولدمان ابلاغى بان قراره غير نهائى ·

وقد حذرت هولدمان من أن تصرف الرئيس قد زاد من فرصة حدوث انفجار فى الشرق الاوسط ·· فأكد لى أنه سيتم اصـلاح الامر ··

● غرائب البيروقراطية

عندما تتلقى وزارة الخارجية أمرا يوافق عليه جهازها البيروقراطى ·· تتحول بصورة عجيبة الى مؤسسة فعالة ·· وعندما ترغب فى استنفاد طاقة الرؤساء الذين لايسايرون رغباتها ·· فان مسودات المذكرات تتجول فى قنواتها ودهاليزها التى تشبه المتـاهات لعدة أسابيع بل وشهور · أما اذا تلقت تعليمـات تعتبـرها حكيمة من وجهة نظرها · فان الاعمال المكتبية تجد من ينجزها فجـأة خلال ساعات وتتحول البيروقراطية الى شىء رائع ·

وهكذا ·· بعد ٣٦ ساعة من صدور أمر نيكسون الى سيسكو ·· بعث وليام روجرز وزير الخارجية بمذكرة الى نيكسون لابلاغه بان كل شىء معد بالتفصيل (لتنفيذ السيناريو الكـامل لتنفيذ قراركم بأن تؤجل الان مسألة الطائرات الاضافية الى اسرائيل) ·

واثناء نقل مذكرة روجرز للرئيس نيكسـون ·· تحدثت مـع الرئيس حول المضاعفات التى سـتحدث بالتـأكيد داخل الولايات المتحدة نتيجة هذا الموقف ، كما أن قراره سيتخذ فى الخارج شكل الانصياع للضغط السوفيتى مهما أنكرنا ذلك ·

واقترحت تعديل توصيات روجرز لتخفيف الضربة الموجهة لاسرائيل لتكون على النحو التالى : اما أن نوافق على تعويض اسرائيل عن الطائرات التى خسرتها فى الفترة من ١٩٦٩ حتى ١٩٧١ (فى اطار عدد معين من الطائرات) حتى لايتوافر لديها الحافز للقيام بغارات تكلفها الكثير وأما أن نبقى على خط انتاج الطائرات مفتوحا وان نخصص عددا محددا من طائرات فانتوم وسكاى هوك التى يمكن تسليمها الى اسرائيل على الفور وذلك فى حالة دخول مكثف للاسلحة السوفيتية الى المنطقة يعرض التوازن العسكرى للخطر ·

● تنازلات من موسكو

فى العاشر من شهر مارس عام ١٩٧٠ جاء اناتولى دوبرينين السفير السوفيتى فى واشنطن حاملا رد الكرملين على التحذير الذى سبق أن وجهته فى ١٠ فبراير بشأن ادخال قوات سوفيتية الى الشرق الاوسط · كانت ملامح الرجل تنطق بالرقة والوداعة ·

حول نصائح أمريكا بوقف اطلاق النار ·· أبلغنى باقتناع زعمائه بأنه (اذا أوقف الاسرائيليون عمليات القصف الجوية لمصر، فان مصر ستظهر من جانبها ضبط النفس فى تصرفاتها دون أية بيانات رسمية بهذا المعنى ·· بطبيعة الحال) ·

وبعبارة اخرى ، فقد كان دوبرينين يعرض وقف اطلاق النار واقعيا على جبهة قناة السويس · وعلاوة على ذلك ·· فقد اعرب دوبرينين عن سعادته بالاعلان عن التصريح له من موسكو باستئناف المحادثات الثنائية مع روجرز · واعطانى فكرة عامة تمهيدية عن (تنازلين) سيعرضهما فى هذه المحادثات :

أولا ــ تسوية فى الشرق الاوسط لاتقتصر على انهاء حالة الحرب بل تقيم حالة سلام ·

ثانيا ــ أمكان تعهد الحكومات العربية بالسيطرة على عمليات قوات الفدائيين من أراضيها ·

فى الشرق الاوسط ·· تطرح فكرة التسوية السلمية التى تقر السلام ·· بكل جدية على اعتبار انها (تنازل) ·· رغم أن مطالبة اسرائيل بالانسحاب من كل الاراضى المحتلة دون تقديم ما من شأنه أن يكون طبيعيا بين معظم الدول ــ اى السلام ــ سيكون أمرا سخيفا ·· كما أن الالتزام بانهاء هجمات الفدائيين بعد أقرار السلام يوصف بأنه تضحية ·



بومبيدو وقرينته

قطع بومبيدو فجأة زيارته لشيكاغو وفكر في العودة الى فرنسا بعد ان اهان المتظاهرون اليهود قرينته · ولم ينس بومبيدو ابدا هذا الحادث ··

ومع ذلك فقد كان العرض الذى قدمه دوبرينين بوقف اطلاق النار يبدو من الاهمية بحيث يحول بينى وبين ملاحظة أن السوفيت لم يردوا على المسعى الاساسى الذى قمت به فى اجتماع العاشر من فبراير (التحذير الذى وجهته من ادخال قــواتهم العســكرية الى المنطقة) وسبب اغفال هذا الموضوع سيتضح فى القريب العاجل ·

وقدمت الى الرئيس نيكسون تقريرا عن حديث دوبرينين معى والذى اتضح انه تسبب فى تفاؤل سابق لاوانه :

(قدم دوبرينين عددا من التنازلات الهامة ·· فى مفاوضــات حول مصر وهى تعنى ان سياستنا القــائمة على الصــلابة النسبية تؤتى ثمارها بصدد جميع المسائل المتنازع عليها ·· ان الاتحــاد السوفيتى أقدم على خطوة أولى ·· ورغم انها قد تكون غير كافية ·· الا أنها أظهرت على الاقل ان ثباتنا فى موقفنا وعدم تقديم تنازلات هو الطريق الصحيح)

وكان رد فعل الرئيس نيكسون لهذا الموقف السوفيتى اللين فى الظاهر هو تعديل قراره الاصلى حول المعونة العسكرية لاسرائيل فى نفس الوقت الذى نرفض فيه طلباتها من الاسلحة · وفى نفس اليوم وافق نيكسون على اقتراحى بتعويض الخسائر فى الطائرات

الاسرائيلية عن طريق تقديم ثماني طائرات فانتوم وعشرين طائرة سكاى هوك فى عام ١٩٧٠

● اكتشاف جديد

وفى ١٢ مارس اجتمعت مع اسحاق رابين السفير الامريكى فى واشنطن وابلغته باقتراح دوبرينين حول وقف اطلاق النار وبقرار نيكسون حول الاسلحة لاسرائيل · وفى نفس الوقف طلبت من اسرائيل ان توقف غاراتها فى العمق وأن توافق على وقف اطلاق نار غير معلن ·

لم يكن رابين متحمسا بوجه عام لوقف اطلاق النار · قال انه سينقذ عبد الناصر ولن يسوى اى مشكلة ومع ذلك فقد اعتبر ان الاقتراح هام ويتطلب سفره شخصيا الى القدس ·

وعاد رابين بعد خمسة أيام بالرد الاسرائيلى بالموافقة على وقف غير معلن لاطلاق النار بشرط توقف كل النشاط العسكرى ومضاعفة كميات الاسلحة الامريكية التى تقدم لاسرائيل على سبيل التعويض وصدر بيان من نيكسون يؤكد على المحافظة على قوة اسرائيل الجوية وعلى التوازن العسكرى فى الشرق الاوسط ·

ومع ذلك ·· فقد حدث قبل حل هذه المشاكل مع اسرائيل اننا اكتشفنا فى النهاية طبيعة التحرك العسكرى السوفيتى بالنسبة لمصر

وفى نفس اليوم الذى قبلت فيه اسرائيل وقف اطلاق النار (١٧ مارس) ، ابلغنى رابين بان شحنة ضخمة من الاسلحة السوفيتية وصلت الى مصر ، وبأنها تشمل أحدث شبكة سوفيتية مضادة للطائرات صواريخ ارض – جو (سام – ٣) · ولم يحدث أبدا من قبل ان قدمت هذه الصواريخ الى اى دولة اجنبية بما فى ذلك فيتنام الشمالية · والامر الاكثر ازعاجا هو ان هذه الصواريخ رافقها ١٥٠٠ عسكرى سوفيتى ·

● فرصة ضائعة

ان حكومة الولايات المتحدة التى كانت مستغرقة فى مشاكل فيتنام وكمبوديا ولاوس ·· والتى هزتها الاضطرابات الداخلية ·· هذه الحكومة التى كانت مقتنعة الى حد كبير بأن النزعة الحربية الاسرائيلية هى السبب فى هذه الخطوة السوفيتية ·· هذه الحكومة تذبذبت وافلتت منها الفرصة لاحتواء التحدى ·

كان رد الفعل الاول من جانبنا فى الاتجاه الصحيح · ففى يوم ٢٠ مارس اجتمعت مع السفير دوبرينين لاجراء مناقشة حادة · وقلت له اننا اخذنا ما قاله يوم ١٠ مارس على محمل جدى ، واننا فى الواقع أوصينا اسرائيل بوقف اطلاق النار وأن اسرائيل وافقت من حيث المبدأ ولكن فى اللحظة المحددة التى كنت استعد فيها للاتصال به لنتفق على موعد وقف اطلاق النـار ·· علمنا بادخال صواريخ سام - ٣ وعناصر مقاتلة سوفيتية · وقد تم ارسال هذه القوات رغم تحذيرى الصريح من اخطار مثل هذه الخطوة · وقلت له ايضا ان هذا التكتيك يعيد الى الاذهان أزمة الصواريخ الكوبية ·· وانه لا مفر أمامنا من وقف كل جهودنا التى استهدفت وقف اطلاق النار وابلاغ اسرائيل بذلك ·

ولم يتحدث دوبرينين فى هذا الموضوع الا فى يوم ٧ ابريل عندما سأل عما اذا كان رأينا سيتغير ازاء انتشار الاسلحة السوفيتية فى مصر اذا أقتصر هذا الانتشار على الاسكندرية والقاهرة وأسوان · وكان غامضا فيما يتعلق بالقوات · وسألته عما اذا كان اقتراحا رسميا · واجابنى بأنه سيقدم ردا فى هذا الصدد ·· ولكنه لم يفعل أبدا ·

ولما كنا قد اعلنا التحدى··فقد كان علينا ان نستمر على الطريق ·· وكان يجب ان يكون الرد المناسب هو زيادة المعونة العسكرية لاسرائيل وليس مجرد تقديم وعد بتعويضها عن خسائرها ·

والقت الوكالات المتخصصة الامريكية اللوم على اسرائيل فى استمرار التوتر على طول قناة السويس ·

وكان هذا اللوم يرتكز على الشواهد ·· وقالت الوكالات أن اسرائيل هى التى أثارت رد الفعل السوفيتى بغاراتها فى العمق·· وكان الحل الذى قدمته لمشكلة التحرك العسكرى السوفيتى هو الضغط على اسرائيل لاتخاذ موقف اكثر مرونة ·

ورغم ذلك كله ·· واصلت وزارة الخارجية الامريكية اعداد البيان الخاص بقرار نيكسون تأجيل صفقة الاسلحة مع اسرائيل واجرت مشاورات مع زعماء الكونجرس حتى بعد الانباء التى جاءت عن التحرك السوفيتى الاخير ··وكان التفكير السائد هو ان تصرفنا سيظهر حسن نوايانا للعرب ·· أو على الاقل سيمنع الانفجار الذى كانت أجهزتنا الحكومية تعتبر انه مسألة حتمية اذا واصلنا تقديم شحنات أسلحة أضافية لاسرائيل

وتراكمت الأخطار من وجهة نظرى . فقد اختار نيكسون هـذا الوقت بالذات لكي يبدأ أتصالاته لعقد مؤتمر قمة امريكى - سوفيتى .

● معلومات من رابين

وفى نفس الوقت زادت الصواريخ السوفيتية ومعها عدد القوات المقاتلة زيادة مثيرة وبلغت عشرة الاف فى الاسابيع السنة التاليه . وابلغنى اسحاق رابين فى ٢٤ ابريل بأن طيارين سوفيت يقودون طائرات فى مهام دفاعية داخل أراضى مصر . وهكذا أصبح السلاح الجوى المصرى متحررا من الاعباء الاخرى لكي يركز مهمته على مهاجمة المواقع الاسرائيلية على القناة وليصبح أكثر عدوانيه . ومنحنى نيكسون تفويضا بابلاغ رابين فى ٣٠ ابريل بأن الولايات المتحدة ستزود اسرائيل بالمزيد من الطائرات رغم قراره السابق . وكان نيكسون لايزال قلقا من رد الفعل العربى الى الحـد الذى يجعله يطلب الاحتفاظ بهذه الخطوة فى طى الكتمان . وهكذا حرم قراره الجديد من بعض التأثير الرادع .

واجمعت اجهزة المخابرات الامريكية على أن المهمة السوفيتية فى مصر .. دفاعية بحتة .

وعاد جوزيف سيسكو وزير الخارجية الامريكى من رحلة الى الشرق الاوسط أكثر تشـاؤما ، وأوصى باعادة تقييم أسـس الاستراتيجية الامريكية فى ضوء تشدد الاطراف وازدياد الالتزام العسكرى السوفيتى والتشـدد الاسرائيلى فى ذلك الـوقت كان نيكسون مستهلكا ومهزوزا بسبب الخسائر المادية والنفسية التى لحقت بأمريكا فى كمبوديا . ولم يكن مسـتعدا لان يضـيف الى مشاكله .. أزمة الشرق الاوسط وهكذا ازدادت الازمة عمقا .

ووجه عبد الناصر فى أول مايو خطابا مفتوحا الى نيكسون بلهجة تؤكد تدهور موقفنا .

قال ان الولايات المتحدة (يجب ان تأمر اسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة) .. وطلب منا عبد الناصر . فى حالة عجزنا عن أن نفعل ذلك . أن نمتنع عن تقديم دعم جـديد لاسرائيل طالما انها تحتل اراضينا العربية سواء كان دعما سياسيا أو عسكريا أو اقتصاديا .. واذا لم يحدث ذلك فان العرب (يجب أن يتوصلوا الى النتيجة الحتمية وهى ان الولايات المتحدة تـريد ان تواصـل اسرائيل احتلالها لاراضينا لكى تملى شروط الاستسلام) .

ان التفكير فى احتمال الهيمنة السوفيتية فى الشرق الاوسط لم يكن مجرد خيالات مفرطة ٠٠ فقد اصبح هـذا الاحتمال واضحا عندما ابلغ عبد الناصر احد الزوار الامريكيين البارزين (يوجين بلاك) الرئيس السابق للبنك الدولى ، بأنه يفضل أن تتم أى مبادرة دبلوماسية أمريكية من خلال الاتحاد السوفيتى ٠ انه لم يثق بنا بما يكفى للتعامل معنا مباشرة ٠

فى تلك الظروف ٠٠ قاومت الوزارات الامريكية قرار نيكسون بالاحتفاظ بخط الامدادات العسكرية مفتوحا على اسرائيل (فى الوقت الذى انتهت فيه عقود توريدات الطائرات فى شهر يوليو) وذلك عن طريق تعطيل التنفيذ أو استغلال ثغرة هامة هى أن نيكسون لم يحدد كمية الطائرات المطلوب ارسالها الى اسرائيل ٠

● حيرة فى واشنطن

وفى يوم ٢ يونيو اقدم وليام روجرز على خطوة تعكس جو الحيرة فى واشنطن ٠ فقد استدعى السفير دوبرينين ليقرأ عليه البيان الغريب التالى دون أن يحيطنى علما ودون أن يحيط نيكسون علما (فى حدود معلوماتى) :

(ان الاتحاد السوفيتى قد أشار الى أن النشاط العسكرى السوفيتى فى الجمهورية العربية المتحدة سيظل دفاعيا ٠ ونحن نريد ان نوضح اننا لن نضطر الى ادخال عناصر عسكرية سوفيتية الى الجو أو البر الى منطقة القتال فى قناة السويس باعتبارها عملا دفاعيا حيث أن هذا العمل من شأنه فقط أن يكون دعما للسياسة المعلنة للجمهورية العربية المتحدة ٠٠ سياسة انتهاك قرارات وقف اطلاق النار الصادرة من مجلس الامن ٠ ونحن نعتقد أن ادخال عناصر عسكرية سوفيتية الى منطقة القتال الحرجة فى قناة السويس (فى اطار ثلاثين كيلو مترا من القناة) يمكن ان يؤدى الى تصعيد خطير لايمكن التنبؤ بعواقبه ولايمكن أن تقف الولايات المتحدة تجاه هذا التصعيد موقف عدم الاكتراث) ٠

● شيك على بياض !

وعلى السطح يبدو هذا البيان فى شكل تحذير قوى ٠ ولكن الحقيقة انه أعطى للسوفيت شيكا على بياض ! فقد اعترف بالوجود القتالى السوفيتى فى مصر باستثناء المنطقة المجاورة مباشرة لقناة السويس ٠ وقال البيان للسوفيت فى الواقع انهم احرار فى حشد

قوات ضخمة فى مصر طالما انهم لايحركونها مبـــاشرة الى منطقــة القتال .

كانت الخطوة الاولى من جانبنا تسير فىاتجاه مضاد لموقفالمواجهة مع السوفيت . فقد كانت مبادرة سلمية اخرى . وقد حاولت ان استخدم اجتماعا لمجلس الامن القومى الامريكي في ١٠ يونيو للقيام باستعراض لاستراتيجيتنا من أساسها . ولكن وزارة الخـارجية أجهضت محاولتى بتحويل الاجتماع الى مناقشة لقرار تكتيكى .

وكان روجرز قد اعد سيناريو معقدا يستهدف حمل الاطـراف على ان (تكف عن اطلاق النار وتبدأ الحديث) وتقوم هذه المبـادرة الدبلوماسية على مطالبة مصر واسرائيل بقبول وقف اطلاق النـار على أساس الاوضاع القائمة لمدة تسعين يوما واجراء مفاوضات غير مباشرة تحت اشراف الوسـيط الدولى جونار يارنج . ومن اجـل تشجيع اسرائيل فان الولايات المتحدة تعرض - ردا على طلباتها من الاسلحة - ثلاث طائرات فانتوم فى شهر يوليو واغسطس وأربع فانتوم وسكاى هوك كل شهر يلى ذلك كنـــوع من التعـويض عن الخسائر . ومع ذلك فان هذه الامدادات تخضع لاعادة النظر اذا بدأت المفاوضات وظهرت بشائر النجاح) .

● سقطة كبرى

وهكذا قدمت وزارة الخارجية الامريكية لاسرائيل المبرر لاحباط المفاوضات حيث انها ستحصل على المزيد من الطـائرات فى حالة فشل هذه المفاوضات . ولم يكن نيكسون مقتنعا بان دبلوماسـية وزارة الخارجية ستحقق نجاحا . ولكنه لم يكن يرغب فى تخطى روجرز .. وكان يتأمل تأثير حرب السويس عام١٩٥٦ علىبريطانيا كقوة عالمية .. واعتبر أن عدم حل مشكلة اللاجئين العـرب عقب تلك الحرب كان احدى السقطات الكبرى فى فترة مابعد الحرب .

وتم الاعلان عن مشروع وقف اطلاق النار والذى اعدته الخارجية الامريكية ، فى ٢٥ يونيو .

وكان رد فعل السفير دوبرينين فاترا .
وسألت السفير السوفيتى عن رد موسكو علىسؤالى عن انسحاب القوات القتـالية السوفيتية (من مصر) .. فأجاب بأننى وجهت اسئلة كثيرة الى حد انه لم يستطع أن يتذكرها . وأبدى دوبرينين

غضبه مما ادعى انه محاولة امريكية (من جانب واحد) للانفراد بالعمل الدبلوماسي في الشرق الاوسط · وأكد أن المفاوضات هي المشكلة التي تعني الطرفين الان (يقصد أمريكا والاتحاد السوفيتي) ولكنه كان يستريب في اننا لن نتشاور مع موسكو بعد ذلك · وقال انه لايعرف ماهي التنازلات التي ستكون متاحة عندئذ ·

وفي ٢٩ يونيو ابلغ اندرية جروميكو وزير الخارجية السوفيتي السفير الامريكي في موسكو جاكوب بيم انه في الوقت الذي يدرس فيه السوفيت اقتراحنا (الخاص بوقف اطلاق النار) فانهم لايرون فيه شيئا جديدا وأنه ينطوي على كل عيوب أو نواقص الجهود السابقة ·

في ذلك الوقت ·· قررنا أن نوضح أن الرئيس نيكسون لايتصرف من موقع الضعف وان وجود القوات السوفيتية في الشرق الاوسط ·· قضية خطيرة ·· وقلت في اجتماع في سان كليمنت يوم ٢٦ يونيو انه حتى اذا كانت هذه القوات قد أرسلت لتعزيز مركز عبد الناصر ·· فان استمرار وجودها يشكل تهديدا استراتيجيا يجب مواجهته ·

وقامت حملة عنيفة ضدي ·· وتعرضت للاتهام من جانب وزارة الخارجية والصحافة بمحاولة اغراق المبادرة السلمية · وفي أول يوليو – وكان روجرز في رحلة في الخارج – اجرى نيكسون حديثا تليفزيونيا ،بعد أن أفاق من جرح كمبوديا ، كان يتفق مع وجهة نظري · واحتج روجرز · من اوربا ·· بمرارة وأعلن ان مبادرته السلمية قد نسفت والقى اللوم على سيسكو لتأييدة لنيكسون ·

● دوبرينين متعـــاون

والحاسة السوفيتية ليست مرهفة جدا ، وحسابات السوفيت ترتكز على تقدير مصالحهم · والان بعد ان اخذت الشكوك تظهر في موسكو باننا جادون فيالعمل ضد خطر الوجود العسكريالسوفيتي في الشرق الاوسط ·· تحول سلوك دوبرينين خلال اجتماعين متتالين (٧ و ٩ يوليو) ليصبح مرحا الى أقصى حد · وأبدى روح التعاون · وقال انه سيكون لديه ما يقوله عن الشرق الاوســـط قريبا جدا · ولم يشر الى تحذيرنا · غير ان ذلك لم يحدث

ولاول مرة نجرب في عهد حكومة نيكسون التكتيك السوفيتي في استخدام الوجود العسكري لتعزيز النفوذ الجغرافي – السياسي

.. وكانت اسرائيل تقترب من نقطة اليأس التى قد تغرى بالقيام بعمل اجهاضى قبل أن يتغير التوازن بصورة لا رجعة فيها .

وفي أول يوليو بعثت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل برسالة الى نيكسون تهدد فيها بتدمير بطاريات سام ـ ٢ وسام ـ ٣ على جبهة القناة .

وعندما كانت كل الدلائل تشير الى أن صداما عسكريا أصبح أمرا حتميا .. وافق عبد الناصر فجأة فى يوم ٢٢ يوليو على اقتراحنا بوقف اطلاق النار والتفاوض .

• التعليق على
الفصل السابع

الملك فيصل لعبد الناصر:
المزايدون يريدون الحرب حتى آخر جندى مصرى

هذه الصفحات الجديدة من كتاب هنرى كسينجر « أيام البيت الابيض » التى نختار أهم احداثها للتعليق والرد عليها ·· تنتهى بأن مبادرة روجرز وصلت الى الطريق المسدود فى ١٥ سبتمبر ١٩٧٠ ·· أى قبل وفاة عبد الناصر بثلاثة عشر يوما ، ودلك بعد أن أيد نيكسون وكسينجر اسرائيل فى موقفها بأن مصر انتهكت وقف اطلاق النار بتحريك الصواريخ ·· وكانت نتيجة ذلك هدية أسلحة امريكية جديدة لاسرائيل تزيد عما وعدت به أمريكا اسرائيل – وهى صواريخ شرايك الامريكية التى تستخدم ضد صواريخ سام ٣ فى مصر – وذلك بحجة ارضاء اسرائيل ومنعها من الهجوم على قواعد الصواريخ المصرية · ووافق نيكسون على أن يقابل جولدا مائير بعد أن كان ممتنعا عن ذلك ·

وسخر كسينجر من أى رأى أمريكى يدافع عن الموقف المصرى ، ولعله استطاع أيضا أن يجند لحسابه تقارير المخابرات الامريكية التى أيدت تقارير المخابرات الاسرائيلية التى كان ينقلها رابين السفير الاسرائيلى فى واشنطون ·· ويعلن غضبه لان أمريكا لا تثق فى تقارير مخابرات اسرائيل ·

وكان بيجين قد انسحب بحزبه من حكومة الطوارىء . المؤتلفة الاحزاب احتجاجا على أن مائير قبلت المشروع الامريكي وشن عليها هجوما عنيفا ، وكان حزب بيجين مشتركا فى هذه الحكومة منذ عام ١٩٦٧ .

وفشل روجرز فى الدفاع عن مشروعه .. واتهم كسينجر فى حضور نيكسون وسيسكو بأنه يسعى الى تفجير أزمة ، بهذا الاصرار على اثارة اتهام مصر بانتهاكات وقف اطلاق النار .

ولكن كسينجر انتصر على كل معارضـــيه .. حتى أن هارولد سوندرز خبير الشرق الاوســـط فى الخارجية الامريكية المعروف باعتداله مع العرب .. أقر كسينجر على أن مصر انتهكت شروط قرار وقف اطلاق النار .. وحركت صواريخها من مواقعها .

● صواريخ .. وسخرية :

وفازت اسرائيل بصفقة صواريخ جديدة ومضاعفة .. ولا بأس من أن يسخر كسينجر من طبيعة الاوضاع السياسية داخل اسرائيل .. وهو يصفهم بقوله : « وحتى عندما يقبل الاسرائيليون مشروعا للسلام . فانهم فى البداية يقاومون بوحشية ، وهذه المقاومة تخدم غرض اظهارهم فى صورة أنهم أشخاص قادرون على مقاومة الاغراء ، وأنهم خصم يصعب التغلب عليه فى المفاوضات .. وهكذا يضعون السدود أمام مطالب أخرى موجهة اليهم بتقديم أى تنازل اسرائيلى ، وعادة ما تصاحب موافقتهم على اقتراح سلمى .. طلبات اسرائيلية لانهاية لها حول الضمانات ومذكرات التفاهم والتفسيرات السرية.! ويقول كسينجر أن كل هذه المناورات الاسرائيلية بقصد أن تحد من حرية العمل الامريكى .. » وأمريكا هى الحليف الذى يزود اسرائيل بأسلحتها ، ويمد اقتصادها بأسباب الحياة ، ويقدم الغطاء الذى يحمى الدبلوماســـية الاسرائيلية .. وهى الحليف الذى له دوافع لا حدود لها لتقديم مشروعات للسلام » .

ثم يقول : « وأى زعيم اسرائيلى يتبنى فكرة تقديم تنازل يمكن أن يواجه حركة انقضـــاض عليه ، من جانب زملائه ، كما يواجه صرخات حادة تندد به فى البرلمان ، باعتباره خائنا ، أو على أقل تقدير باعتباره أداة ســـاذجة للأمريكيين الماكرين أو الحمقى .. وعبارة « الضغط الامريكى » يمكن أن تكون ذريعة لقبول أشياء يعرف الكثيرون من الزعماء الاسرائيليين فى أعماقهم أن قبولها أمر ضرورى لاسرائيل على أية حال » !

هذه السطور التى يصف بها كسينجر أسلوب التناور الاسرائيلى صادقة كل الصدق .. ولكنه يسجلها ذرا للرماد فى العيون .. ولكى يبدو وكأنه الرجل المنصف العادل .. فى الوقت الذى سخر فيه كل « عبقرياته » لخدمة الخط الاسرائيلى قبل حرب أكتوبر ..

وهو قد عانى بعد ذلك . فى مباحثات السلام المكوكية ــ بعد أكتوبر ــ حتى أنه ترك اسرائيل والدموع تملأ عينيه .. بعد أن تلقى صفعة قاتلة ممن كان رسولهم الاول والقوى فى البيت الابيض قبل أن تقلب حرب أكتوبر كل الموازين .

● التلاعبـــان :

ثم نرى فى هذه الصـــفحات التلاعب الامريكى .. والتلاعب السوفيتى معا .. وكل يغنى على ليلاه . لقد أبلغ نيكسون جولدا مائير أن عليها أن تطمئن أن أمريكا لا يمكن أن تقبل التفسير العربى لقرار ٢٤٢ (وهو الانسحاب الكامل) .

وفى الوقت نفسه أبلغ نيكسون مصر والدول العربية بما يوحى أن أمريكا تقبل التفسير العربى لقرار ٢٤٢ !

أما عن السوفيت .. فهم غاضبون لانهم ليسوا طرفا فى اتفاق وقف اطلاق النار .. وان أمريكا تستبعدهم . فهم لا يفعلون الا الاحتجاجات البليغة .. « رغم أنهم وافقوا بصوت مرتفع وعال على اتفاق وقف النار فى ٢٣ يوليو » .. ووصفوه بأنه خطوة أولى هامة .

● والآن بعد ٩ أعوام :

ويكفى فقط بعد هذه الملاحظات أن نرى الموقف اليوم .

●● بيجين الذى انسحب من حكومة الطوارىء ــ بعـــد اشتراكه فيها ٣ سنوات ــ لمجرد ان مائير رئيسة الوزراء ــ المؤمنة بالتأكيد الامريكى بانه لا انسحاب كامل من الارض المحتـــلة ــ وافقت على وقف النار وبدء محادثات السفير يارنج على أســـاس مشروع روجرز .. وشن أعنف الهجوم على مائير وامريكا .. هو نفسه بيجين الذى يوقع على اتفاقات كامب دافيد ، وعلى معـاهدة السلام بين مصر واسرائيل التى تعترف بحدود مصر الدولية وتحقق الانسحاب الكامل من كل شبر .. ويدعو سوريا والاردن ــ طبقا لاتفاق كامب دافيد ــ الى مفاوضات مباشرة .. لمعاهدات سلام .

●●● ثم نرى الجهود الامريكية لاقرار الحكم الذاتي للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة .. والاعــلان الامريكي بأن وجود المستوطنات الاسرائيلية عمل غير مشروع .. الى آخـر ما يجري على الساحة الامريكية الآن ، رسميا ، وشعبيا .. بل اننا نقرأ لكتاب امريكيين يهـود ، أن اسرائيل يجب ان تفهم أنهـا لا يمكن أن تستمر عبئا على أمريكا .. وعلى مصالح أمريكا القومية. بالتصلب أو التعنت في مفاوضات الحكم الذاتي ..

●●● ثم نرى كيف حركت حرب أكتوبر ومبادرة السلام .. القضية الفلسطينية تحريكا عمليا .. واصبحت القضية الفلسطنية هي مثار الاهتمام والتأييـد .. ثم نرى سعي ياسر عـرفات الى الاتصال بامريكا .. في الوقت الذي يهاجم فيه شعب مصر وقيادة مصر التي أتخذت الطريق المستقيم الشجاع البعيد عن التهـريج والديماجوجيـة .. بل ان مصر هي التي فتحت امام المنظمـة كل الطرق المسدودة . ومن يحاول الجحود الذي الفناه .. عليـه أن يعود الى كل أحاديث السادات الرسمية والعلنيـة في زياراته لامريكا .. وفي كل خطوات السلام . عن قضية الشعب الفلسطيني .. وانه لن يتحقق السلام الدائم والشامل الا بحلها .. وهاهو قد وضع اقدامهم على أول الطريق الصحيح .. ولكن زعامة ياسر عرفات تواجه محنة رهيبة.. بعد أن اتضحت كل الحقائق ، ولذلك فهو يلجأ الى الاسلوب القديم العفن .. الاثارة والخطب الرنانة . وهو يعلم أن اى تأييـد عالمي لقضية الشعب الفلسطيني أصبح مرتبطا ، بالاعتراف المتبـادل بين المنظمة واسرائيل .. وبوقف أعمال التخريب التي لاتقدم ولا تؤخر .. وبالمفاوضات المباشرة ..

وماذا انتهى اليه الامر في مؤتمر قمتهم العربيـة في تونس اخيرا ؟ ..

الم يتعهد ياسر عرفات بعدم استخدام لبنان معبرا لاى عمـل فدائي داخل اسرائيل ؟ .. ألم يتعهد بالا ينسب أى عمل فدائي داخل اسرائيل الى المنظمة ؟ .. ثم ماذا قال الزعماء الامريـكيون السود لعرفات ؟ ..

انهم يؤيدون حق الشعب الفلسطيني على ارضـه .. ولكنهم ايضا يطلبون حماية بقاء اسرائيل والاعتراف بها .. والمفاوضات المباشرة معها ..

هذه هي الحقائق التي يتعمد تجـاهلها كل من يتهجمون على مصر ..

ويكفى ان استشهد هنا بحـــديث لزعيم فلسطينى من زعماء « فتح » وهو خالد الحسن عضو اللجنة المركزية للمنظمة ٠٠وكثيرا ما هاجم خالد الحسن اتفاق كامب دافيد ومعاهدة الســـلام ٠٠ ولا يزال يهاجمها ! ولكننى اقرأ له حديثا فى صحيفـــة « الشرق الاوسط السعودية التى تصدر فى لندن ، عن خيبة أمله فى جبهة الرفض ٠ وقد نشر هذا الحديث صباح يوم الاحد ٢٨ أكتوبر الماضى

يقول خالد الحسن فى هذا الحديث أن قرارات مؤتمر قمةبغداد انتهت الى الفشل لانها لم تقدم خطة عمل عربية تقدم البـــديل بأسلوب علمى للمجتمع الدولى ، وتتيح ممارسة الحركة السياسية على الصعيـــد الدولى فيما يختص بالصراع العربى الاسرائيـــلى والصهيونى الفلسطينى ٠

●●●

وانا اســـال السيد خالد الحسن ٠٠ وماذا فعلت مصر غير ذلك ؟ ٠٠ منذ حرب أكتوبر ٠٠ حتى مبادرة السلام ؟ ٠٠

●●●

ثم يقول خالد الحسن : ولكن المؤسف أن قرارات بغداد – التى كانت جيدة على المستوى العسكرى والسياسى (!!!) لم تنطو على تخطيط عملى أو ديناميكية تطبيق ، مما أفقدنا الحركة السياسية والعسكرية العربية الجماعية !! ٠ ثم يقول انه لا توجد خطـــة للتحركالسياسى ٠٠ أو خطة للتحرك الاعلامى ٠٠ ولم تتخـــذ أى خطوة بشأن أى عمل عسكرى عربى !! ٠٠ وهكذا اصبحت الثورة الفلسطينية فى فـــراغ سياسى ، والفراغ الســـياسى بالنسبة للثورة يمكن أن يكون خطرا قاتـــلا ٠ ولذلك لابد من التحـــرك السياسى ٠

●●●

وانا أسأل السيد خالد الحسن ٠٠ وماذا فعلت مصر غير أنها تحركت عسكريا وسياسيا على أساس استراتيجية علمية شجاعة ٠٠ فكانت حرب أكتوبر التى قلبت كل الموازين ٠٠ وكانت مبادرة السلام التى هزت ضمائر مئات الملايين فى العـــالم كله ٠٠ ومع ذلك ٠٠ فلم نلق الا الاتهام بالخيانة وبيع الشعب الفلسطينى من اجل حفنة تراب فى سيناء !

● هل هى الحقيقة ؟

يقول خالد الحسن ـ الذى أكن له أحتراما خاصا ـ هـــذه التصريحات لكى يبرر التحرك السياسى الذى تقــــوم به منظمة التحرير الآن .. والذى يصفه بانه حقق انتصارات معنوية .. حتى تستمر الحركة النضالية ولو بشكل جزئى ..

وهو يرى أن زيارة عرفات لاسبانيا ثم البرتغال .. هو هذا التحرك السياسى الذى يحقق انتصارات معنوية ! .. بل هو ينسب اقنـــاع الاشتراكية الدوليـــــة بالحق الفلسطينى .. الى ياسر عرفات !! ..

هل هذه هى الحقائق يا أخ خالد ؟ .. هل يجحد أحـــــد دور مصر فى الاشتراكية الدولية ؟ .. وهل يجحد أحد الجهـــد الذى بذله السادات فىمئات الرحلات الدولية لكى تتحرك قضيةفلسطين وهل يتجاهل خالد الحسن دور مصر فى تحريك موقف كرايسكى مستشار النمسا الذى يصف أنور السادات بأنه الزعيم العـــالمى الذى حقق المعجزة ؟ . ولا أطلب من خالد الحسن الا قراءة خطاب كرايسكى أمام الامم المتحدة .. ثم تصريحاته فى امريكا .

هل هذه الزيارات الكسيحة التى يجريها ياسر عرفات .. الى دولتين أو ثلاث دول فى أوربا .. هى التحرك السياسى الذى يبقى على النضال .. والنضـــــال من أجل ماذا ؟ .. من أجل الاتصال بأمريكا !!

الم تفتح لكم مصر صدرها بكل صدق وسخاء ، فى كل اجراءات السلام بعد حرب اكتوبر .. وكان ياسر عرفات يتقدم خطوة ويعلنها .. ويعود ليتراجع عشرات الخطوات وينكر ما التزم به.. وكان كل ذلك خلال اتصالات الرئيس السادات بالرئيس كارتر مباشرة .. ومن قبله فورد .. ونيكسون فى أيام حكمه الاخيرة ؟ ..

ومع ذلك فان خالد الحسن يصف فى نهاية حديثه ، موضوع الحكم الذاتى للشعب الفلسطينى .. بأنه مؤامرة !

مؤامرة .. لانه يتيح للشعب الفلسطينى ان يحكم نفسه .. وان يقرر مصيره .. على أرض الضفة الغربية وغزة .. أرض فلسطين التى أعلنت مصر أن الشعب الفلسطينى هو صاحب السلطان الاول والاخير عليها ؟ ..

لقد أدلى خالد الحسن بهذه التصريحات قبل انعقاد مؤتمر تونس .. ومن حقنا أن نسأله .. ماذا حقق مؤتمر تونس غير بضعة ملايين من الدولارات للمنظمة .. ولحكومة لبنان ؟ .. أى شئ. قد تغير فى موقف « المتضامنين » العرب .. حقق عملا ايجـــابياً ما لقضية فلسطين ولشعب فلسطين ؟ ..

● ماذا قال عبد الناصر للملوك والرؤساء ؟

أعود الى مذكرات كسينجر .. التى وصلت فى هذا الفصل الى أن مبادرة روجرز وصلت الى الطريق المسدود بعد التناور الامريكى الاسرائيلى الذى جعل من موضوع الصواريخ أزمة كبرى تمنع أى مباحثات غير مباشرة للسلام .. وبعد أن قامت مذبحة أيلول الاسود فى الاردن ..

كان آخر عمل قام به جمال عبد الناصر هو دعوة الملوك والرؤساء العرب الى مصر .. ودعوة الملك حسين وياسر عرفات .. والدور الكبير الذى قام به الرئيس جعفر نميرى باسم المؤتمر .. أعود الى المحضر السرى لهذا الاجتماع ـ الذى بدأ فى ٢٢ ديسمبر ١٩٧٠ وقاطعته العراق ـ وانتهى بموت جمال عبد الناصر بعد أن ودع أمير الكويت .. ثم توقيع اتفاقية القاهرة التى تحمى العمل الفلسطينى بعد أن هددت أمريكا بالتدخل العسكرى .. ونصح الاتحاد السوفيتى بتجنب التدخل الامريكى بكل وسيلة . وتدخلت حكومة البعث العراقى ضد المقاومة الفلسطينية ..

ببساطة طالب القذافى فى هذا المؤتمر ، أن تحارب الجيوش العربية أمريكا ! .. « نفس الاسلوب التهريجى الذى يستخدمه القذافى الآن بالنسبة لازمة أمريكا وايران .. »

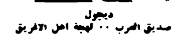
وهاجمت الصحف والاذاعات فى بعض الدول العربية المؤتمر الذى دعا اليه عبد الناصر لانقاذ الفلسطينيين ووقف اراقة الدماء .

قال عبد الناصر للمجتمعين .. أن مصر لن تتدخل بجيش . وليكن هذا واضحا . لسنا فى مزايدات . « يجب أن نعرف أن هناك تناقضات فى العالم العربى .. وأنا بصراحة أقول لكم أن هناك عناصر من الفدائيين يريدون اشعالها (جماعة جورج حبش) .. وكذلك عناصر فى الاردن .. السؤال .. هل احنا مستعدين نحارب فى الاردن ؟ .. لا . أنا بصراحة أقول : لا . السوريون أدخلوا ٣٠٠ دبابة ثم سحبوها . ولست هنا لازايد . من السهل أن أصدر بيانا ملتهبا .. ويقولوا الناس على ثورى وخلاص . نريد وقف اراقة الدم





الملك فيصل
طبعا .. تطلع بيانات .. اننا مستعدون ان نحارب الى اخر جندى مصرى ..



ديجول
صديق العرب .. لهجة اهل الافريق

العربى . هناك من يريد للفتنة أن تستمر . وهنالك اسرائيل . واذا اسرائيل دخلت لبنان لن نستطيع أن نستردها . وهذا الكلام أقوله ليسجل للتاريخ . هدفكم الاول أن تحافظوا على لبنان وتنظموا علاقاتكم بالفدائيين .. احنا اتعلمنا الحساب من بعد سنة ١٩٦٧ . الى ورطونا اليمنيين سنة ١٩٦٢ والسوريين سنة ١٩٦٧ .

الاتحاد السوفيتى باعتين يقولوا لى أن العملية خطيرة . ولا بد أن نجنب المنطقة ويلات التدخل فى الاردن وفى لبنان وسوريا . وهم منزعجون من دخول القوات السورية . أنا أعمل ايه لو نزل الامريكان فى عمان . عندى قوات فى القناة لو طلعتها يهاجمونى اليهود . أنا حابقى احارب أمريكا . تقدير الاتحاد السوفيتى أن أى تدخل يضر بمصلحة العرب .

القذافى : بعد سنة ١٩٦٧ ماعدناش نصدق الاتحاد السوفيتى ..
« أما الآن فالقذافى هو اداة السوفيت لتحقيق أطماعهم فى المنطقة .. وأولها ضرب النظام المصرى » ..

عبد الناصر ــ موجها حديثه الى ربيع رئيس اليمن الجنوبى : انتم فى اليمن الجنوبى عملتم بيان ضد مشروع روجـــرز .. ما أنتم دوختونا ؟ .. أنتم تقدروا تعملوا ايه ؟ .. ما هى امكانياتكم ؟ ..
الرئيس ربيع : هذه هى مسئوليتكم ..
عبد الناصر : أنتم تطلعوا بيانات .. وانا اللى أحارب ..

الملك فيصل : طبعا .. تطلع بيانات .. اننا مستعدون أن نحارب الى آخر جندى مصرى ..

روجرز يتهم كسينجر

● فى ١٥ سبتمبر ١٩٧٠ وصلت مبادرة روجرز الى الطريق المسدود .

● روجرز يتهم كسينجر امام نيكسون بانه تعمد اثارة ازمة الصواريخ لنسف مبادرة روجرز .

● نيكسون أبلغ اسرائيل بانه لا يوافق على تفسير العرب للقرار ٢٤٢ .. وأبلغ العرب بانه لا يوافق على تفسير اسرائيل للقرار ٢٤٢ !

* روجـــرز يخفى عن كيسنجر أجزاء من مـــذكرة دوبرينين السفير السوفيتى .

● .. وكسينجر يخفى عن روجرز معـــلومات اكثر اهمية !

* امريكا تستخدم طائرات الاستطـــلاع للتحليق فوق سيناء ومراقبة وقف اطلاق النار .

● الفصل السابع ●

روجرز يتهم كسينجر

كتب كسينجر :

نسب وليام روجرز وزير الخارجية الامريكي الفضل في موافقة مصر على وقف اطـــلاق النـــار .. الى مبادرته .ولكن جوزيف سيسكو وكيل الوزارة أخذ يقول في أحاديثه الخاصة أنه صـــاحب الفكرة في وقف اطلاق النار . أما الرئيس نيكسون فقد كان مقتنعا بأن بيانه المتشدد الذى ألقاه في أول يوليو هو الذى حقق هذا الانجاز البارع .

وبما أن التواضع ليس من صـــفاتى الحميدة فانني لا أتردد عن أن أنسب بعض « النجاح » الى تحليلاتي للاحداث التي قدمتها في ٢٦ و٣٠ يونيو ١٩٧٠ ومحادثاتي مع السفير السوفيتي دوبرينين..وربما كنا جميعا محقين في تقدير كل منا لدوره . وعلى أية حال .. فقد اتضح بسرعة أن فرحتنا كانت سابقة لاوانها .

وقام دوبرينين بتشجيع مقصود لهذا الحماس الذى سيطر علينا في البداية . فقد أوضح لي في يوم ٢٣ يوليو أن الموقف السوفيتي تجاه وقف اطلاق النار المؤقت هو موقف ايجابي وأن الاتحاد السوفيتي يفضل أيضا استئناف مهمة الوسيط الدولى جونار يارنج . وفي نفس الوقت سلم دوبرينين مذكرة الى وزارة الخـــارجية الامريكية جاء فيها : أن السوفيت يوافقون على تجميد المواقع العسكرية في ظل وقف اطلاق النار ..

وقد أهمل روجرز في أن ينقل لي جزءا مما ذكره له دوبرينين .. وتعويضا عن ذلك .. قدم لي دوبرينين مذكرة لا يعرف عنها روجرز

شيئا وهي تتعلق بالاسئلة التى سبق أن وجهتها فى ١٠ و ٢٣ يونيو حول استمرار وجود القوات السوفيتية فى الشرق الاوسط .. وجاء فى المذكرة أن السوفيت « يمكن » أن يكونوا مستعدين « بعد » تسوية سياسية شاملة لبحث انسحابهم ما دام انه يكون التزاما « متبادلا » . وعندما أوضحت أنه لا توجد قوات عسكرية تابعة لنا فى الشرق الاوسط .. قال دوبرينين فى البداية ان هذا افضل لكل منا وأن التبادلية فى الالتزام وضعت باعتبارها مسألة مبدأ لتحسين الصياغة . وفيما بعد أجرى تعديلا فى أقواله ليذكر أن على الولايات المتحدة أن تسحب العسكريين التابعين لها من ايران .

● الاسلوب الاسرائيلى

لو كنا قد تفهمنا الموقف بصورة افضل .. لكنا قد أدركنا أننا لم نفعل شيئا سوى ازالة أدنى عقبة . فمن المؤكد أن المفاوضات التى اعددنا لها ستواجه طريقا مسدودا مادام أن مصر ما زالت تطالب باعادة حـــدود ١٩٦٧ كما أن اسرائيل مازالت تصمم على تغييرات اقليمية جوهرية . وتوقعت مصر أن تمارس امريكا ضغطا على اسرائيل . بينما أرادت اسرائيل أن تكون طليقة فى تصرفاتها تحت شعار «لا تسوية مفروضة» . وحتى عندما يقبل الزعماء الاسرائيليون مشروعا للسلام .. فانهم فى البداية يقاومون بوحشية . وهـــذه المقاومة تخدم غرض اظهارهم فى صورة أنهم اشخاص قادرون على مقاومة اغراء ما ، وأنهم خصم يصعب التغلب عليه فى المفاوضات . وهكذا يضعون السدود أمام مطالب اخرى موجهة اليهم لتقديم تنازلات اسرائيلية .. وعادة ما تصاحب موافقتهم على اقتراح سلمى .. طلبات لا نهاية لها حول الضمانات ومذكرات التفاهم والتفسيرات السرية .. وكل ذلك بهدف الحد من حرية العمل لدى حليف على مسافة خمسة آلاف ميل يزود اسرائيل بأسلحتها ويمد اقتصادها بأسباب الحياة ويقدم الغطاء الواقى الذى يحمى دبلوماسيتها ويملك على ما يظهر دوافع لا حدود لها لتقديم مشروعات للسلام .

ويؤدى النظام الســـياسى فى اسرائيل الى تقوية هذه النزعات لديها . ففى ظل هذا النظام تتشكل حكومات فى العادة من عمليات ائتلاف مضطربة ومزعزعة بين احزاب متعددة واجنحة ســـياسية مستقلة بذاتها . ومثل هذا النظام غير مؤهل لاصدار قرارات سريعة أو ممارسة دبلوماسية مرنة . وأى زعيم يتبنى فكرة تقديم تنازل

يمكن أن يواجه حركة انقضاض عليه من جانب زملائه كما يواجه صرخات حادة تندد به فى البرلمان باعتباره خائنا أو على أقل تقدير، باعتباره أداة ساذجة للامريكيين الماكرين (أو الحمقى) · ان اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي هو مكان مناسب لفحص وتمحيص «وتفلية» مقترحات السلام بطريقة تشيع هذه المقترحات الى مثواها الاخير ، كما أنه مكان أقل استعدادا لتطوير سياسة بعيدة المدى · وتجد اسرائيل فى بعض الاحيان من الاسهل عليها أن تلقى مسئولية الاختيارات الصعبة على حليفها الكبير (الولايات المتحدة) بدلا من أن تتخذ القرار بنفسها · وعبارة « الضغط الامريكى » يمكن أن تكون ذريعة لقبول أشياء يعرف الكثيرون من الزعماء الاسرائيليين فى اعماقهم ان قبولها أمر ضرورى لاسرائيل على أى حال ·

ولذا فقد كان الرد بحماسة اقتراح وقف اطلاق النار وفكرة المفاوضات خروجا على طبيعة اسرائيل ·

● تفسيرات متناقضة

وأرسل نيكسون خطابا الى جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية يطمئنها فيه على أننا لا يمكن أن نرغم اسرائيل على قبول التفسير العربى لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فى وضع خطوط عريضة لمهمة يارنج ·

وقد قدم نيكسون للعرب الانطباع المضاد تماما (بالايماء اليهم) بقبول تفسيرهم للقرار ٢٤٢ عندما طرحت عليهم مبادرة وقف اطلاق النار !

وردت اسرائيل بتقديم طلبات معونة عسكرية اضافية وخاصة الاسلحة التى تتفوق على الصواريخ السوفيتية أرض ـ جو · وقدمت لها وعدا ينم عن التعاطف مع طلبها ·

وطلبت اسرائيل المزيد من الايضاحات حول موقفنا من قضايا مثل الانسحاب واللاجئين · وكانت اجاباتنا تنطوى على قدر محدود من هذه الايضاحات لانه لم يكن هناك موقف موحد فى الحكومة الامريكية بشأنها ولان هؤلاء الذين تتوافر لديهم أفكار واضحة كانوا يخشون الاعلان عنها حتى لا يفسدوا موافقة اسرائيل على المبادرة الامريكية ·

وكان لمخاوف اسرائيل ما يبررها ··

فقد استخدم السوفيت والمصريون بوضوح الفترة السابقة على وقف اطلاق النار لحشد الصواريخ بسرعة على طول القناة ·· منتهكين بذلك روح ــ ان لم يكن نص ــ اتفاق التجميد العسكرى المرتقب ·

وفى الخامس من اغسطس جاء اسحاق رابين سفير اسرائيل فى واشنطون مسرعا وهو يحمل معه صورة كئيبة للموقف · قال انه تم تحريك ١٤ منصة للصواريخ الى داخل المنطقة الواقعة على مسافة خمسين كيلو مترا من القناة ، وأنه تم تحريك ثلاث منصات لكمائن الصواريخ الى منطقة تقع على مسافة ١٠ ــ ٢٠ كيلو مترا · وفى ٢٥ و ٢٧ و ٣٠ يوليو قامت عناصر ســــوفيتية بقيادة طائرات واشتبكت مع الطيران الاسرائيلى ، وفى ٣٠ يوليو اسقط الســلاح الجوى الاسرائيلى أربع طائرات يقودها طيارون سوفيت ·

● التهديد بالهجوم

وشعرت من حديث رابين أن اسرائيل قد تشن بالفعل هجوما بريا على منصات صواريخ سام ــ ٣ القريبة من القناة قبل تنفيذ وقف اطلاق النار ولذلك أبلغت نيكسون بالامر · وفى اللحظة الاخيرة اتخذ مجلس الوزراء الاسرائيلى قراره ضد اتخاذ مثل هذه الخطوة· ولم استطع أن أعرف أبدا ما اذا كان رابين قد بالغ فى ترجيح احتمال شن هجوم اسرائيلى ·· أم أنه حدث فى الدقيقة الاخيرة تغيير حقيقى فى موقف حكومة اسرائيل ·

وأبلغتنا اسرائيل رسميا فى السادس من اغسطس بقبول وقف اطلاق النار · واندفع روجرز وسيسكو لاستكمال اجراءات تنفيذ هذا القرار قبل أن يغير أى شخص رأيه ·

كانت اتفاقية وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل تنص أيضا على تجميد عسكرى فى منطقة عرضها خمسون كيلومترا على جانبى القناة ·· ولسوء الحظ أن هذا النص المتفق عليه كان يشـــوبه الغموض فيمـــا يتعلق بطبيعة التصرفات التى يحظرها الالتزام بالتجميد · وكان ثمة « تفاهم » منفصل بين اسرائيل والولايات المتحدة يستهدف ملء هذه الثغرة عن طريق ايضاح تفصيلى لوجهات نظرنا المشتركة فى الاجراءات التى نشـــعر بأنها تشكل انتهاكا للاتفاقية المصرية ــ الاسرائيلية ·

● مشكلة التوقيت

وصدرت تعليمات الى ممثلنا فى القاهرة بابلاغ المصريين بأمثلة يمكن القول بأنها « توضيحية » للانشطة التى يمكن اعتبارها انتهاكا

للتجميد العسكري وذلك في ضوء التفاهم الاسرائيلي ـ الامريكي وفضلا عن أنه لم يكن من الواضح كيف يمكن أن يكون تفاهم بين اسرائيل والولايات المتحدة ملزما لمصر والاتحاد السوفيتي ؟ .. فقد حدثت أيضا مشكلة خطيرة تتعلق بالتوقيت .. فقد وافق المصريون رسميا على اقتراحنا بوقف اطلاق النار في ساعة مبكرة من يوم ٧ اغسطس بالتوقيت الامريكي ، وبدأ سريان وقف اطلاق النار في الساعة الواحدة من فجر يوم ٨ أغسطس بتوقيت القاهرة . ولكن بسبب المساومات مع اسرائيل حول بنود الاتفاقية ، فان ممثل وزارة الخارجية الامريكية لم يستطع أن ينقل للقاهرة «الكتالوج التوضيحي» لنماذج الانتهاكات الا في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر يوم ٩ أغسطس بتوقيت القاهرة .. أى بعد الموعد بـ ٣٦ ساعة . وهكذا سيدعي الاسرائيليون بعد ذلك أن مصر انتهكت اتفاقية التجميد خلال ٨ ـ ٩ أغسطس حتى قبل أن تكون لدى مصر أى وسيلة محددة لمعرفة ما نقصده بالتجميد العسكري . ومن أمثلة المحظورات التي يفرضها التجميد :

١ ـ عدم ادخال او تحريك (الى الامام نحو القناة) أو تشييد . أو وضع صواريخ في المنطقة المذكورة .

٢ ـ عدم اقامة أية منشآت من الاسمنت للصواريخ .

٣ ـ عدم القيام بأى عمل لاقامة أى منصات جديدة للصواريخ .

٤ ـ الموافقة على استثناء المنشآت القائمة فيما يتعلق بالصيانة غير أنه لا يجب ادخال تحسينات على منصات الصواريخ القائمة أو قواعدها الثابتة .

وقد تم نقل وثائق « وتوضيحات » اتفاقية وقف اطلاق النار الى السوفيت . ولكن موسكو لم تكن من الناحية الرسمية طرفا في اتفاقية وقف اطلاق النار أو التجميد العسكري على حد سواء . وعندما تصاعدت الاتهامات حول انتهاك الاتفاقية .. أصرت موسكو بصورة متزايدة على أنها ليست ملزمة بشيء رغم موافقتها بصوت عال على هذه الاتفاقية في ٢٣ يوليو .. ووصف السوفيت وقف اطلاق النار بأنه « خطوة أولى هامة » . وأبلغ جوزيف سيسكو « المجموعة العليا لاستعراض المواقف » المنبثقة من مجلس الامن القومي الامريكي في يوم ١٢ أغسطس انه بدأ بالفعل صياغة مشروع « اتفاقية كاملة » يتضمن بنودا قاطعة حول الحدود النهائية .

، المعلومات عن التحركات الاولى داخل جبهة القناة (التى اشتهرت باسم أزمة تحريك الصواريخ المصرية ، كانت مشوشة · ولا شك أن الدعاية الاسرائيلية قدمت هذه المعلومات فى أكبر جو من الاثارة . غير أنه لا شك أن شبكة الدفاع الجوى المصرية ـ السوفيتية قد تحركت الى الامام لمسافة كبيرة خلال فترة الاسابيع الثلاثة التى مضت بين قبول مصر للاقتراح الامريكى وبدء سريان وقف اطلاق النار والتجميد العسكرى · ويكاد يكون من المؤكد أن ما كان يجرى تشييده عندما بدأ سريان مفعول وقف اطلاق النار ·· قد استكمل فيما بعد· ويحتمل أيضا أن يكون السوفييت والمصريون قد أخذوا على غرة بالسرعة غير العادية التى تحرك بها جهازنا البيروقراطى من أجل اقرار وقف اطلاق النار ·

وتفجرت قصة انتهاك مصر لاتفاقية وقف اطلاق النار · وانسحب حزب مناحم بيجين من حكومة الطوارىء الائتلافية فى اسرائيل والتى كان قد اشترك فيها منذ عام ١٩٦٧ وشن هجوما عنيفا على جولدا مائير رئيسة الوزراء بسبب موافقتها على المشروع الامريكى ·

● وقائع جديدة :

ومع ذلك . فقد اتخذت وزارة الخارجية الامريكية موقفها على أساس أن الولايات المتحدة ، لم تتوصل الى نتائج ، بصدد التقارير الاسرائيلية عن الانتهاكات · وصدرت تعليمات الى سفيرنا فى اسرائيل لحث الحكومة هناك على أن تكف عن النقاش العلنى حول هذه المسألة وأن تعين مندوبها فى محادثات يارنج ·

وفى يوم ١٥ اغسطس جاء اسحاق رابين لمقابلتى وهو يحمل وقائع جديدة عن انتهاكات مصر لاتفاقية التجميد العسكرى · وقال أن جولدا مائير تريد أن تعرض هذه المشكلة بنفسها على الرئيس نيكسون شخصيا ·

● صواريخ شرايك :

واعتبرت وزارة الخارجية الامريكية أن هذه الخطوة غير مناسبة فى الوقت الحالى · وعوضا عن ذلك رتبت لقاء بين رابين ونيكسون· وشكا رابين بمرارة للرئيس من أن أجهزة المخابرات الامريكية لا تريد تصديق معلومات المخابرات الاسرائيلية . وأكد أن هناك انتهاكات حقيقية للتجميد العسكرى ·

وعلى ذلك وافق نيكسون على ارسال شحنة سريعة من صواريخ شرايك الامريكية لاستخدامها ضد شبكة صواريخ سام ـ ٣ ثم وافق على أن يجتمع في واشنطن مع جولدا مائير خلال شهر سبتمبر عندما تحضر الى أمريكا للاشتراك في العيد الخامس والعشرين للأمم المتحدة .

ويحتمل أن يكون موقفنا المتردد في البداية تجاه اتهامات اسرائيل لمصر بانتهاك الاتفاقية .. قد شجع عبد الناصر على زيادة سرعة عملية نشر الصواريخ على مسافات أقرب الى القناة . ولابد من الاعتراف بأن المعلومات التى قدمت في النصف الاول من أغسطس .. كانت غامضة ولا تتيح التأكد من أن التحرك أو النشاط الذى حدث على جبهة القناة .. قد تم مباشرة قبل أو بعد سريان وقف اطلاق النار .

كان الشرق الاوسط هو القضية الوحيدة التى بقيت لوليام روجرز ليكون مسئولا عنها ويملك سلطة فى التحرك لعلاجها . وقد تلقينا دليلا ، قاطعا ، فى يوم ٢٢ أغسطس على انتهاك مصر للتجميد العسكرى .. ولكن الخارجية الامريكية حاولت معالجة هذه المشكلة بهدوء، حرصا على بدء المفاوضات . وقد أبلغنا القاهرة بهذا الدليل القاطع فى نفس الوقت الذى حرصت فيه واشنطون على الامتناع عن توجيه اتهامات علنية .

● روجرز يتهم :

وفي اجتماع عقد في سان كليمنت يوم ٢٥ أغسطس يضم الرئيس نيكسون وروجرز وسيسكو .. وأنا .. وجه روجرز لى تهمة السعى الى تفجير أزمة باصرارى على اثارة موضوع انتهاكات وقف اطلاق النار .. وانتهى الاجتماع بلا نتيجة .

وكنا قد أبلغنا السوفيت فى الثامن من أغسطس بأننا سنراقب وقف اطلاق النار بطائراتنا الاستطلاعية (يو ـ ٢) وفى ٢٨ أغسطس جاء الرد السوفيتى بأن هذه الخطوة من جانبنا تمثل « عنصرا جديدا فى تعقيد الموقف » . « وتتناقض مع بنود وقف اطلاق النار » وتنتهك السيادة المصرية .

وفى ٢٩ أغسطس توصل « راى كلين » مدير مكتب المخابرات والابحاث في وزارة الخارجية الامريكية الى أنه اصبحت توجد سبع أو ثماني منصات لصواريخ سام ـ ٢ وثلاث أو أربع منصات

لصواريخ سام ـ ٣ فى المنطقة التى يبلغ عرضها ثلاثين كيلو مترا غربى القناة ٠ ومعظم هـــذه المنصات ـ كما قال ـ قد أقيمت بعد سريان وقف اطلاق النار ٠ وفى يوم ٣١ أغسطس جاء تقرير من وكالة المخابرات المركزية يؤكد هذه المعلومات ٠

وكان لابد من عقد اجتماع فى ســـان كليمنت فى أول سبتمبر اشترك فيه الرئيس نيكسون وروجرز والقائدان العسكريان مورير وليرد وريتشارد هيلمز مدير المخابرات ٠ وأنا ٠ وأصدر نيكسون توجيهاته بارسال احتجاج قوى للغاية الى كل من القاهرة وموسكو ٠٠ ومطالبة اسرائيل بايفاد ممثل لها الى محادثات جونار يارنج فى نيويورك ٠ وفى ٣ سبتمبر أكدت وزارة الخارجية الامريكية علنا حدوث الانتهاكات بطريقة لا يشوبها الغموض فى هذه المرة ولكنها تتسم بقدر كبير من ضبط النفس ٠ وأوضحت الخارجية الامريكية أنها ستعالج المسألة من خلال القنوات الدبلوماسية فقط ٠ كانت وزارة الخارجية لا تزال حريصة على بدء محادثات يارنج ٠

● مقاطعة المباحثات :

وظلت مصر والاتحاد السوفيتى يرفضان احتجاجاتنا ٠ وأنكرت القاهرة الاتهامات فى يوم ٤ سبتمبر وأعلنت أن اســـتمرارنا فى امداد اسرائيل بالاسلحة يتعارض مع التأكيدات المزعومة عن ضبط النفس ٠

وفى يوم ٦ ســـبتمبر أبلغ سيرجى فينو جرادوف نائب وزير الخارجية السوفيتى ٠٠ سفيرنا فى موسكو بأن الاتحاد السوفيتى لم يبرم أية اتفاقية لوقف اطلاق النار مع الولايات المتحدة ولذلك فانه غير مسئول عن أية انتهاكات ٠٠ وأشـــار فينو جرادوف الى « الترتيبات الغريبة » التى تقوم الولايات المتحدة بموجبها بمراقبة وقف اطلاق النار دون أن تطلب مصر منها ذلك ٠٠ وانتهاك الولايات المتحدة للأراضى المصرية عن طريق التحليق فوق سيناء ٠

وفى نفس الوقت سلم قائم بالاعمال بالســـفارة السوفيتية فى واشـــنطون رســـالة الى الخارجية الامريكية تعرب عن القلق ازاء ماأسماه بهجوم اسرائيلى وشيك على منصات الصواريخ غربى‌القناة ٠ وطلب منا السوفيت اتخاذ خطوات لمنع هـــذا الهجوم ٠ ولم يكن لدينا ما يشير الى وقوع هذا الاحتمال ٠ وأظن أن هـــذا السعى السوفيتى كان جزءا من جهود موسكو التى تتكرر بانتظام لحملنا

على اتخاذ موقف دفاعي . وطلبت من سيسكو أن ينقل هذا التحذير الى اسرائيل بدون تعليق .. ولكن دون أن يؤكد للسوفييت أنه فعل ذلك .. اذ ليس هناك معنى لكي نجعلهم يعززون مكانتهم في القاهرة بوصفهم حماة العرب .

بعد كل هذه الخلافات والانتهاكات لم يكن من قبيل المفاجأة أن تعلن اسرائيل يوم ٦ سبتمبر أنها لا تستطيع الاشتراك في محادثات تسوية تحت اشراف يارنج . وعلاوة على ذلك فقد اختطف الفدائيون الفلسطينيون ثلاث طائرات . والتطورات التي بدأت قبل شهر على أنها خطوة نحو السلام تحولت الى تحرك سريع نحو مواجهة .

● تقرير سوندرز :

وفي نفس الوقت .. أبلغني هارولد سوندرز الخبير في شئون الشرق الاوسط ـ الذي يعمل في مكتبي ـ بأن الانتهاكات السوفيتية والمصرية قد تزايدت بالفعل بعد احتجاجاتنا في أوائل سبتمبر . ولم يعرف عن سوندرز ـ وهو محلل ممتاز ومستشار يتصف بالموضوعية ـ أنه متحيز ضد العرب . ومع ذلك فقدكتب تقريرا لي أوضح فيه ذلك على ضوء الصور التي التقطتها طائرات (يو ـ ٢) عقب مساعينا في بداية سبتمبر لدى موسكو . والقاهرة .. وقال : يبدو أن شبكة الصواريخ الدفاعية على القناة تهم المصريين أكثر من محادثات السلام نظرا لان الاسرائيليين أعلنوا بوضوح تام أنهم لا يستطيعون المضي في المحادثات ما لم يعد الموقف الى ما كان عليه قبل وقف اطلاق النار » .

وحتى ذلك الوقت .. كان هناك بعض المحللين الجامدين الذين يصممون على العودة الى مبادرتنا السلمية عن طريق تصوير الواقع بصورة تناسب الافكار التي يفضلونها . فقد طرح خبير مبدع فيوزارة الدفاع الامريكية نظرة فريدة في نوعها . قال أنه يحتمل أن عبد الناصر لم ينتهك على الاطلاق وقف اطلاق النار . وقال أنه من غير المستبعد ان الصواريخ كانت مخبأة في منطقة الخمسين كيلو مترا التي تقع غربي القناة قبل سريان وقف اطلاق النار وأنها لم تظهر فوق السطح الا بعد ذلك التاريخ .. وبالتالي فانه لم يتم «ادخالها» الى المنطقة وظل اتفاق التجميد العسكري محتفظا بنفاوته الاصلية .

وهذا التفسير المعقد لم يفسر لنا السبب الذي دفع المصريين الى اخفاء الصواريخ عندما كان ظهورها على السطح مسموحا به ثم

الكشف عنها فقط عندما يصبح انتشارها محظورا . كما انه لم تظهر في الصور التى التقطت من الجو أية آثار لمخازن حربية كبيرة تكفى لايواء مثل هذه المعدات الكثيرة .. كما أن اخفاء هذه الصواريخ في الرمال كان يحتاج الى حفرة في حجم الاهرامات .

وهكذا لم يكن هناك ببساطة مفر من الاعتراف بأن مبادراتنا وصلت في منتصف شهر سبتمبر ١٩٧٠ الى طريق مسدود .

● فى ذيل الاحداث :

وخلال المساومات .. قمنا بتلبية طلب اسرائيل من الاسلحة . بعد أن ظل معلقا منذ شهر مارس .. وزدنا من حجم الصفقة بحيث نكون في الاطار الذى نكسب به مرونة اسرائيل في مفاوضات السلام (التى لم تحدث) والذى يحول بينها وبين شن هجوم اجهاضي ضد زحف الصواريخ المصرية الذى لم نستطع أن نوقفه .

ولم نجد لدى اسرائيل الاحساس بالعرفان ازاء هذه الصفقة وفى الوقت نفسه جعلنا سخط العرب علينا يتضخم وأقام السوفييت وجودا قتاليا في مصر أصبح يهدد اسرائيل بالفعل ويمكن أن يخدم أغراض التواطؤ مع عبد الناصر ضد اى حكومة عربية معتدلة .

ان تصرفاتنا وأعمالنا لم تهيمن على الاحداث بل كانت تسير في ذيل الاحداث .. وأحيانا كانت هذه الاحداث تكتسح أعمالنا .

وأزمات أخرى واجهت حكومتنا في شهر سبتمبر فقد وجدنا أنفسنا وفى وقت واحد .. بازاء حرب أهلية في الاردن ومحاولة سوفيتية لاقامة قاعدة للغواصات في كوبا وتولى سلفادور الليندى السلطة في شيلي .

وكانت تلك اخطر فترة بل أكثر الفترات حسما في عهد حكومة نيكسون الجديدة .. وأشد خطورة من عملية كمبوديا بسبب حالة الهستيريا والاهتمام الذى قوبلت به هـــذه الاحداث في وسائل الاعلام .

والاستراتيجية الشاملة التى كنا نجمع عناصرها بمشقة على مدى عام ونصف عام .. بدأت تتكامل فقط بعــد أن اجتزنا هــذه العواصف .



كسنجر في مواجهه نكسون

اجتماعات مستمرة يقدم خلالها كسينجر مذكرات سرية الى الرئيس الامريكي حول ضروره اتخاذ مواقف متشدده لكي لا يفسر موقف امريكا على انه تعبير عن الضعف ..

ثمة حرب أهلية في مملكة صحراوية ـ هي الاردن ـ بين حكومة ملكية وفدائيين مسلحين . يســعون الى تأمين قاعدة لهم لمهاجمة « البلد المجاور » .

وعبر التاريخ كانت الحدود في الشرق الاوسط تتحرك مع الرمال المتحركة .

فالامة العربية التي حققت الاتحاد في عمليات بنائها الاساسي خلال الخمسمائة سنة التي أعقبت ظهور الاسلام .. وجدت نفسها عبر مرحلة طويلة تالية تحت سيطرة حكام أجانب متعددين .

فقد تم تقسيم الدول شبه المستقلة في العالم العربي بعد الحرب العالمية الاولى . تحت وصاية الدول الاوربية . وكانت من بين هذه الدول المملكة الاردنية الهاشمية التي سميت شرق الاردن في عام ١٩٤٩ .

فماذا جرى في الاردن عام ١٩٧٠ ؟ .

● التعليق على
الفصل الثامن

فضيحة العراق ..
وتراجع سوريا في مذبحة سبتمبر

يتضح من هذه الصفحات الجديدة المركزة من مؤلف كسينجر « سنوات البيت الابيض » عن أزمة سبتمبر ١٩٧٠في الاردن ،التى تعارفنا على تسميتها بأزمة أيلول الأسود ٠٠ ان الاتحاد السوفيتى تراجع تراجعا كاملا ، عندما وجد التهديد الامريكى جادا وحازما ـ بالتدخل العسكرى ، لانقاذ الرهائن الامريكين والاسرائيليين والاوربيين ٠٠ وللتصدى ضد أى تدخل سوفيتى عسكرى ٠٠ ولحماية عرش الملك حسين ٠٠ ثم لمساعدة حسين فى القضاء على الفدائيين الفلسطينيين وتصفيتهم ٠

تراجع الاتحاد السوفيتى ٠٠ وأخذ يصدر البيانات التى تطالب بضبط النفس ٠٠ « لان الخلاف العربى هو لمصلحة اسرائيل والقوى الامبريالية التى تساندها » ٠

ويعلق كسينجر على ذلك ، بأن هذا الموقف السوفيتى المتراجع ، كان سببه الجشع السوفيتى على دعم نفوذه فى المنطقة٠٠لان الاتحاد السوفينى وقف فى أول الامر موقف الصمت ٠٠ بل انقطعت صلاته الدبلوماسية عشرة أيام خلال الازمة ، بعد اختطاف الجبهة

الشعبية الماركسية (جورج حبش) للطـائرات الاربع الامريكية والالمانية والسويسرية .

وقد نسفوا طائرة منها فى مطار القاهرة بعد اطلاق سراح ركابها .. ثم هبطوا بالطائرات الاخرى على ممر ترابى يبعد ٣٠ كيلو مترا من عمان .. وهددوا بنسف الطائرات بمن فيها اذا لم يفرج عن الفلسطينيين المسجونين فى أوربا وفى اسرائيل . وكان واضحا من هذا العمل ، أن المقصود به هو الرد على عبد الناصر بقبوله مبادرة روجرز .. أى قتل أى محاولة للسلام . وكانوا لا يعلمون حقائق ما يجرى داخل البيت الابيض .. وهو أن كسينجر يعمل بكل حيله الشيطانية لقتل هذه المبادرة .. لانه يريد استراتيجية سلام كاملة .. ويعلم مقدما أن مصيرها الى الفشـــل . وينتهز الفرصة لاقناع نيكسون بامداد اسرائيل بالمزيد من السلاح . ثم يضخم أزمة تحريك الصواريخ المصرية على القناة حتى اتهمه روجرز أمام نيكسون بأنه يريد افتعال أزمة مع مصر ، لكى ينسف مبادرته .

ولعل من الملاحظ على مدى السنوات الماضية منذ حرب أكتوبر .. أن مثل هـــذه الاعمال الفدائية لا تظهر ، الا كلما لاح أمل فى السلام .. ثم تحول العمـــل الفدائى الى أعمال اغتيال وارهاب وتخريب ضد مصر .

● موقف المتفرج .. لماذا .. ؟

ولذلك ، على الرغم من استنكار الاتحاد الســوفيتى لخطف الطائرات ، فانه فضل أن يقف موقف المتفرج فى أول الامر .. على أساس أن الامر ســيتطور الى تراجع أمريكى .. وأن المنظمــات الفلسطينية قادرة على اسقاط الملك حسين .. وهو الذى يساعد ، وهو الذى يمد بالسلاح .

وبذلك سيكون النصر مظفرا للاتحاد الســوفيتى .. بعد أن هاجمت المنظمات الفلسطينية عبد الناصر واتهمته بالخيانة لانه قبل مشروع روجرز .. فى الوقت الذى كان الســفير السوفيتى فى واشنطون يؤكد لامريكا – سرا – أن الاتحاد السوفيتى لم يرفض مبادرة روجرز !

ونجحت خطة كسينجر فى الاعــداد الفعلى للتدخل العسكرى الامريكى فى الاردن ، اذا ما حدث تدخل سوفيتى .. وكان الخلاف

بينه وبين نيكسون أن الرئيس الامريكي كان يريد تدخلا امريكيا عسكريا فقط . مع منع اسرائيل من التدخـــل .. وكان نيكسون يريد أن يترك الامر لاسرائيل ، بالمساعدات الامريكية طبعا .. اذا حدث أى تدخـــل من دولة عربية اخرى .. وبحثت أمريكا تدخل العراق . وكانت التقارير اليها من سفارتها فى عمان أن سوريا لن تتدخل .

واشتدت البيانات العراقية التى تهاجم مصر .. يوما بعد يوم .. ثم يتضح بعد ذلك ـ لكسينجر ـ من واقع الاحـــداث أن القوات العراقية الموجودة حينئذ في الاردن وعددها ١٧ الف جندى لم تحرك ساكنا .. بينما الجيش الاردني ـ الموالى للملك حسين ـ يسحق قوات الفدائيين على مقربة منها . هذا ما سوف يسجله كسينجر في صفحات مقبلة ، بل أنه يسجل أيضا ما نصه : « أن الجيش العراقى ظل ساكنا وكان يحرك نفسه ـ كلما ظهرت الضرورة لكى يبتعد عن طريق الاذى » .

● تحليل كسينجر للسوفيت :

ولكن كسينجر يحلل موقف الاتحاد السوفيتى بأنه أخطأه التقدير .. لانه لو كان قد ضبط على المنظمة الفلسطينية الماركسية (جورج حبش) وأنقذ الرهائن .. وكسب للفلســـطينيين اطلاق سراح المسجونين في أوربا .. لكان موقف الاتحاد السوفيتى قد تدعم أكثر فى الشرق الاوسط ولكان موقف الملك حسين قد تدهور .. وتهدد عرشه ، لان التهديد الفلسطينى قد افلح .. ولان أمريكا عجزت عن التدخل ولان موسكو هى التى حلت الازمة .

ولذلك قرر كسينجر وأقنع نيكسون بأن الوصـــول بالموقف الى حافة المواجهة العسكرية بين أمريكا والاتحاد السوفيتى .. بطريقة جادة وحازمة .. سوف يجبر الاتحاد السوفيتى على التراجع .. وسوف يدعم عرش الملك حسين الصـــديق المعتدل المتجاوب مع السياسة الامريكية .. وســـوف يقضى على الفدائيين .. بل أن نيكسون هو صاحب فكرة انتهاز الفرصـــة للقضاء على الفدائيين وتصفيتهم تماما .

وتشجع حسين للمواجهة الشاملة مع الفلسطينيين فى الاردن .. (اما يأسا .. أو ثقة فى قدرته) كما يقول كسينجر .. وشجعه على ذلك ان الجيش الاردنى الذى يدين بالولاء له . شعر أن كرامته

تأبى عليه هذه الاهانات التى يتلقاها من المنظمات الفدائية ٠٠ وقرر أن يتدخل لضرب الفدائيين ٠

وأذكر فى ذلك الوقت أن صديقا ماركسيا لى من المتصلين اتصالا وثيقا بالتحرك الفلسطينى فى الاردن ٠٠ قال لى أن ياسر عرفات قد دعم كل مواقعه العسكرية حول عمان ٠٠ وأن اسقاط حسين سوف يتم فى ساعات ٠

وطبعا هذه المعلومات كانت مقنعة للاتحاد السوفيتى ، لانهـــا وصلتهم بالقطع عن طريق المنظمات الفلسطينية الماركســـية وغير الماركسية ٠٠ ولذلك فضلوا أن ينتظروا ٠٠ لـكى يحققوا هـــذا المـكسب ٠

ولكن ما ان رأوا أن الموقف الامريكي سوف يضطرهم الى تدخل عسكرى ٠٠ وحتى لا ينكشفوا أمام العرب ٠٠ تراجعوا ٠٠ وطلبوا من عبد الناصر أن يتدخل ، ومن الدول العربية الصـــديقة لهم أن تتدخل ٠٠ وحذروا من خطورة الموقف ٠ بل طالبوا ــ واشـــنطون سرا ــ بموقف أمريكي سوفيتى موحد ، لوقف القتال ٠٠ وتنصلوا من أى علاقة لهم بالمنظمات الفلســـطينية ٠٠ وبعثوا الى أمريكا فى الرسالة السرية يقولون أنهم ســـيحاولون الاتصال بالفدائيين عن طريق غير مباشر !!

وكانت رسائل السوفيت الى عبد الناصر وباقى الدول العربية تقول : حاولوا أن تصلوا الى حل ســـياسى ٠٠ وتجنبوا التدخل العسكرى الامريكي ٠

● تنسيق حسين مع امريكا واسرائيل :

وسيجد القارىء فى الصفحات المقبلة من مذكرات كسينجر ، كل أسرار اتصالات الملك حسين بامريكا ، واعتمـــاده على المســـاندة الامريكية ، وضمان التشاور مع اسرائيل قبل أن تقدم على أى عمل ٠٠ كما سيجد كيف أن القوات السورية قد تحركت ــ وهى على بعد ١٠ أميال فقط فى ٢٠ سبتمبر ١٩٧٠ ــ بمائتى دبابة فى منطقة أربد شمال الاردن ، دمر الجيش الاردنى منهـــا ٣٠ دبابة فى أول هجوم ٠٠ ثم يطلب حسين من أمريكا أن تشـــن غارات جوية على خصومه وتقرر أمريكا ترك هذه المهمة لاسرائيل ٠٠ ويطلب حسين قوات أمريكية برية ٠٠ وانتهزت اسرائيل الفرصة وقالت أن الموقف يقتضى هجوما بريا سريا ٠٠ وتم التنسيق ٠

وكان كافيا لانسحاب القوات السورية ، مجرد بيان أمريكي ينذر بخطورة العواقب ٠٠ ويطلب الانسحاب السوري الكامل ٠٠ وانسحبت القوات السورية على الفور ٠٠ بل أن الاتحاد السوفيتي أبلغ أمريكا وأقسم أنه لم يكن يعلم بنوايا سوريا ٠٠ وأنه يكرر اصراره على الموافقة على مبادرة روجرز وأنه يقف الى جانب تسوية لازمة الشرق الاوسط على أساس قرار مجلس الامن ٢٤٢ ٠٠ وخلت من بيانات الاتحاد السوفيتي كلمات الامبريالية ٠٠ وخلت من اتهام أمريكا بالتواطؤ مع الملك حسين ٠٠ وبعد أن كانت موسكو لا ترد على طلبات واشنطون بأن يتدخل الاتحاد السوفيتي بمساعيه لوقف الحرب الاهلية في الاردن ٠٠ انتظارا لسقوط حسين ، تغير الموقف

بعد التحركات العسكرية الامريكية ٠٠ وأصبحت أمريكا هي التي لا ترد على اعتذارات الاتحاد السوفيتي ٠٠ بل تضاعف من تحركاتها العسكرية المكشوفة لارهاب الاتحاد السوفيتي ٠٠ وظهر السفير السوفيتي في واشنطون بعد أن اختفى عشرين يوما ٠ وفهم أن أمريكا لن تغير موقفها الا اذا انسحبت الدبابات السورية على الفور ٠٠ وتم ذلك في نفس اليوم ٠٠ بل أن سلاح الطيران السوري الذي كان يرأسه حينئذ حافظ الاسد لم يشترك بطائرة واحدة ٠

ولكن البيانات السورية ضد حسين ٠٠ لم تنقطع !٠٠ والاتهامات المعروفة ترددت من دمشق التي تراجعت في خزي ٠٠ ومن بغداد التي هربت بقواتها وخانت الفلسطينيين ٠٠ ولكنها لم تتوقف عن البيانات الملتهبة ٠٠ ورفض العراق الاشتراك في مؤتمر القمة العربي الذي دعا اليه جمال عبد الناصر في القاهرة ، وكانت تونس قد طلبت منه عقد المؤتمر ٠ وهكذا انعقد مؤتمر القاهرة في ٢٢ سبتمبر ، وكانت كل محاولات عبد الناصر هي أن تقف المذبحة . لان الفلسطينيين يتساقطون بالآلاف رجالا ونساء وأطفالا ٠٠ والملك حسين مستمر في عملية الابادة ، والاتحاد السوفيتي متراجع ٠٠ وأمريكا تنذر بالتدخل العسكري ٠٠ واسرائيل تهدد بضرب مواقع الصواريخ المصرية في القناة ٠٠ ولا سبيل لانقاذ الفلسطينيين الا بتدخل الدول العربية لوقف اطلاق النار ٠٠ وأرسل المؤتمر نداءاته الى الملك حسين ليوقف النار أكثر من مرة ٠٠ وذهبت أكثر من بعثة عن المؤتمر برياسة الرئيس نميري٠٠وفشلت كل المحاولات مع الملك حسين الذي اكتشف ثلاث مؤامرات لاغتياله ، والذي ظل يراوغ حتى يفني الفلسطينيين ٠

واستطاع المؤتمر أن يفرج عن عدد من زعماء المقاومة السجناء فى عمان ومنهم « أبو أياد » الذى يتهم مصر الآن بالخيانة .. وقد حضر مع نميرى وألح على المؤتمر أن يسعى لوقف النـــار انقاذا للارواح الفلســطينية .. ثم حضر ياسر عرفات الذى طالب المؤتمر أيضا بوقف النــــار .. وخرجت من المؤتمر فكرة عاقلة . بدعوة الملك حسين للحضور .. لانه لا سبيل الا مواجهة الطرفين والوصول الى حل يوقف المذبحة .. وحسين فى موقف المنتصر .

● **مزايدات القذافى وعرفات :**

وبدأت مزايدات من معمر القذافى .. ومن ياسر عرفات ، وانتهى الامر الى حضور حسين .. واجتماعه بعرفات .. وتدخل عبد الناصر المباشر ، حتى أوقف اطلاق النار وقفا فعليا .. وحتى تم اصدار اتفاق القاهرة الذى ينظم العلاقات مع العمل الفدائى .. وفى اليوم الاخير للمؤتمر .. مات عبد الناصر بعد وداعه لامير الكويت .

ويذكر أنور السادات فى كتابه « البحث عن الذات » عن هذا المؤتمر هذه السطور :

« لم يستطع عبد الناصر السكوت على تصفية المقاومة فى الاردن . فدعا الى مؤتمر القـــاهرة ـ برغم كل ما ناله من أذى ، من تهجم الفلسطينيين عليه بحملتهم الشرسة لانه وافق على مشروع روجرز ـ وحضر جميع الملوك والرؤساء العرب ما عدا الملك حسين .. أما أنا فقد كنت قد شفيت لتوى من الازمة القلبية التى انتـــابتنى للمرة الثانية سنة ٧٠ وحضرت الى القاهرة للاشتراك فى المؤتمر .. »

ثم يقول السادات :

« حضر المؤتمر معمر القذافى وكان ظاهرة تلفت النظرة بالطبنجة التى لا تفارق حزام سترته ، كما كان دائم السباب فى الملك حسين .. كان يصفه بأنه رجل مجنون ولابد من دخوله مستشفى المجاذيب .. وكنت أنا ، الى ذلك الوقت ، افسر ســـلوكه على أنه نوع من اندفاع الشباب والحماس الزائد عن اللازم .. المهم .. انقسم الاعضـــاء الى مؤيد لمجىء الملك حسين ومؤيد لعدم مجيئه ولكنهم انتهوا الى اقتراح عبد الناصر من ضرورة اشتراك الملك حسين فى المؤتمر .. وفعلا جاء الملك حسين وسار المؤتمر ، ولكنه أصبح يشكل ثقلا رهيبا على الاعصاب ، لا من ناحية الملك حسين ، بل من ناحيـــة معمر القـــذافى وتصرفاته هو وياسر عرفات من خلف الكواليس .. »

ثم يروى السادات :

« كنا مجتمعين ذات صباح في جناح عبد الناصر في فندق هيلتون أثناء انعقاد المؤتمر . وكان معنا ياسر عرفات .. وكان جمال حريصا على أن يصل الى صيغة يحل بها المشكلة . وكان من رأيه أن يتنازل كل من الطرفين قليلا . فكلاهما مخطئ .. فاذا بياسر عرفات ينفعل ويبدأ سلسلة من الانفجارات لا نهاية لها .. ضاق جمال بالموقف فقال له : أنا ما أعملش ده كله عشانك ويتحرق دمي بالشكل ده عشانك وانت يبقى موقفك كده .

وترك عبد الناصر الجناح عائدا الى بيته بعد أن أعلن تصميمه على عدم العودة الى المؤتمر .. لحقنا به وهو يهم بركوب المصعد . فاقنعناه بالعودة معنا .. وبعد محاولات عديدة ابتدأ ياسر عرفات يستجيب . »

ثم يقول السادات :

« المهم ان المؤتمر كان حملا ثقيلا على أعصاب عبد الناصر ، فقد أجهد فيه أعنف اجهاد بسبب القذافي وتصرفاته من ناحية ، ومن ناحية أخرى بسبب ياسر عرفات الذى كان عبد الناصر قد دعا الى عقد المؤتمر ليحل له مشكلته .. »

ويصف السادات بعد ذلك قصة وفاة عبد الناصر .. بعد أن ودع الملك فيصل ثم أمير الكويت .. بعد انتهاء المؤتمر الى قراراته .

● حوار من المؤتمر

وحديث المزايدات فى هذا المؤتمر ، يمكن أن يملأ مجلدا ، اذا نشرت محاضر اجتماع جلسات المؤتمر الثلاث .. وما دار وراء الكواليس . ذكرت بعضها في تعليق سابق ..

ومنها قول القذافي : يجب ألا نثق في الاتحاد السوفيتى بعد حرب ٦٧ .. واذا كان الاتحاد السوفيتى يطلب منا الآن الحل السياسى . ويطالبنا بالتدخل لوقف المذبحة .. ويتراجع أمام التهديد الامريكى بالتدخل العسكرى .. فان مسئوليتنا جميعا أن تتدخل كل الجيوش العربية لمحاربة أمريكا ..

ثم قال القذافي ـ وهذا مسجل . بعد أن سخر الكثيرون من هذه الهلوسة : أؤكد لكم أن عددا ضخما من الشعب الامريكى سيتطوع مع الجيوش العربية .. لكى يقاتل الاساطيل الامريكية .. وقواتها البرية والجوية ..

أما عن واقعة اتهام القذافي للملك حسين بالجنون ، فهذا نص حوارها .. كما جاء في جلسات المؤتمر :

الملك فيصل : جاءتني برقية من الملك حسين يطلب موعدا .

القذافي : والله ملك مجنون ، وهذه أبسط كلمة تطلق عليه ، وأبسط شيء أن يؤخذ لمستشفى الامراض العقلية .

عبد الناصر : الموضوع عايز لجنة طبية تفحصنا جميعا وتشوف مين المجنون ، وأول واحد تشوفه القذافي .

الملك فيصل : مســـتعد أقدم نفسي خليهم يعطوني شـــهادة واستريح .

القذافي : فيه أعراض !!

ولم يقتصر القذافي على هذا .. بل اتهم الملك فيصـــل . وأمير الكويت بمساعدة الملك حسين .. ضد المقاومة .

وسأروى في تعليق مقبل قصة مزايدة القذافي .. عندما عرض عبد الناصر حضور الملك حسين .

ولكنني أكتفي ـ في هذا التعليق ـ بما جاء على لســـان عبد الناصر عن هدف المؤتمر :

ـ نحن هنا لا نزايد . نريد وقف اراقة الدماء . أنا أرسلت الى الملك حسين برقية قيل في دمشق أنها شديدة اللهجة ، واحنا سوف لا نذيعها لاننا لا نريد المزايدة . أنا عندي جواب من ياسر عرفات يقول أن كل ما يهمه هو وقف اطلاق النار . الوفد الذي أرسلناه سوف يحاول مع الملك حسين تحويل الوضع العسكري الى مدني . سيحاولون أيضا ايجاد صيغة لاتفاق يضمن عدم تجدد هذه المأساة. ان القوات الاردنية لا تزال تضرب الفدائيين ولم تحترم وقف النار .

● لن ادخل بقوات مصرية

وقال عبد الناصر في حوار آخر :

ـ أنا مستعد أصدر بيان ملتهب واستريح . ويمكن تصفقوا لي . وأنا مستعد أعطي الفدائيين اذاعة أو اتنين واذهب الى الاســـكندرية والناس تقول اني ثوري ونترك الناس تدبح بعض . الواقع أن هناك مخطط في الاردن . جورج حبش اخذ مطارا واحرق طيارات .. هل تقبل انت يا سالم ربيع (رئيس اليمن الجنوبي الماركسي) أن تأتي جماعة الى اليمن ويتصرفوا هذا التصرف حتى لو كانوا من بلد شيوعي .. ان السلطة في الاردن تستطيع ان تقضي على الفدائيين . تدخلنا

لفائدة الفدائيين . الملك حسين غير مهدد . الناس اللي ستضرب هم الفدائيين . وهناك فلسطينيون يريدون أن يشعلوها .. وهناك في الاردن المجالي ووصفي التل . والسؤال : هل احنا مستعدين نحارب في الاردن ؟ .. لا .. انا بصراحة : أقول لا .. السوريون ادخلوا ٣٠٠ دبابة ثم سحبوها ..

وقال عبد الناصر :

– المهم أن نوقف المجزرة . لقد خططوا على أساس أن يفضوا على المقاومة في ٣ ساعات . وقد قلت للفدائيين انكم عندما تضعون الحسابات فان الاردن لديه أكثر من ٥٠٠ دبابة . عندما تقول صحف المقاومة والعراق والجزائر : الملك العميل . معناه انه سوف يضربهم . وهذا الكلام لو قيل للنبي محمد لما سكت . أقول نحن نتوسط لوقف المذبحة .. لو كان الهدف من المؤتمر هو ادانة الملك حسين لخلصنا الموضوع في ٥ دقائق . لكن حاليا في اذاعة الجزائر وبغداد ودمشق أكثر من ادانة . بل بيلعنوا أبوه . الاتحاد السوفيتي باعتين يقولوا لي أن العملية خطيرة ولابد ان تجنب المنطقة ويلات التدخل الامريكي والاسرائيلي في الاردن وفي لبنان وسوريا . وهم منزعجون من دخول القوات السورية . أنا أقدر اطلع بيانات .

أنا اعمل ايه لو نزل الامريكان في عمان . عندي قوات في القناة ، لو طلعتها يهاجموني اليهود . أنا حابقى أحارب الامريكان . تقدير الاتحاد السوفيتي ان أي تدخل يضر بمصلحة العرب .

القذافي – بعد ٦٧ ماعدناش نصدق الاتحاد السوفيتي ..

ربيع – مسئولية مصر التدخل العسكري ..

عبد الناصر – انتم تطلعوا بيانات وانا اللي احارب . عايزين تحرروا تعالوا قدامي ، واحنا مش عاوزين مزايدت واللي يتكلم يتكلم بالحساب أنا عندي ٦٥٠ الف عسكري . وفي ديسمبر حيصبحوا ٧٥٠ الف عسكري العراق عملت أيه ؟ .. نقصت ميزانية الجيش . هيه عملية استكراد والا أيه ! .. اللي يحب يحارب الملك حسين يروح يحارب .. هذا وافعنا العراق انشتم من اسرائيل . مفيش أي تعليق من بغداد على كلام اسرائيل . وانما ضد مصر .. على مايجرى على القناة.

القذافي . يجب أن نحارب أمريكا . وسوف يتطوع أمريكيون للقتال معنا .

● سألنا سوريا

عبد الناصر : الاخوان السوريون دخلوا وقالوا انهم لم يتقدموا



هارولد سوندرز
نعبر متشـــائم عن تدهور سلطة ومكانة النظام الهاشمي ومستقبل الملك حسين ..



ملفين ليرد
اجتماع مع روجرز ثم نيكسون لوضع خطط الطوارىء لعملية عسكرية فى الاردن ..

جنوب أربد . سألناهم ـ هل حسبتم حساب اسرائيل وامريكا .. قالوا لا .. انا لا أريد أن أخدع أحدا . لقد قيل اليوم أن الدبابات السورية انسحبت لان مصر ضغطت عليها . هذا كذب . عندى تفصيلات كاملة على كل ما حصل .

عرفات : اسرائيل فتحت جسورها لاستقبال جرحانا ..

القذافي : نقطع العلاقات مع الاردن . والذى لا يقطعها مجرم . وتدخل الجيوش العربية لمحاربة امريكا اذا تدخلت ..

عبد الناصر : الموقف يتطلب الا نتكلم بعصبية ونرفزة أى كلام .. من الناحية العسكرية انا لا إستطيع أن أحرك اى عسكرى . اللى عنده الوية يبعث بها الاردن . اذا رأيتم أن ياسر عرفات يخرج جماعة من أربد ثم يعيد بناء الجيش الفلسطينى .. احسبوا أنتم ايه القوات اللى ممكن تبعتوها .

مصر لن نشترك . المعلومات التى لدينا ان اسرائيل تســتعد لضربنا . لقد دخلنا الحرب فى سنة ٦٧ علشان سوريا موش علشان مصر . عندنا قتلى ١٩ الف و٥٠٠ ضابط وجندى . لا استطيع ان أغامر . واعطى لاسرائيل فرصة القيام بعبور الى غرب القناة .

●●●

وبعد .. فاننى اعتذر للقارىء عن اطالة التعليق .. ولكن الحقائق يجب ان تظهر للجماهير العربية سريعة النسيان . هذا هو موقف العراق من مذبحة سبتمبر . وهذا هو موقف سوريا . وهذا هـو موقف المزايدين باصدار البيانات .. والمطالبين بمحاربة امريكا .. وهذا هو موقف مصر .

مذبحة "أيلول" الأسود

* كسينجر يشرح من وجهة نظره كيف تفجر الموقف فى الاردن .. ودى الى مذبحة الفلسطينيين فى « أيلول الاسود » ؟..

* الاتحاد السوفيتى يعطى الفرصة كاملة لامريكا لكى تعيد التوازن فى الشرق الاوسط لصالحها .

* حسين يطلب مساعدة امريكا واسرائيل لضرب الفدائيين .

* نيكسون يعارض اى تحرك عسكرى اسرائيل .

* العراق يوجه الانذارات .. ولا يفعل شيئا .

* امريكا تتعمد ان تكشف تحركاتها العسكرية لموسكو ..

مذبحة "أيلول" الأسود

كتب كسينجر :



بعد عام ١٩٦٧ بوجه خاص ٠٠ قام رجال حرب العصابات الفدائيـــة بتدعيم مراكزهم فى الاردن داخل مخيمات وقواعد يشنون منهـــا هجمات فى داخل اسرائيل والاراضى التى تحتلهـــا ٠٠ وهى قواعد منظمة جيدا ٠

وبالاضافة الى هؤلاء ، كان يوجـــد ١٧ الف جندى عراقى فى القطاع الشرقى من الاردن ٠ وكان وجوده هناك من مخلفات حرب ١٩٦٧ ٠

فى صيف عام ١٩٧٠ كان الملك حسين يواجه خطرا محدقا ٠ الفدائيون الغاضبون من جهوده للتوصل الى تسوية سياسية مع اسرائيل يتحدون جيشه (الذى يتكون أساسا من البدو) بصورة متزايدة ٠ وكانت قد جرت محاولة لاغتيال الملك فى ٩ يونيو ٠ وطرد الملك حسين بعض قادة جيشه بنفسه٠ وتردد فىمهاجمة الفلسطينيين الذين كان يحكمهم حتى عام ١٩٦٧ وكان يأمل فى أعادة توحيدهم مع مملكته ٠

فقد كانت فلسطين تشمل جميع الاراضى الواقعة بين العراق والبحر المتوسط الى أن جاء عام ١٩٢١ وقررت بريطانيا تأســـيس مملكة لحلفائها الهاشميين فى شرقى الاردن ٠

وتدهورت الاوضاع فى عمان فى عام ١٩٧٠ ٠

الاحتمالات ولم تكن عملية كمبوديا قد وصلت الى نهايتها ، وقواتنا موزعة حول العالم والمتظاهرون حول البيت الابيض علامة على تفكك داخلي لدينا . كما أن العمل العسكري في الاردن يتسم بصعوبة فنية ايضا لاننا فقدنا خلال السنوات التي مرت منذ عملية الانزال الامريكية في لبنان (أكثر من ١٠ سنوات) في عام ١٩٥٨ قواعدنا في بعض المناطق (ليبيا واليونان وتركيا) أو الحق في استخدام هذه القواعد في منازعات الشرق الاوسط .

ومما ساعد على استبعاد فكرة التدخل العسكري الامريكي ذلك الاعتقاد السائد لدى الكثيرين بانه حتى في حالة نجاح هذا التدخل فانه سوف يشوه صورة حسين في سائر انحاء العالم العربي وربما يكون بمثابة حكم باعدامه سياسيا .

● نيكسون يوجه اسئلة

وشعرت بميل الى دعم حسين اذا أمكن ذلك .. تماما كما كنت اسعى الى احباط عبد الناصر مادام يعتمد بشدة على السوفيت ويساند

كل الحركات المتطرفة . وهكذا بدا لى فى ذلك الوقت أنه من الاهمية بمكان البرهنة على ان الصداقة مع الولايات المتحدة لها منافعها . فقد دافع حسين دائما عن الاعتدال وقاوم المد المتطرف وتفادى « موضة » الشعارات المناهضة للغرب . وكان يواجه صعوبات بسبب امتناعه عن السماح للفدائيين باطلاق العنان لحركتهم . وانهيار حسين يمكن أن يؤدى الى سيادة التطرف فى الشرق الاوسط كله . ولن تقبل اسرائيل اقامة قواعد للفدائيين على طول حدودها مع الاردن .. وسيكون احتمال نشوب حرب جديدة فى الشرق الاوسط هو الارجح . وهكذا كان الاردن - فى رأيى - اختبارا لقدرتنا على التحكم فى احداث المنطقة . وكان نيكسون يتفق مع هذا الرأى . فقد ذكر فى اجتماع لمجلس الامن القومى الامريكى يوم ١٧ يونيو :

« دعونا نفترض اننا تلقينا فى اواخر هذا الصيف طلبا من لبنان أو الاردن للمساعدة ، أو أن شيئا ما حدث فى لبنان . ما الذى نستطيع أن نفعله ؟ سوف يأتى وقت تتعرض فيه الولايات المتحدة لامتحان من زاوية مدى جدارتها بان تكون موضع ثقة وتصديق فى المنطقة . وسيكون السؤال الحقيقى هو : هل سنتحرك ويجب أن يكون عملنا موضع دراسة من هذه الزاوية . يجب أن نكون مستعدين .. هل هى مسألة عسكرية فى الحقيقة ؟ أم هى مسألة الثقة بنا كقوة فى تلك المنطقة ؟ »

● انفجار الموقف

واعد هارولد سوندرز ، أحد الخبراء الذين يعملون فى مكتبى ، تقريرا للرئيس نيكسون فى اوائل شهر يوليو كان يتضمن الكثير من العبارات المتشائمة : « سلطة ومكانة النظام الهاشمى فى تدهور .. المزيد من حرية العمل للفدائيين سيؤدى حتما الى المزيد من انتهاكات وقف اطلاق النار فى وادى نهر الاردن ..حسين يواجه مستقبلا سياسيا غامضا » .

والحادث الذى فجر الموقف فى الاردن وقع اول سبتمبر عندما حاول الفدائيون الفلسطينيون للمرة الثانية خلال ثلاثة اشهر اغتيال الملك حسين . ونشب القتال على الفور بين الجيش الموالى لحسين وبين الفدائيين .

وهدد العراقيون باستخدام قواتهم المعسكرة فى الاردن « لاتخاذ جميع الاجراءات الضرورية لحماية العمل الفدائى » . وكان الملك قد ابلغ بالفعل المسئولين فى سفارتنا فى عمان بانه قد يضطر الى

اتخاذ خطوات أشد خطورة ، وأعرب الملك عن الامل فى أن يتمكن من الاعتماد على الدعم الامريكى . وكان الملك يظن أن اصدار بيان علنى قوى من جانب الولايات المتحدة يمكن أن يكون له أثره فى اضعاف فرص حدوث تدخل خارجى وسيكون من الافضـــل أن يكون بيانا مشتركا مع الاتحاد السوفيتى .

واتخذت وزارة الخارجية الامريكية موقفا يبعث على الحيرة ازاء طلب الملك حسين .

● **طلبات اردنية**

كانت الوزارة تحرص فى المقام الاول على الاستمرار فى مبادرتها السلمية (مشروع روجرز) . ولم يرفع المسئولون فيها هذا الامر (فى حدود معلوماتى) الى البيت الابيض أو الجهات المختصة بل اتخذوا موقفا ينم عن عدم الالتزام بشىء ، وأرسلوا ردا فى اليوم التالى الى الملك حسين لابلاغه بأن التحـــذيرات العلنية من جانب الولايات المتحدة ستكون لها مضاعفات كثيرة يجب تقديرها ووزنها بعناية .

وفى نفس يوم أول سبتمبر وجه العراق انذارا جديدا بانه اذا لم تتوقف المدفعية عن قصف الفدائيين حتى الساعة الحادية عشرة مساء فان الجيش العراقى سيتخذ الخطوات التى من شأنها ايقاف عمليات القصف . وابلغ زيد الرفاعى المستشـــار الوثيق الصـــلة بالملك (وتلميذى السابق فى هارفارد) سفارتنا بهذا الانذار وجدد طلب الملك المتعلق باصدار بيان من الدول الكبرى . كما وجه سؤالا الى سفارتنا حول ما اذا كنا نعرف ما ستفعله اسرائيل اذا تحرك العراق .

وكان السؤال الاخير بالغ الاهمية .. اذ انه من المستبعد ان تسمح اسرائيل للعراق بتحريك قواته لتقترب هذه القوات من حدودها كما أنه من المستبعد أن يقف الجيش الاسرائيلى ساكنا أمام احتلال الفدائيين الفلسطينيين لوادى الاردن . ولكن مشكلة الملك حسين هى أنه لم يكن ليستطيع ان يوافق على انضمام القوات المســلحة الاسرائيلية اليه فى نزاعه مع خصومه .. اذ لا يوجد لديه الدافع لتدمير مركزه الادبى فى العالم العربى . ولم يكن توجيه السؤال عن النوايا الاسرائيلية جديدا ، فقد طرح نفس السؤال من جانب الملك فى يوم ٤ اغسطس عندما رفضت القوات العراقية التى تعسكر فى شرقى الاردن انهاء مناورتها العسكرية فى الموعد المقرر وذلك بهدف ممارسة الابتزاز . فى ذلك الوقت أبلغ سفيرنا فى اسرائيل .. واشنطن

بان اسرائيل سوف تشن هجوما اذا تحركت القوات العراقية صوب الغرب . ولم يثر السفير الامريكي فى تل ابيب هذه المســالة مع الحكومة الاسرائيلية . ولم ياخذ مكتب الشرق الادنى بوزارة الخارجية الامريكية هذه المســالة باهتمام فى ذلك الوقت الى حد ان الملك حسين لم يتلق ردا على سؤاله .

● تسوية على الطبيعة

وفى يوم ٢ سبتمبر زار جاكوب بيم سفيرنا فى موسكو سيرجى فينوجرادوف نائب وزير الخارجية .. وبطريقته الهدئة طلب من السوفيت استخدام نفوذهم فى حمل اصدقائهم العراقيين على ضبط النفس . وابدى فينوجرادوف اهتماما يشبه اهتمام العم بتصرفات ابن شقيقه . فقد كان الاتحاد السوفيتى مهتما بالابقاء على ظروف مواتية لحادثات السلام . وقال فينوجرادوف ان الاتحاد السوفيتى لا يعرف شيئا عن أى انذار عراقى ولذلك فمن الصعب على موسكو اتخاذ موقف رسمى . اعرب فينوجرادوف عن رايه الخاص بان العراق لن يتدخل فى شئون الاردن ، ثم عاد يقول انه لا يوجد من يستطيع التنبؤ بما يمكن أن يحدث فى الشرق الاوسط .

وبايجاز فان موسكو كانت تحتفظ لنفسها باختيارات مفتوحة . كما أن بقاء اناتولى دوبرينين (السفير السوفيتى فى واشنطن) فى موسكو فى فترة أواخر الصيف لا يدع مجالا للشك فى أن السوفيت ليسوا مستعدين لبذل أى جهد لتهدئة الموقف . ولذلك كان لابد من تسوية الامر على الطبيعة .

وفى يوم ٢ سبتمبر ابلغ زيد الرفاعى سفارتنا فى عمان بان العراقيين لم ينفذوا تهديدهم . وبعد ثلاثة ايام أعاد الرفاعى تاكيد اهتمامه باصدار بيان من الدول الكبرى يحث على ضبط النفس . ورد القائم بالاعمال الامريكى فى عمان على الاسئلة الاردنية المتجددة حول نوايا اسرائيل بتصريح فريد فى نوعه . وكان هذا التصريح يعكس موقف وزارة الخارجية الامريكية . قال القائم بالاعمال الامريكى أنه لا يستطيع أن يتصور قبول الاردن المساعدة من عدوتها اسرائيل ضد دولة عربية شقيقة .

وكان الملك ، بطبيعة الحال ، أبرع من ان يطرح المسالة بهذه الطريقة .. واذكى من أن يطلب القاء محاضرات عليه (عن نتائج السؤال الذى صدر منه) من جانب مسئولين امريكيين .

● هدوء قبل العاصفة

وفى الخامس من سبتمبر هدأ الموقف .. فقد تم منع الفدائيين من السيطرة ولكن الملك لم يكن قد استعاد سلطته على الاطلاق . لكنه كان الهدوء الذى يسبق العاصفة .

لا يوجد تفسير مقنع للسبب الذى جعل الفدائيين يتصرفون على النحو الذى تصرفوا به خلال الفترة التى أطلقوا عليها ، هم أنفسهم فيما بعد اسم (سبتمبر أو أيلول الاسود) .

ففى بداية سبتمبر كان عبد الناصر والسوفيت قد نجحوا فى تحريك شبكة صواريخهم صوب قناة السويس . وكانت الولايات المتحدة تستعد للضغط على اسرائيل لدخول مفاوضات يشترك فيها الاردن الذى يتطلع الى الانسحاب الاسرائيلى من الضفة الغربية . ولو كانت الامور قد سارت دون قلاقل .. فان العملية كانت ستحمل فى طياتها الكثير من عناصر الامل بالنسبة للعرب . فقد تحطمت السيادة العسكرية الاسرائيلية المطلقة على القناة .. وكان من المؤكد أن تتكاثر الضغوط على اسرائيل بمجرد بدء المفاوضات .

ولكن المتطرفين فى وسط الفدائيين كانوا يتطلعون الى شىء آخر . أن هدفهم ليس السلام مع اسرائيل بل تدميرها . لم يكن هؤلاء يجدون من يعترف بهم باعتبارهم كيانا سياسيا وعوملوا على الصعيد الدولى كلاجئين .. وفى العالم العربى كانوا محور مزيج من الخوف والمداهنة . أما بالنسبة لاسرائيل فقد كانوا قتلة ارهابيين .

ولم يكن هؤلاء يسعون وراء تسوية سياسية يمكن عن طريقها ايجاد حل وسط لمطالبهم أو تفاهم حولها بل كانوا يريدون قاعدة تحت سيطرتهم يستطيعون أن يشـــنوا منها الهجوم الحاسم على اسرائيل وتدميرها . ومن هذه الزاوية فان محاولتهم اعاقة التقدم الدبلوماسى كان لها أساس عقلانى .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان الفلسطينيون يوسعون نفوذهم تدريجيا فى الاردن . كانوا يقتربون من نوع من الاستقلال الذاتى ..

بمغالاتهم فى تصرفاتهم .. حطموا بأنفسهم الافاق التى كانت توجد أمامهم وانتهى الامر بطردهم الى لبنان . والازمة التى تسببوا فيها أتاحت للولايات المتحدة (وفى هذا ما يكفى من ســـخرية الاحداث) الفرصة لاستعادة الكثير مما خسرته بسبب ترددها خلال الاشهر السابقة .

● طائرات بالجملة

وانفجرت الازمة مرة أخرى فى ٦ سبتمبر عندما قام أعضاء فى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ الماركسية ـ وهى أكثر حركات الفدائيين تطرفا باختطاف عدة طائرات · وارغمت احدى هـــذه الطائرات (وهى جامبو ٧٤٧ تابعة لشركة بان أميركان) على التوجه الى مطار القاهرة حيث أطلق سراح ركابها ونسفت الطائرة · وتم ارغام طائرة ركاب أمريكية أخـــرى من طراز ٧٠٧ وطائرة ركاب سويسرية (د·س· ٨) على التحليق الى مطار دوسان وهو شريط قفر من الارض على مسافة حوالى ثلاثين ميلا من عمان · وفى يوم ٩ سبتمبر اختطفت طائرة اخرى بريطانية (فى·سى· ـ ١٠) وانضمت الى الطائرتين الاخريين فى مطار دوسان · واحبطت محاولة لاختطاف طائرة اسرائيلية فى نفس ذلك الوقت ·

عدة مئات من الركاب كانوا ضحايا عمليات الاختطاف بالجملة للطائرات ·· بينهم سويسريون والمان وبريطانيون وفرنســـيون وامريكيون وآخرون · وكانت أكثر المجموعات تعرضا للخطر ·· الاسرائيليون أو أصحاب الجنسية المزدوجة ·· أى هؤلاء الذين يحملون جوازات سفر اسرائيلية وامريكية فى وقت واحد ·

وفى السابع من سبتمبر ، عرضت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اطلاق سراح كل الركاب فيما عـــدا الاسرائيليين وذوى الجنسية المزدوجة فى مقابل اطلاق سراح جميع الفدائيين المحتجزين فى السجون الســـويسرية والالمانية والبريطانية والاسرائيلية · وحددوا مهلة قدرها ٧٢ ساعة ·

وفى الثامن من سبتمبر عقد روجرز اجتماعا فى مكتبه حضره ملفين ليرد وزير الدفاع وريتشارد هيلمز مدير المخابرات المركزية والكسيس جونسون وكيل الخارجية وجوزيف سيسكو وانا ·

● غاز الاعصاب

افكار حماسية سيطرت على مناقشة مفككة بلا منهج او هدف · وعلى سبيل المثال ·· خصص وقت طويل لمناقشة احتمال استخدام نوع من غاز الاعصاب ضد المختطفين لشل حركتهم دون أن ياخذوا حذرهم · وتوقفت المناقشـــة حول هذه النقطة لان المجتمعين لم يكونوا على يقين من توافر هذا الغاز فى ترسانتنا الحربية ! ·· ولان المجتمعين لم يتوصلوا الى رأى حول كيفية توصيل هذا الغاز

الى مسرح الاحداث كما لم يصل المجتمعون الى رأى محدد حول امكانية القيام بعمل عسكرى وكيفية تنظيمه أو تنفيذه ٠

واختتم روجرز الاجتماع باعلان رأيه الذى كان قد استهل به نفس هذا الاجتماع ٠٠ وهو أنه لا يمكن عمل أى شىء ٠٠

وتكررت نفس الحجج فى اجتماع عقد فى المساء مع الرئيس نيكسون وحضره ملفين ليرد وروجرز والكسيس جونسون وسيسكو وأنا بالاضافة الى ادجار هوفر مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى وجون ميتشيل مسنشار نيكسون ٠٠ وتناول الاجتماع الآثار الناجمة عن عمليات الاختطاف في داخل أمريكا ٠٠ ولم يتخذ الرئيس نيكسون أى قرار ٠ وكان قد أبلغنى من قبل ـ ونحن على انفراد ـ أنه يجب استخدام عمليات الاختطاف كذريعة لسحق الفدائيين ٠ ولكنه لم يقل ذلك في الاجتماع ٠ وقال انه عند الضرورة القصوى ٠٠ يفضل تدخلا عسكريا امريكيا على تدخل عسكرى اسرائيلى ٠ واعترض روجرز قائلا أن الولايات المتحدة ستدفع ثمنا باهظا فى حالة اتخاذ مثل هذه الخطوة العقيم ٠

● انباء مزعجة

فى تلك الاثناء كنا نتلقى أنباء مزعجة من عمان ٠ فقد جاء أن الجيش الاردنى فى حالة عصيان فعلى بسبب ما يعتبر انه اهانات واستفزازات من جانب الفدائيين ، والجيش موال للملك ولكنه يرفض أى تفاهم ويهدد بأن يمسك بزمام الامر لصالح الملك ٠ ويتزايد الضغط على حسين لاتخاذ اجراء عنيف ٠

وقمت ، بموافقة الرئيس نيكسون ، باحياء جهاز العمل فى الازمات داخـــل مجلس الامن القومى الامريكى لانهـــاء الازمات البيروقراطية ٠ ومنذ ٩ سبتمبر ظل هذا الجهاز ـ الذى يحمل اسم (مجموعة الاعمال الخاصة لواشنطن) ـ يجتمع مرة كل يوم على الاقل طوال ١٧ يوما لمناقشة الاختيارات واعداد خطط الطوارىء وتنفيذ القرارات على أساس منسق ٠

وفى المرحلة الاولى من الازمة الاردنية كنت اقدم يوميا تقريرين ـ وأحيانا ثلاثة تقارير ـ للرئيس نيكسون حول الموقف ٠٠ وكانت تتضمن توصيات مجموعة الاعمال الخاصة ووقائع عن الاحداث فى عمان وعن مدى تقدم المفاوضات لاطلاق سراح الرهائن ٠

واتفقنا في اجتماع في البيت الابيض يوم ٩ سبتمبر على ضرورة ممارسة ضغط أمريكي لمنع الدول الاوربية من محاولة عقد صفقات منفصلة تقوم على أساس الاذعان لمطالب المختطفين · وكان موقفنا وموقف اسرائيل هو رفض الابتزاز الارهابي حتى لا تتكرر حوادث الاختطاف ·

● **مصير الملك والرهائن**

ومن خلال تطور الاحداث كان من الواضح أن مصير الرهائن أصبح جزءا لا ينفصم عن مستقبل الملك حسين نفسه · لو لقى مئات الرهائن مصرعهم على أرضه فان السلطة الملكية فى الاردن سوف تسقط أمام العالم أجمع · واما أن يتحرك حسين بدافع اليأس ضد الفدائيين أو أن يطيح به الفدائيون ، وان كان الجميع قد اتفقوا على أن القيام بعملية انقاذ هى الملاذ الاخير ·

● **خطط الطوارئ ·**

كانت لدينا اربعة ألوية فقط تستطيع الوصول بسرعة الى الاردن ·· ومثل هذه العملية تعتمد على الاحتياطى الاستراتيجى كله لدينا ·· وسوف يستغرق الامر ٤٨ ساعة لتحريك اللواء الامريكى فى المانيا و ٧٢ ساعة لتحريك الفرقة ٨٢ المحمولة جوا من الولايات المتحدة ·· وتدخل هذه القوات يقتضى الحصول على تصريحات بالتحليق فوق دول أو مداخل برية فى بلدان مجاورة · وطلبت من هيئة أركان الحرب الامريكية المشتركة تقديم مقترحات خلال ٢٤ ساعة لرفع درجة تأهب قواتنا فى أوربا ·· وأمر الرئيس نيكسون حاملة الطائرات اندبندانس التابعة للاسطول الســـادس بالتحرك شرقا لتكون على مقربة من الساحل اللبنانى على أن ترافقها أربع مدمرات وتنضم اليها ــ بعد ٢٤ ساعة ــ مدمرتان أخريان · وتقرر وضع ٦ طائرات من طراز سى ــ ١٣٠ فى قاعدة اينسر ليك الجوية فى تركيا لاستخدامها فى اجلاء الامريكيين ·

كان لابد من اتخاذ هذه الخطوات دون اعلان ·

وكنت على ثقة من أن المخابرات السوفيتية ــ ربما بمساعدة الانباء التى تتسرب فى العادةمن البنتاجون ــ ستكتشف أمر كلهذه الخطوات · ويمكن أن يكون التزامنا بالصمت سببا فى اضفاء طابع ينذر بالسوء ·· على هذه الخطوات ·

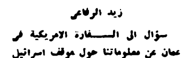
وأصبح الموضوع أكثر تعقيدا عندما بدأت مجموعة الاعمـــال الخاصة فى بحث الظروف التى تستخدم فيها هذه القوات · لم





حافظ الاسد

كان قائدا لسلاح الطيران السـوري عندما بدات المذبحـة .. ولكنه لم يتحرك ولم ينطق ..



زيد الرفاعي

سؤال الى السـفارة الامريكية في عمان عن معلوماتنا حول موقف اسرائيل

يكن هناك شخص واحد يتقبل فكرة تورط عسكرى جـديد بينما عدة مئات من الآلاف من الامريكيين مازالوا يقاتلون فى جنوب شرقى آسيا . كان علينا أن نستخدم كل الاحتياطى الاستراتيجى لدينا ـ كما ذكرت ـ وننقله بطريق الجو مما قد يعرضنا للخطر فى حالة هجوم سوفيتى فى مكان آخر .. وسيصعب تعزيز العمليات العسكرية كما أن خطوط امداداتنا غير واضحة المعالم ولابد أن تجتاز دولا أجنبية عديدة . وفى هذه الحالة كلما طال أمد الحرب .. ازداد التعقيد فى موقفنا .. فاذا ما تدخلت اسرائيل فى الاردن لحسابها الخاص .. فسوف نقوم بعمليات عسكرية موازية لها لاغراض أخرى . بل ان الامر سيزداد سوءا بالنسبة لمركزنا وهيبتنا فى العالم العربى لو أننا لقينا مصاعب واضطررنا أن نطلب من اسرائيل أن تخرجنا من ورطتنا .

● في حالة الطوارىء

لكل هذه الاسباب .. رايت انه من المرغوب فيه أن نفصل بين عملياتنا العسكرية وعمليات اسرائيل لان ذلك يخدم مصالحنا على المدى البعيد . وكانت وجهة نظرى ان القوات الامريـكية يجب ان تستخدم لاجلاء الامريكيين لان ذلك يمـكن أن يتم بسرعة كما انه يشكل مصلحة أمريكية مباشرة . أما فى حالة صـدام كبير ينشأ عن تحرك عراقى أو سورى ، فاننى كنت افضل أن تقـوم

الدول المعينة مباشرة بتولى المسئولية الرئيسية . ولما كنت أعتبر أن حدوث ود اسرائيلى على تحرك عراقى أو سورى شبه مؤكد . فقد كان ظنى ان أحسن استخدام لقوتنا فى هذه الحالة الطارئة هو ردع اى تدخل سوفيتى ضد اسرائيل .

وقد اجمعت الآراء فى واشنطن على هذه الافتراضات . وابلغت نيكسون بهذه الآراء . وظل متمسكا برأى ســـــابق له بأن أى عمليات عسكرية يجب ان تكون عمليات أمريكية فقط . وأراد منا أن نتحرك فقط ضد تدخل عراقى أو سورى أو اضطرابات يثيرها الفدائيون والا ندع اسرائيل تتدخل .

ان وضع المستشار لشئون الامن عندما يختلف مــع الرئيس بالغ الدقة ذلك ان الرئيس يجب أن يطمئن الى ان مستشـــــاره سوف يتصرف كامتداد له وان يضمن هذا المستشار أن رغبـــات الرئيس قد وضعت موضع التنفيذ فى كل الوزارات . ومن ناحية اخرى ، فان الرئيس يجب أن يكون قادرا على الاعتماد على أنه سيتلقى تحذيرا أيا كانت أوامره خطرة وكان هذا التصرف مهمـا بوجه خاص بالنسبة لنيكسون فى ضوء ميله الى التصريحات المندفعة التى لم يكن هو نفسه يتوقع أبدا ان توضع موضع التنفيذ .

وفى أزمة الاردن .. وضعت حلا لهذه المشكلة عن طريق اعداد خطتين للطوارىء فى وقت واحد : احداهما تعكس تفضيل الرئيس لعمل امريكى منفرد ، والاخرى تعكس ما توصلت اليه (مجموعة الاعمال الخاصة) — مجلس الامن القومى — حول وقوف الولايات المتحدة حائلا دون تدخل من الخارج وبهذه الطـــــريقة يستطيع الرئيس أن يختار عندما تجىء لحظة القرار .

وفى التاسع من سبتمبر قام يولى فوررونتوف القـائم بالاعمال السوفيتى فى واشنطن بابلاغنـــا (عن طريق سيســـكو) بأن السوفيت حثوا الاردن والعراق على ضبط النفس . وفى رأيى ان الكرملين كان يلعب بالازمة الاردنية كما حـدث فى موضوع وقف اطلاق النار . فهو يعلن عن مواقف صحيحة من الناحية الرسمية ولكنه لا يفعل شيئا بناء للحيلولة دون الاندفاع نحو الازمة .

وعقدت مجموعة الاعمال الخاصة اجتماعا مرة أخرى فى مســاء ١٠ سبتمبر . فى ذلك اليـــوم .. كان الفلسطينيون قد غيروا مطالبهم نتيجة للجبهة المتحدة التى استطعنا ان نجعلهـــا تقف بازائهم . فقـــد وافق البريطانيون والســـويسريون والالمان على

تسليم المسجونين من الفدائيين فى سجونهم بشرط اطلاق سراح جميع الرهائن أولا . واقترح الفلسطينيون عندئذ مبادلة جميع الركاب من النساء والاطفال والمرضى بالفدائيين المحتجزين فى أوربا . وقالوا ان جميع الركاب من الرجال هم الفدية لجميع الفدائيين فى سجون اسرائيل .

● مناورة عسكرية

وقررنا زيادة سرعة تخطيطنا للطوارىء . وفى اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة (فى نفس يوم ١٠ سبتمبر) قال الادميرال توماس مورير ، رئيس هيئة الاركان المشتركة ، ان اجراءات التأهب التى سبق الاتفاق عليها ادت الى تخفيض فترة رد الفعل لدى قواتنا فى أوربا الى النصف تقريبا . وقال انه وجه غواصتين لارسالهما الى البحر المتوسط لتعقب الاسطول السوفيتى وان مناورة عسكرية بر مائية تجرى قرب شواطىء جزيرة كريت سوف تنتهى فى يوم ١٤ سبتمبر وانه يمكن الاحتفاظ بقوات هذه المناورة (وهى تضم مجموعة انزال تابعة لمشاة البحرية) قرب ساحل لبنان اذا استمرت الازمة .

وطلبت من رؤساء الاركان دراسة كيفية قيام الولايات المتحدة بعمليات عسكرية فى الاردن فى حالة تنفيذ الرئيس لوجهة نظره التى تفضل عملا أمريكيا يقوم على طرف واحد .

وأعرب ريتشارد هيلمز عن رأيه بأن حسين سوف يسعى على الارجح لتجنب صدام مع الفدائيين خوفا من تدخل سوريا أو العراق . وقد اختلفت معه فى الرأى . وكان ردى عليه : « أن ذلك يعنى نهايته . ولا طريق أمامه لاستعادة السيطرة بدون القتال » . كنت ارى أن المواجهة حتمية رغم الهدنة الجديدة التى تم الاتفاق عليها بين الحكومة والفدائيين .

● طاحونة الشائعات

وفى ١١ سبتمبر بدأت اجراءات التأهب التى اتخذناها فى اليومين السابقين تؤتى ثمارها . فقد تحولت الشائعات عن تحركات اسطولنا فى طاحونة نشر الشائعات فى عمان .. الى انباء عن تدخل امريكى وشيك الوقوع . فقد اطلق الفدائيون فجأة سراح مجموعة من ٨٨ رهينة بينها بعض الامريكيين ، ولكن ليسوا من ذوى الجنسية المزدوجة .

ظهر واضحا الخـــلاف بين روجرز وبينى فى ذلك اليوم حـول اسلوب معالجة الازمات .

كان روجرز يعتقد انه من المرغوب فيه اشاعة الطمانينـــة لدى الخصوم العصبيين الذين لا نضمر لهم ســـــوءا وكان رأيى هو العكس . ذلك اننا مادمنا دخلنا فى مواجهة .. فان التصلب هو احسن السبل واكثرها امانا . وظن روجرز ان تهدئة الجو يمكن أن تساهم فى حل المشكلة . وكان اعتقادى ان الخطر من افلات الموقف وخروجه عن الطريق المرسوم هو الذى يولد الحـــــافز للتسوية السريعة .

● روجرز يفسد الخطط

وها هو ذا روجـــرز يستعرض الموقف امام زعماء الكونجـرس بنفس المنطق الذى استخــــدمه قبل ذلك بثلاثة ايام مع الرئيس نيكسون . فقد قال : اننا درسنا كل خطوة عسكرية ممكنة لانقاذ الرهائن وتوصلنا الى أنه لا يمكن عمل أى شىء .

وهكذا يفسد روجرز مفعول التحركات العسكرية التى جــرى ترتيبها .. بالدقة .. لخلق الانطباع العكسى .. أى الذى يتناقض تماما مع الانطباع الناشىء من كلمات روجرز .

ومن حسن الحظ ان الفلسطينيين صدقوا اعمالنا ولم يصدقوا اقوالنا ويحتمل أنهم تصوروا أن اســـتعراض الموقف الذى قدمه روجرز أمام الكونجرس هو محاولة لخداعهم .

واثناء اجتماع بين الرئيس نيكسون وملفين ليرد ووليام روجرز .. وأنا مع زعماء الكونجرس فى المكتب البيضـــاوى فى البيت الابيض .. استدعانى سيسكو فجأة الى خارج الاجتماع .. وكان شديد الاهتياج . قال انه بسبب التحركات التى يقوم بها الاسطول السادس والتى تنطوى على التهديد .. فان الفلسطينيين هددوا بقتل من تبقى من الرهائن .

● عواقب خطيرة

واجتمعنا فى المكتب البيضـــاوى بأسرع ما يمكن دون أن نخلق جوا من الرعب .

وطلب الرئيس نيكسون من روجرز وليرد البقاء ودعا سيسكو الى الانضمام الينا . والح سيسكو وروجرز على اصدار بيـــان

يتضمن تكذيب اية انبـــاء عن عمل عســـكرى أمريكي · وعارضت هذا الموقف لان اشاعة الطمانينة لدى الفدائيين ستؤدى ببساطة الى اخطار فادحة · وقدمت اقتراحا بديلا بابلاغ الحـــكومات العربية بأن قتل الرهائن ستكون له عواقب جســـيمة · ووافق نيكسون على توصيتى ·

ونتيجة لذلك قمت بصياغة بيان يلزم جانب الحـــرص فى غموضه لكى يقرأه رونالد زيجلر المتحدث الصحفى باسم البيت الابيض ويتضمن البيان لفت النظر الى بيان للصليب الاحمر جاء فيه أنه « لا يجرى التفكير فى عمل عسكرى » ·

● تفجير الطائرات

وفي يوم ١٢ سبتمبر قام الفلسطينيون بتفجير الطائرات الثلاث الخاوية في مشهد مثير وظلوا يحتجزون الرهائن في اماكن متعددة غير معروفة فى عمـــان · وتناقشـــنا ـ نيكســـون وأنا ـ فى تزايد احتمال تنفيذ خطط الطوارىء الموضـــوعة · وكان رأيى أنه فى حالة وقوع صدام بين الملك والفدائيين بمساندة القوات العراقية فانه يجب علينا ان نترك اسرائيل تتحمل العبء · وأصر نيكسون على رأيه بضرورة استخدام القوات البرية الامريكية فى حالة انقاذ الرهائن أو الاحتمال الآخر · ولذلك طلبت من مجموعة الاعمال الخاصة نقل المزيد من القوات الامريكية الى المنطقة بسرعة أكبر ·

وفى يومى ١٣ و١٤ سبتمبر كان اشد ما يقلقنـــــا هو تزايد الشواهد على ان الالمان ، وربما البريطانيين ايضا ، على وشـــــك تحطيم جبهة المفاوضات المتحدة لكى يعقدوا أخيرا صفقات منفردة مع الفدائيين لاطلاق سراح رعاياهم · وعزز هذه المخاوف صدور بيـــان فلسطينى بأن الرهائن الامريكيين سيعاملون معـــاملة الاسرائيليين ·

وبدأت السفن الحربية السوفيتية تتعقب خلسة اسطـــولنا السادس على مقربة من ساحل لبنان ، ولكن ميزان القوى البحرية فى البحر المتوسط كان لصالحنا بصورة كاسحة وتتزايد قواتنا البحرية كل يوم ·

● حسابات موسكو الخاطئة

ولم يحدث اتصال دبلوماسى مع الاتحاد السوفيتى منـــذ ٩

سبتمبر ، ويبدو ان السوفيت قد رأوا أن افضل سبيل لهم هو ان يرقبوا من الخطوط الجانبية اضمحلال مملكة الاردن والارتباك المتزايد الذى توجد فيه الولايات المتحدة · ولكن ثبت ان حساباتهم خاطئة ، ولو كان الاتحاد السوفيتى قد الح فى حوالى ١٠ سبتمبر على اطلاق سراح الرهائن ووقف اطلاق النار فى الاردن لكان المكسب الذى حصل عليه الفدائيون مكسبا ضخما ·· ولكانت سلطة الملك قد أصيبت بضعف خطير · ولو كان ذلك قد حدث ·· واضيف عنصر عدم الاستقرار فى الاردن الى عنصر عدم استتباب الهدوء فى قناة السويس ·· لكانت مكانة الاتحاد السوفيتى قد تدعمت ··

وهكذا اتاح لنا السوفيت الفرصة لاعادة التوازن قبل أن ينقلب ميزان القوى من اساسه ·

وفى نهاية النصف الثانى من سبتمبر كان الفلسطينيون قد دمروا الطائرات الاربع ولكنهم لم يحصلوا على تنازلات من الولايات المتحدة أو اسرائيل على السواء ·

● حسين يقرر الصدام

وعند هذا التوقيت حسم الملك حسين أمره ·· اما بسبب اجراءاتنا للاستعداد والتى شدت ازره نفسيا واما لانه وصل الى نقطة اليأس · فقد قرر الدخول فى مواجهة شاملة مع الفدائيين

فى ساعة متأخرة من ليلة ١٥ سبتمبر بعث « دين براون » سفيرنا فى عمان الذى وصل الى هناك مؤخرا ببرقية عاجلة جاء فيها أن حسين قرر اعادة القانون والنظام الى عاصمته ·· وانه بعد ان يحاصر المدينة بقوات الجيش الموالية له ·· سيعلن تشكيل حكومة عسكرية فى الصباح الباكر ليوم ١٦ سبتمبر ولن يتعجل الامور · ولكن اذا تصدى الفدائيون بالمقاومة فانه مستعد لاستخدام كل ما يملك من قوة لتأكيد سلطته · وطلب حسين بصورة عاجلة ان تستخدم الولايات المتحدة نفوذها لمنع اسرائيل من العمل على تفاقم الموقف · وقال الملك ايضا انه قد يضطر الى طلب المساعدة اذا تدخلت دول عربية اخرى · وبعد عدة دقائق جاء نبأ اتصال بين بريطانيا والولايات المتحدة وتأكيد من ادوارد هيث رئيس الحكومة البريطانية حول خطورة الموقف فى الاردن ·

وعقدنا على الفور اجتماعا لمجموعة الاعمال الخاصة استمر من العاشرة والنصف مساء حتى منتصف الليل ثم استؤنف الاجتماع فى مكتبى بالبيت الابيض فى الطابق الاعلى ·

● مساندة قوية للملك

واستعرضنا كل الاحتمالات : نشوب قتال بين الملك والفدائيين وتدخل العراق (لسبب غير معروف لم يتوقع أى شخص سواء فى عمان أو واشنطن تدخلا سوريا) ·· أو تدخل مسلح من جانب الولايات المتحدة على الاقل بهدف اجلاء الرهائن · واكد الاجتماع ما سبق الاتفاق عليه فى الاسبوع السابق : الاحتمال هو ان يهزم الملك الفدائيين ·· يكاد يكون من المؤكد أن اسرائيل سوف تتدخل اذا تبين أن الفدائيين سوف يتفوقون فى القتال ·· ومن المؤكد أن اسرائيل ستتدخل اذا تحرك العراق · واتفق الجميع على أنه فى حالة تدخل اسرائيل فان الولايات المتحدة يجب أن تقف جانبا ولكنهاستعوق أى رد انتقامى سوفيتى ضد اسرائيل · ولكى نظهر تأييدنا للملك يجب ارسال معونة مادية فورية له · اننا نعلق أهمية كبرى على بقاء حكم الملك حسين ·

واصدرت توجيهات الى الوكالات المتخصصة للمطالبة بخطط تفصيلية فى المجالين الدبلوماسى والعسكرى لمواجهة احتمالات تقديم امدادات مادية للقوات الاردنية وتدخل امريكى مسلح بغرض اجلاء الرهائن وضربات جوية امريكية أو هجوم برى لمساندة حسين فى حالة وقوع تدخل خارجى ·

وابلغت الرئيس نيكسون بهذه الاستعدادات وثار غاضبا · انه يحسب حساب حملته الانتخابية القادمة ومازال يأمل فى عقد قمة موسكو · وقال انه يفضل عدم حدوث مواجهة على الاطلاق · وقال ايضا انه اذا كان لا مفر من عمل شىء فان القوات الامريكية وحدها هى التى تضطلع بالامر · وعارض اية تحركات عسكرية اسرائيلية ·

وفى ١٦ سبتمبر أعلن حسين تشكيل حكومة عسكرية ولكنه لم يتخذ اجراءات عسكرية فى عمان · واعرب مع سفيرنا دين براون عن قلقه من احتمال تدخل سوريا وليس العراق · ولم تأخذ الحكومة الامريكية على محمل جدى هذا الاحتمال ·

وفى ١٧ سبتمبر امر الملك حسين جيشه بالنزول الى عمان ·· وانفجر قتال واسع النطاق · انه « سبتمبر الاسود » أو « مذبحة ايلول » كما اسماها الفلسطينيون ·

• التعليق على
الفصل التاسع

ما هو السر العراقي الأمريكي .. الذى أخفاه كسينجر ؟

في هذه الصفحات الجديدة من مذكرات كسينجر التي ننشر خلاصتها حول أهم الاحداث .. تبرز عدة مواقف .
في غمار أزمة الاردن ، وتحركات الاساطيل والقوات الامريكية .. كان نيكسون مختفيا في بدروم في البيت الابيض حيث كان يلعب « البولنج » .. ـ وانا لا أعرف هذه اللعبة ـ ولكن هذا يعني ان رئيس الدولة يمارس حياته العادية ، بعد أن يضع الاستراتيجية العامة ، وبعد أن يتخذ القرار السياسي .. ولا شأن له بعد ذلك بالتفصيلات ..

وتكشف المذكرات ايضا عن انتصار التخطيط الذى وضعه كسينجر لمواجهة الاتحاد السوفيتي .. وهو شعار « دعوهم يأتون الينا » ! امريكا توجه الاساطيل والقوات ، وتضاعف من الاستعداد العسكري العلني .. والثقة كاملة أن السوفيت سوف يتراجعون عن أى تصرف .. بل ان بياناتهم الملتهبة ، وقد اصبحت هادئة وباقصى روح المودة والاعتدال .. ولذلك فان نيكسون قد سخر من وزارة الدفاع عندما وضعت في تصورها ، ان الاتحاد السوفيتي سوف يهاجم اسرائيل بالغارات الجوية .. وقال الرئيس الامريكي ان هذا لن يحدث .

ان اللعبة بين القوى الكبرى ، معروفة أصولها وقوانينها لهـــذه القوى الكبرى .. ومن يجهل هذه الحقيقة من الدول الصغرى ، فانه هو الضحية .. وهذا ما أدركه جمال عبـــد الناصر . عندما قبل مشروع روجرز واجه بذلك الزعماء السوفيت وهو مجتمع بهم .. فقد اتضح بعد ذلك أن الاتحاد السوفيتي كان يبلغ امريكا سرا انه ليس ضد مشروع روجرز على الاطلاق .. وهذا ما ادركه جمال عبد الناصر أيضا .. عندما دعا الى مؤتمر القمة العربي في أواخر أيام حياته .. لكي ينقذ حياة الفلسطينيين في الاردن ، بعد أن تطورت المذبحة الى ابادة . وبعد أن تيقن على من يعتمد الملك حسين .. وأن الاتحاد السوفيتي لن يتحرك . ولذلك اتخذ الموقف العاقل بدعوةالملك حسين لحضور اجتماع القمة .. وعقد مصالحة مع المنظمات الفدائية .. لوقف اراقة المزيد من الدم .. وكان ياسر عرفات يصرخ ملحا على وقف اطلاق النار الذى لم يحترمه الملك حسين أكثر من مرة .. وراوغ وهو في موقف المنتصر .. على الرغم من أن مذكرات كسينجر تريد أن توحى لنا ، بأن الموقف كان بالغ الخطورة .. بما يعظم به دوره .. والدور الامريكي في انتصار الملك حسين ، لسبب بسيط هو أن الجيش الاردني جيش مدرب ممتاز ، وكان مؤيدا للملك تأييدا كاملا .. والخطأ الذى وقعت فيه القيادات الفدائية .. هو انها تمادت في تصرفاتها داخل الاردن .. حتى أصبحت دولة داخل الدولة .. ثم حصنت نفسها في مواقع محيطة بعمان .. وتصورت انها قادرة على مقاومة جيش أردني يملك ٥٠٠ دبابة .. وحدثت قبلها احتكاكات عديدة بين رجال القبائل في الجيش ورجال المقاومة .. بعد أن تعرضت القبائل لاهانات مستمرة من أفراد المقاومة .. وكل ذلك كان يمكن اصلاحه بتدخل عربي يصل الى اتفاق مثل اتفاق القاهرة الذى وصل اليه عبد الناصر مع حسين وعرفات في اجتماعات القمة .. ولكن قيادات المقاومة كانت على يقين من أنها قادرة على اسقاط حسين .. والاستيلاء على الحكم .. وكان حسين في الوقت نفسه ينتظر الفرصة المتكاملة ، لكى يقضى قضاء كاملا على المقاومةالفلسطينية .. حتى أن شقيقه أعلن ان الملك مستعد لتدمير عمان كلها وتحويلها الى انقاض .. ويمكن أن يعيش الاردن بغير عمان . ودفع الى هذا الموقف كله ، الجانب الماركسى من المقـــاومة باختطاف الطائرات ، والتهديد باهلاك الرهـــائن الاوربيين والامريكيين والاسرائيليين .. لانهم ارادوا أن يخلقوا موقفا يعطل استمرار عبد الناصر في قبوله مبادرة روجرز ، لانهم لا يريدون السلام .. ولايمكن أن يكون هذا الجانب الماركسى ، منفصلا عن تنفيذ الاستراتيجية السوفيتية ..

التي تحرك كل هؤلاء وفقا لمصالحها كقوة عظمى .. وتبلغ امريكا فى الظلام انها تؤيد مبادرة روجرز !

● ماذا اخفاه عن موقف العراق ؟

وتكشف هذه المذكرات ايضا عن براعة الملك حسين وذكائه . كان جيشه وحده . كامنا لابادة الفدائيين .. فلا يمكن لحرب عصابات أن تقضى على جيش . والوضع فى الاردن مختلف عن الوضع فى فيتنام . ولكنه ظل متأخرا فى الاقدام . لكى يكون واثقا من الانتصار .. وظل يضخم المعلومات عن حاجته الى المعونة من امريكا .. حتى يضمن موقفا امريكيا حاسما .. وضمن التنسيق الكامل مع اسرائيل . حتى ان نيكسون وافق أخيرا .. على تحرك اسرائيلى . يتسم بالتنسيق مع الاردن على أن يترك القرار النهائى للتدخــل الاسرائيلى جوا أو برا لامريكا ..

اطمأن حسين الى كل ذلك .. وكان اتصاله بامريكا مستمرا .. وكذلك اتصاله باسرائيل - وهذا ما لم تكشفه مذكرات كسينجر - واصبحت بين يديه كل عناصر القدرة على أبادة الفلسطينيين .. لان امريكا لصالحها كقوة عظمى تريد حماية عرش حسين .. وكذلك صالح اسرائيل . وهكذا بدأ حسين معركة أبادة الفلسطينيين حتى انهاها بالانتصار المحقق .. واخذ يراوغ مع نداءات مؤتمر القمة ، ووفوده . ثم عرض الحضور الى القاهرة .. معلقا رغبته فى التفاهم وتكشف هذه الصفحات أيضا .. الجديد عن الموقف العراقى .. والموقف السورى .

كانت أمريكا .. لا تفكر لحظة فى أن سوريا سوف تتدخل . حتى ان معلومات وصلت الى لندن عن احتمال هذا التدخل .. ولم تبلغها الى واشنطن . باعتبارها معلومات تافهة . وذلك لسبب بسيط هو ان العاصمتين تعرفان تماما .أن ضربة جوية واحدة من اسرائيل .. كافية للقضاء على سوريا .. ولكن اسرائيل تمادت ، وطلبت ايضا التصريح من واشنطن بهجوم برى على سوريا .. فرصة !

وكان كل التفكير منحصرا فى مواجهة احتمال التدخل العراقى .. وله قوات مسلحة عددها ١٧ الف جندى داخل الاردن. والبيانات تصدر من حكومة البعث العراقى .. ومن اذاعة بغداد تهدد وتزمجر وتهاجم الامبريالية .. كما يحدث تماما فى التهجم على مصر .. بعد مؤتمر التهريج والشتائم فى بغداد .. ثم لا شىء غير التهجم .. ولا تحرك سياسى أو عسكرى من أجل قضية فلسطين .. بل توقع

فى المؤتمرات امام العالم الخارجى .. لا يؤثر قيد شعرة فى مكانة مصر العربية والدولية .

وكسينجر يسخر فى مذاكراته من موقف البعث العراقى.. ويقول أن القوات العراقية داخل الاردن لم تكتف بمجرد الصمت والتفرج .. بل انها كانت تحرك مواقعها الى مواقع بعيدة عن التدخل ، حتى تتقى شر الاذى ..

ولكننى اعتقد جازما أن هذا الداهية كسينجر ، يخفى شيئا هاما . فى مذاكراته عن موقف العراق .. وهو لاشك اتفاق سرى بين أمريكا والعراق وحسين واسرائيل .. وهو يخفيه الآن متعمدا لانه ليس خافيا فى الدوائر الامريكية . ان العلاقات العراقية الامريكية الان (سمن على عسل) كما يقولون .. وكان قبول العراق للحل السلمى قبل مؤتمر بغداد كشفا لموقف العراق .. ثم هذا الغزل المكشوف عن اعادة العلاقات .. ثم العلاقات التجارية .. الى آخر كل ذلك .. ولكن لا بأس أن تهاجم اذاعة بغداد وصحفها .. الامبريالية الامريكية التى تتآمر مع مصر ، لبيع قضية فلسطين ..

لا يمكن أن يكون كسينجر ساذجا لهذه الدرجة التى يصور لنا بها الموقف .. أن امريكا كانت تخشى تدخلا عراقيا عسكريا .. وموقف العراق فى حرب ٤٨ ليس مجهولا من أحد . فجيش العراق تحت شعار « ماكو أوامر » هو الذى اتاح استيلاء عصابات اسرائيل على النقب .. وموقفه فى العدوان الثلاثى معروف .. وموقفه فى هزيمة ٦٧ معروف .. ومشاركته الرمزية فى حرب اكتوبر معروفة .

ولكن هناك حقائق عن الاتصالات العراقية الامريكية الاسرائيلية الاردنية اخفاها هذا الرجل .

● سوريا تهرب
بعد ٤٨ ساعة

بقى الموقف السورى ، وهو أيضا البعث السورى ، عندما كان حافظ لا يزال قائدا لسلاح الطيران . ما دامت هناك قوات للبعث العراقى فى الاردن .. فيجب أن يقوم البعث السورى ايضا بمظاهرة .. فالصراع بين البعثين على المواقف المسرحية صراع علنى . وقد انكشف أخيرا بعد أن أذاع مؤتمر التهريج في بغداد .. اعلان الوحدة بين العراق وسوريا .. أن ليست هناك وحدة ولا يحزنون .. بل

ان البعث السورى كان مشتركا فى مؤامرة للاطاحة بصدام حسين ٠ وخرس كل لسان عراقى او سورى كان يصرخ بهذه الوحدة المزعومة ٠٠ وها نحن اخيرا نرى البعث السورى العلوى يتمســـح فى ثورة ايران ٠٠ ويعلن تأييدها بعد ان أرسل الاسد صبيه وزير الاعلام لكى يقبل أقدام الخمينى ٠٠ ونجد للبعث العراقى ـ فى الوقت نفسه ـ موقفا مختلفا وصـــل الى حد التدخل بأعمال التخريب ٠٠ والى التهديد بقطع العلاقات ٠٠ ثم الاعلان العراقى بأنهم يطلبون اطلاق سراح الرهائن الامريكيين ٠٠

ماذا فعلت سوريا ٠٠ فى مذبحة الفدائيين بالاردن !

أول تحرك فقدت فيه ٣٠ دبابة ٠٠ وعندما تمكن حسين استطاع أن يدمر ١٢٠ دبابة ٠٠ وكان مجموع الدبابات السورية التى دخلت ٢٥٠ ياردة داخل حدود الاردن ـ حسب تقدير اسرائيل ـ ٢٠٠ مائتى دبابة فقط ٠٠

وكم بقت سوريا فى الاردن ؟ ٠٠

٤٨ ساعة فقط ! ٠٠ ولم يجرؤ الطيران السورى على التدخل بقيادة حافظ الاسد ٠٠ وكان مجرد ظهور لواءين اسرائيليين بتحركات صوب مرتفعات الجولان ٠٠ كفيلا بانسحاب القوات السورية على الفور ٠

وانتهت الحركة المسرحية ـ التى شجع عليها السوفيت فى بادىء الامر ، املا فى سقوط حسين ـ ثم عادوا واستنكروها وقالوا انه لا علم لهم بها ٠٠ بل تعرض البعث السورى لموقف سوفيتى جديد يطالبهم بالانسحاب فورا ٠٠ وتم الانسحاب فورا ، وتركوا ١٥٠ دبابة محترقة ٠

سألهم عبد الناصر ٠٠ هل وضعتم فى حسابكم الموقف الامريكى والموقف الاسرائيلى ؟ ٠٠ فكانت اجابة البعث السورى ٠٠ لا ٠

اذن كان الاعتماد على السوفيت ٠٠ اى على الحائط المائل ، حتى يكون لهم فى مأدبة سقوط حسين نصيب ٠٠ وما دامت القـــوات السورية قد أسهمت فى اسقاطه ٠٠ فهى الدولة التى تستولى على العرش الجديد ٠٠ وليست المنظمات الفلسطينية ٠

وقد بالغ كسينجر فى تقييم هذا التدخل السورى عن عمد ٠٠ حتى يعطى لنفسه فضل الانتصار على التكتيك السوفيتى ٠٠ وهو لا يخفى فى مذكراته انه يفتقد الى فضيلة التواضع ٠ وهو الذى يريد

أن يظهر الرئيس نيكسون . وكأنه كان مجرد منفذ للاستراتيجية التى وضعها كسينجر .. ولكنه فى كثير من السطور أضطر الى الاعتراف ببراعة نيكسون السياسية . وسيطرته الكاملة على اســـتراتيجية السياسة الخارجية الامريكية .. التى هو واضعها وصانعها .

ولكن البعث السورى لم يتوقف أيضا عن اصدار البيانات الملتهبة .. وكما قال عبد الناصر حينئذ « اذا كان على البيانات أنا مستعد أصدر بيانات .. وتقولوا على ثورى .. وأروح اسكندرية .. ونترك المذبحة مستمرة » .

● حقائق اللعبة بين القوى العظمى

كان هدف مصر حينئذ - بعد فهم واع لحقائق اللعبة بين القوة العظمى فى موسكو والقوة العظمى فى واشنطن - هو ايقاف المذبحة وانقاذ العمل الفدائى ، واتفاقا يضمن للعمل الفدائى استمراره .. ويشعر معه حسين ايضا ، أنه لا توجد دولة أخرى ، داخل الدولة التى يجلس على عرشها .

ولذلك اتى وفد مؤتمر القمة برياسة جعفر نميرى ، بياسر عرفات الى المؤتمر .. وجاء أخيرا الملك حسين بناء على دعوة عبد الناصر .. بعد أن أطمأن حسين تماما ، انه ادى الدور الذى خططه تماما . ولكن بدأت المزيدات داخل المؤتمر .. من القذافى وعرفات بعد حضوره .

القذافى يرفض حضور الملك حسين . ويرفض أن يكون مع جمال عبد الناصر فى استقباله بالمطار ، ويعتبر التعـــامل مع الاتحـــاد السوفيتى خيانة ويطالب بان تحارب الجيوش العربية امريكا .. ويؤكد ان متطوعين من الشعب الامريكى سيسرعون الى الارض العربية لمحاربة الاساطيل والقوات الامريكية مع الجيوش العربية ! .. ولم يكن هناك جيش عربى مطلوب منه الحرب الا جيش مصر . وقال عبد الناصر له .. ولربيع رئيس اليمن الجنوبية الماركسية .. «على بلاطة » .. مصر لن تحرك جنديا واحدا الى الاردن . ومعنى ذلك كشف جبهة القناة لضربة اسرائيلية كان واضحا انهم يتوقون اليها .. لابادة قواعد الصواريخ والعبور الى غرب القناة .. وكان عبد الناصر عارفا بحقيقة موقف الاتحاد السوفيتى ، بعد طول تجاربه ومعاناته معهم . وقال بكل الوضـــوح : لقد أخـــذت الدرس من هزيمة ٦٧ .

جاء ياسر عرفات الى المؤتمر ، لكى يسعى الى وقف النار .. وهو

يشرح المذبحة الرهيبة التى تعرض لها الشعب الفلسطينى ·· ولكنه رفض الاجتماع مع الملك حسين مع لجنة؛ من الرؤساء برياسة عبد الناصر ··واصر على موقفه أن يصدر المؤتمر قرارا باعتبار حسين مجرم حرب ·· وقطع العلاقات الدبلوماسية معه ·· والتحرك ضده ·· الى اخر هذه المواقف التى لاتجدى فى حل مشكلة الألوف من الفلسطينيين القتلى الذين تعفنت جثثهم فى الشوارع ·· والجرحى من الرجال والنساء والاطفال الذين يعانون ولا يجدون طبيبا واسعافا ·· ولذلك قرر المؤتمر تاليف لجنة للاغاثة برياسة الملك فيصل ووضعت كل امكانيات مصر من الطيران تقدم ادوية واسعافات واطعمة قيمتها مليون من الجنيهات ·· واليوم يعايرون مصر بالمعونات ! ويطلب عرفات قطعها عن مصر !

ثم كان الموقف الاهم بالنسبة لعبد الناصر ·· ماهو مستقبل العمل الفدائي الذى يجب أن نحرص عليه ونحميه ، وهو فى هذه المحنة القاتلة ·· وكان ذلك لن يتقرر الا باتفاق مع الملك حسين · ولكن عرفات كان يرفض الاتفاق · واكتفى اليوم بأن أسرد على القراء ، كلمات ياسر عرفات عن الملك حسين أمام المؤتمر ·· وهو الذى يجمتع به الان ·· وهو الحليف الوطنى القومى الجديد · الذى يحج اليه ياسر عرفات ·· ويحج اليه معمر القذافى ·· ويشيدون بصموده ·· ويتهمون مصر أكتوبر ·· ومصر مبادرة السلام ·· ومصر أم قضية فلسطين ·· يتهمونها بالخيانة !

وهذه السطور التى انقلها عن ياسر عرفات هى جزء قليل جدا من أقواله فى المؤتمر ·

● ماذا قال عرفات ؟

قال ياسر عرفات فى جلستى ٢٥ ، ٢٦ سبتمبر ١٩٧٠ :

ــ العملية ليست بسبب الاعمال الفدائية ·· والمجزرة الان لا شىء يمكن أن يبررها الا انتقام صهيونى استعمارى خطط لكل هذا الشعب ليضرب ضربة كبيرة ·

المذبحة الفعلية بدأت يوم ١٦ سبتمبر · لكن ظهرت بوادرها فى ٢٦ اغسطس ·

فى يوم واحد ٦٦ قاعدة هوجمت بواسطة اللواء المدرع ٤٠ ولكن استطعنا رغم فداحة المأساة أن نغض الطرف · أن نطلع أول اتفاقية بيننا وبينهم · من نهار كنا مجتمعين مع عضاء اللجنة المركزية واصيب هذا الاجتماع بـ ٨٦ قذيفة · ومع ذلك عاودنا الاتصال · ثم بدأت

حودات الزرقاء · وبعد ذلك علمنا أن حكومة جديدة شكلت · واتصل بى أخ من اللجنة وقال هؤلاء يطلبون منا تسليم السلاح وانا لا استطيع أن احكم على نفسى بالاعدام · وقد قيل لنا هذه اوامر الملك · واتصلنا بنائب رئيس الوزراء لتلافى المذبحة · شاهدت شخصيا مذابح ومجازر كثيرة من قبل لكن لا اعتقد ان ما يحدث فى عمان حدث من قبل · فهناك ثلاثة الوية مدرعات واربعة الوية مشاة احضرهم من الجبهة ، وبقى على الجبهة سرية واحدة أى ١٢٠ جنديا فقط · اتصلت ثانية فلم أجد نائب رئيس الوزراء ولا مدير العمليات ولا نائبه الذى قيل لى أنه يصلى · ولم استطع الاتصال بالملك ولا بزيد شاكر · وبدات المذبحة فى عمان · أول يوم كان بينى وبين الدروع تقريبا ٢٠ مترا تعاملنا معها يوما كاملا حتى استطعنا أن نشق طريقنا لكن كيف نتعامل مع المدفعية · الكتيبة السادسة كانت ومازالت تدك عمان بمدفعية الدبابات · أما الرشاشات الثمانمائة فغير محسوبة · وهذه اول مرة تظهر فيها الرشاشات · ولكن ما ذنب مخيم الوحدات ؟ لم استطع أن أمشى أكثر من مائة متر · لان روائح الجثث فى الشوارع وتحت الانقاض مافيش حد يدفنها · جبيت اندفنها قالوا لى حرام · مافيش ماء فى الاحياء الشعبية اطلاقا · حتى سمعت ان السفارات مافيهاش ماء ايضا · أكل مافيش حتى الادوية لم تصل الى مستشفياتنا أطلاقا ·· اليوم دكوا مستشفى الاشرفية واستطاع شـــبابنا ان يعطلوا الدبابات ثم لجاوا الى حيلة · وضعوا اطفالا فوق الدبابات واقتحموا المستشفى واخذوا الاطباء والممرضات · وأنا اعرف اين ســـتبيت الممرضات الليلة · لان عمان استبيحت كما تستباح المدن فى القرون الوسطى··دكوا مخيم الحسينى ومازالوا يدكون· أنا مضطر أنأقدم غدا شكوى الى مجلس الامن بابادة جنسية · والعملية فوق أن الفدائيين انحرفوا · وهذه السلطة لا تشعر بانها من هذا الشعب وامس كنت فى بيت انفجرت فيه قذيفة · وفى البيت امرأة تقول لى اياك أن تصالحه لقد صالحته ثلاث مرات · أنا اعتقد اننا مقبلون على مذبحة غدا · فى اربد اليوم حى المصاروة والحرائق مشتعلة ·· طبعا فيه تناقض ·· يقول انا اسمع بالتجول وهو مسيطر على هذه الاماكن ويرسل بعثة للصليب الاحمر ويذيع مطالب بوقف اطلاق النار · لن يعطونا لا هدنه ولا شىء · المخطط ماشى · فيه اصرار عليه · هل نخون ·· نروح نتفق مع امريكا وناخذ حماية منها · نروح نتفق مع اسرائيل ·

عبد الناصر : أودان نسمع من الاخ الباهى الادغم · اذا كان هناك لا أمل فى وقف اطلاق النار · الاخوان اللى حضروا نحب نسمع منهم ·

● تونس تتهم حسين

الباهي الادغم : باختصار رحنا الى عمان للنظر فى حل يضع حدا للقتال بدون سابق تحيز . فاتصلنا بالملك وبحثنا معطيات القضية من جميع نواحيها وتحادثنا ساعات . وخلاصة الامر فى خصوص وضع حد للقتال يوقف اطلاق النار فهو يقول هذا صعب بل مستحيل . لان الفدائيين لا يريدون وقف اطلاق النـــار . فهناك نهب ولابد من مواصلة الاعمال . قلنا طيب .. فيه حالة هيجان يمكن يكون هنالك عمليات بوليسية فى المرة الاولى . بقينا فى ضيافة الملك لكن علمنا من جهات أخرى أن اطلاق النار تقوم به القوات المسلحة ورأينا أن هناك عمليات مخططة منطقة بعـد منطقة هناك قتلى بالآلاف والجرحى بالآلاف . قلنا ذلك للملك . فلم يعتذر بل قال أنه لم تتم العملية بعد . فقلنا طيب لابد من حد أدنى من ظروف الحياة الخاصـــة وأن ٣ مستشفيات ضربت واستنتجنا أن عمليات حربية تجاوزت بكثير الأهداف التى قامت من أجلها . فحاولت أن أتحدث معه على الاقل من حيث أن الافراط مضر . هذه عملية ابادة فى مدينة آهلة بالســكان . رد الفعل موش طبيعى ولا يوجد من نحاسبه . أخ الملك يحضر الاجتماعات وهو يقول لى أنه ينصح اخوه ومصير الشعب بيد أخوه الذى يقول لو لزم محو عمان فسوف تمحى : فبقية الاردن تكفى . هنالك مخطط يشمل عمان . وقد قلنا هذا للملك . وحال وصولنا الى القصر أعطينا شظايا باردة ولا علاقة لها بالقصف لا يهمنا .. عندما كنا فى السفارة المصرية أطلق علينا النار . هناك أشياء لم نعرف مثلها فى التاريخ لقد اتفقنا على ايقاف النار ثلاث مرات. ولم ينفذ شىء .. هناك حالة جنونية .

ياسر عرفات : جبل الاشرفية بالليل فى الفجر الساعة ٤٫٣٠ ضرب بدك عمان بلا رحمة ولا هوادة حتى حوالى الساعة ٧٫٣٠ ــ ٨ والرشاشات تحصد وهرب الى سوريا ٧٤٫٠٠٠ مواطن .

فاروق ابو عيسى (وزير خارجية السودان) : أريد أن أسجل ما تعرضت له السفارة المصرية اليوم . حتى أن أحد الجماعة اللى بعتهم الملك اتصل بغرفة العمليات وقال لهم هذا موش معقول لاننا احنا موجودين . جاء الاخوان السودانيين . قالوا أن ما جرى لم يشاهدوا مثله عندما كانوا فى الكونغو . ان العملية عملية ابادة.

الباهي الادغم : أحب أن أقول أن مجىء الاخ ياسر عرفات لم يتم بموافقة الملك .

عبد الناصر : عندى اقتراح نحن عقدنا مؤتمر بدعوة من الاخوان فى تونس .. وفى الايام اللى فاتت كان هدفنا وقف اطلاق النار وهى عملية انسانية . كل هذا يبين انه ليس هنالك فائدة . وأنا حدثت معى عدة مراوغات . قلت له فى الاسكندرية ازاى تقيم بلدا على القتلى . أقترح أن الاخ نميرى والاخوان اللى كانوا معاه ، يعملوا لنا التقرير كامل ، وبكره الاخ نميرى يقدم لنا التقرير ويعقد اثر ذلك مؤتمرا صحفيا ثم نناشـــد القادة العرب الا يقبلوا هذا الوضع . وانى موافق على أن يذيع الأخ نميرى تقـــريره ويعلن للعالم ، وبعدها يعلم الملك أنه لن يستطيع أن ينفعنا .

● **ذبحنا من حسين ٥ مرات**

القذافى : وبعد ماذا .. نفعل ؟

عبد الناصر : انتظر حتى نخلص من هذه النقطة . الكلام اللى قلتوه هنا يقال للعالم . ويحضر المؤتمر الصحفى الاخوان أعضاء الوفد . اذا أقرينا هذا . يبقى نفكر .. ماذا نعمل .. فاذا اتفقنا عملنا . فاذا لم نتفق كل واحد يعمل على كيفـــه . ماذا تقترح يا ابو عمار ؟

عرفات : أنا متهم انى معتدل وقرات هذا الكلام فى الصحف الاجنبية قبل ماسمعه فى الصحف العربية . وأربع مرات وهذه الخامسة وهو يذبحنا . وكل مرة آخذ على عاتقى مسئولية التفاهم معه رغم كل المزايدات . أما هذه المرة فانى أعتبر نفسى مفرطـا فى حق هذا الشعب . فاما أخونه أو اجد له منفذا . وأنا فى حل ان ألجأ الى الشيطان . غدا ستسمعون صيحات اللى يذبحوهم فى اربد .. أناشدكم انتم مسئولون عن الامة هذا الرجل غرق فى الدم . واذا تراجع فهو أدين . انه لا يستطيع أن يتراجع . هؤلاء لن يتراجعوا . سوف يكملون المذبحة . هذا الرجل الدموى لا يوقفه بيان . أنا سأوقع مع الشرق والغرب . أورط المنطقـــة العربية . ولا أفنى شعبى .

هناك استفزاز . ان هذا الشخص أدان الامة ولم يحترم المؤتمر واستفزه . فما دمنا مؤمنين بذلك يفكر الرؤساء الليلة ويتخذون الترتيبات التى ينبغى اتخاذها .

عبد الناصر : الحقيقة أن هناك شقين : الشق الاول الاعلان عن التقرير . الشق الثانى ماذا نعمل لايقاف ما يجرى .. هـذا هو الموضوع الثانى .

القذافي : واضح أن الامة العربيـــة يجب آن تقاتل الى جانب الشعب الفلسطيني ويدخل من يدخل . ولو دخلت أمريكا فماذا ستفعل أمريكا ؟ انا متأكد ان أمريكا فيها ناس متطوعين حيقاتلوا معنا .

الباهي الادغم : اذا حصل تدخل حاليا فان سلوك الملك حسين نفسه غير معروف .

عرفات : اسرائيل فتحت جسورها لاستقبال جرحانا .

عبد الناصر : نسأل ياسر ماذا يطلب منا ؟

عرفات : جريمة حدثت فى الأردن فعلا ، هذا الملك حاربنــا بالدبابات التي اشتريت من دم الامة العربية هذا الشعب يطالبنـا هل نسمح لفئة من الناس أن تذبحنا ، بأموالكم وباسم الجامعـة والاخوة ثم يقول انها فتنة عليه . قال علينا اننا مجرمون خـونة مرتبطون باسرائيل . لدى المقاومة اثباتات أنه يجتمع مع اسرائيل وهذا موسى العلمي عنده اثباتات أن ذلك حدث في لندن . حتى مستشفانا الوحيد ضرب واحتل . يعنى نصف مليون شخص وما عندنا مستشفى . كان فى الوفد عسكريين يقدروا لكم كم طنا من المفرقعات نزلت علينا .

عبد الناصر : مازلت أعتقد أن وقف اطلاق النار هو المهـــم . النهارده الساعة السابعة الا عشرة اتصل بى الملك حسين وقال لى أن الحالة اهدأ وان تصريحات الرئيس نميرى سيكون لها صـدى كبير . فقلت له أن هذا الكلام موش كلام النميرى وما نطلبه هو وقف اطلاق النار . وكان معاى الاخ أمير الكويت . فأجابنى بأن التحريض مستمر . فقلت له لازم تبذل المستحيل بنفسك لوقف اطلاق النار وقلت له انتم ضربتم مستشفى الاشرفية .. ليــه تضربوا الاشرفية .. فقال سأعمل المستحيل لوقف اطلاق النــار وقال انه مستعد للحضـــور الى القاهرة ورأيى هو الآتى : أنا أرسلت البرقيات التي كلفتونى بها .. والمؤتمـــر كان نوعا من وثيقة اتهام . ثم يقول انه يحب أن يجيء وانه يمكن أن نصل الى اتفاق غير الاتفاق الى حصل مع أبو اياد . ان هدفنا هو ايقاف القتال والا سيزيد القتل .. وهمنا أن نجنب الاردن مثل هـــذه النتيجة . وأنا فى كلامى مع الملك حسين أردت أن نعطى فرصـة للملك حسين .

وعندنا عدة اختيارات · ممن نقول للملك حسين انه مايجيش لكن اذا جاء أحسن ·

ربيع : لقد توصلنا الى اقتناع بأن الملك حسين عنـــده اصرار مسبق على القضاء على المقاومة الفلسطينية وهذا معناه أنه مسئول مسئولية مباشرة عن ابادة الشعب الفلسطيني ·

السودان : كل الحاضرين مقتنعون بأن الملك حســـين يرتكب جريمة ابادة المقاومة الفلسطينية وقد قمنـــا باطلاع الرأى العام العربي والدولي · والآن السؤال ·· ماذا نستطيع أن نقدم للشعب الفلسطيني ؟

السيد الباهي الادغم : فيما يخص الملك حســين يمكن دعوته لقد تحملنا البقاء تحت الرصاص وكل أصناف سوء المعاملة فضلا عما تقتضيه الكرامة وصلة الرحم · هناك أيضا مقتضيات المصلحة العليا وتقديرهم الاهم على المهم · هذه سياستنا نحن أمام خطرين:

أولا : أن ياتي الملك حسين يحكي لنا الحكاية ونحن مستعدون لدحض كلامه اذا اقتضى الحال نظرا لمشاهدتنا مشاهدة عيان · الخطر هو بعد حضوره يرجع لعمـــان ويتصرف نفس التصرفات ولكن وجوده يمكن من اقناع غير المقتنعين ·

ثانيا : أن يرفض القدوم ·

أكبادنا تتمزق وقد قلنا لهم أنكم تقومون بعمليات محق بالنيابة عن اسرائيل قلناه ومستعدون لاعادته ونتخذ مسئولياتنا واذا تمكنا من استدراجه الى خطة يكون كسبا بالنسبة لاخواننا · ولكن لازم يدفع الثمن ثمن الدماء · نحن لا ندخل في مغامرات ، هو أطلق علينا الرصاص وأنا مستعد لمصافحته . نحن لم نوجه اليه دعوة · نحن نترك له خط الرجعة ، نتسامح اذا جاء وننظر ما هي الاسباب التي جعلت اتفاق وقف النار غير صالح للتطبيق ؟ نحن نســعى الى توفير أسباب النجاح ووضوح الرؤية ، لان البشر يعيش حالات جنونية ·

انا شخصيا أؤيد اقتراح الرئيس عبد الناصر ·

النميري : الملك حسين عفا الله عنه ·· انا أوافق على قبـــول الملك حسين مع حضور رجال المقاومة ·

عبد الناصر : قلت فى البرقية أن الكلام اللى جاء فى الندوة الصحفية ليس كلام النميرى فقط بل هو تقرير اللجنة .
الباهي الادغم (رئيس حكومة تونس) : بمجرد ما خاطبنـاه بالتليفون عن موضوع المستشفى أجابونا بالرصاص ..
النميري : أهم شيء اذا جاء الملك حسين عليـه أن يوافق على تقديم المساعدة في صورة وقف اطلاق النار .

محمد المصمودي (وزير خارجية تونس) : تونس عنـدما قدمت الاقتراح كانت أول ما فكرت فيه احضـار ياسر عرفات والحسين .

رشيد كرامي (رئيس وزراء لبنان) : هناك اجماع حـول الهدف .. وقف اطلاق النار . من أجل الوصول لذلك ، ارى أن اجتماع حسين بعرفات بحضور ناصر وفيصل ومن يشاء .. سيكون مفيدا .. وسيتم ما يرضى ضمائرنا .

فيصل : انى أوكل الاخ عبد الناصر .. حل المشـكلة ايش السبيل للوصول الى الهدف هذا هو المهم ..

عبد الناصر : هدفى هو وقف اطلاق النار ثم تنفيذ الاتفاقية ــ الحسين قلنا له تفضل وفي استطاعتى أن أبرق له بعدم الحضور .. هل يرى الاخوان الفدائيين فائدة في حضوره ؟ .. اذا كانوا لا يرون فاننى أبرق له معتذرا .

● حاكموا حسين كمجرم حرب

ياسر عرفات : لقد استباحوا دمنا وما يزالون حتى أمس باعترافهم ١٤ الف قتيل . فى اسرائيل ــ أنا محكوم على بالاعدام . وسيادة الفريق صادق شاهد واحدا من أعضاء الصليب الاحمر بكى خمس ساعات عندما رأى حالة الجرحى ٢٥٫٠٠٠ عدا الاموات . والله أعلم. البعض ما يزال تحت الانقاض الحقيقة ليحضر حسين ولكن .. شكلوا لجنة لمحاكمته كمجرم .. أمريكا اهتزت لمذبحة ٢٥٠ فى فيتنام . أخو الملك قال والوفد سمع ذلك ان اسرته جاءت الى هذه الارض وهى خلاء وستتركها كذلك .
القذافى : من أين جاءوا ..
أبو عمار : من الجزيرة .
فيصل : هربوا .

اليمن الشمالي : المأساة مريرة وشديدة ٠٠ ولكن هل تحولت القضية من قضية أساسية الى قضية بين المؤتمر وبين دولة الاردن لا أعتقد أن أحدا يوافق على ذلك ٠

عبد الناصر : مافهمته من كلام الاخ ياسر أن يحضر الملك حسين ولكن لا كمشارك في المؤتمر ٠٠ ولكن يجب أن يكون مفهوما انه اذا حضر ٠٠ لابد أن أستقبله ٠

القذافي : ماتروح لوش !

عبد الناصر : بعد استقباله من سيحضر في لجنة العمل ! الاخ نميري ؟ الاخ القذافي ؟ الاخ ربيع ؟

القذافي : الاخ فيصل ٠٠ لانه اذا لم يحضر فسيكون لهذا معنى ٠

فيصل : أقترح الاخ الباهي ٠

عبد الناصر : اللجنة الاخ نميري ٠ الملك فيصل ٠ الامير الصباح ، الاخ الباهي ، الاخ ياسر عرفات ٠

● لا طاعة لى ٠٠ اذا صافحته

ياسر عرفات : وصلني انذار من القيادة العسكرية أمس أنني اذا صافحت الملك حسين هذه المرة فلا طاعة لى ٠

عبد الناصر : ننهي المؤتمر ونبعث للملك رسالة ٠

القذافي : ما هي القرارات التى توصل اليها المؤتمر ؟

الباهي الادغم : أستطيع أن أجاوب ٠

عبد الناصر : انت الداعي ٠

الباهي الادغم : لقد أبعدنا تدخل الاجنبي ٠ فرضـــنا الطرف الفلسطيني ، وأخرجنا من السجن أقطاب المقاومة ٠ من الناحية المعنوية ، أفهمنا الملك أنها خطة فاشلة وفرضنا عليه أن يحضر الذين كانوا أسرى كطرف مقاتل ٠ ووجود الاخ عرفات بيننا كطرف يمكن أن ينهي الازمة ٠

النميري : ننهي المؤتمر ويستمتع حسين ٠

القذافي : حسين استطاع أن ينفذ الجريمة وهو ينفذ المخطط رجل يضيع الوقت ٠٠ السعودية بعثت له كم مليون ؟ الكويت جمدت المعونة هل هذا يعتبر تأييدا للمقـــاومة ؟ ٠٠ بودى أن أسمع من الملك فيصل بعض ايضاحات ٠

عبد الناصر : الملك فيصل أدان تصفية العمل الفدائي ووافق على نص البرقية ٠

فيصل : أنا أتكلم لاني متهم ٠ نحن خلال هذه الفترة لم ندفع

شيئا . دفعنا قسط ونصف أكتوبر وما تدفعه المملكة هو بناء على قرار مؤتمر القمة فى الخرطوم ونحن من أوائل من ساعد المقاومة منذ ١٩٦٥ أليس كذلك يا أبو عمار ؟
نحن نستقبل حسين . واذا لم توافق المقاومة الى حل مرض نحن نتخذ كل الاجراءات بثقلنا .. وموقفنا يتضح على ضوء النتائج .
أبو عمار : أنا أخشى أن يأتى الى هنا وهو يعتقد أنه فى مركز قوة . نحن لا نجتمع معه كمؤتمر ـ نشكل لجنة للتفاوض معه ـ نتخذ قرارات (ادانة) .

عبد الناصر : مازلت أهدف الى وقف اطلاق النار .. تقييد الملك حسين بوقف اطلاق النار ثم سحب الجيش من عمان وكذلك بالنسبة لقوات الفدائيين . يمكن بعث لجنة من الضباط للمراقبة وقد يقال أن الملك حسين سيأتى ويغدر بنا .. واذا غدر نقطع العلاقات . ونقطع عنه المعونة وندينه .
فيصل : توقيعنا غدا سيكون على ذلك .. اذا لم ينفذ حسين .
عبد الناصر : اذهب الى المطار غدا يرافقنى السيد الباهى الادغم هل هناك من يريد أن يصاحبنا ؟
القذافى : سأغادر القاهرة حال وصول حسين .
عبد الناصر : ما أن يحضر كل رؤساء الوفود أو ننهى المؤتمر الليلة ونعلن القرارات المتفق عليها .
فيصل : لا أوافق على انهاء المؤتمر واصدار القرارات الليلة ولابد من مواصلة السعى .
عرفات : أقترح اجتماع حسين مع لجنة .
الباهى الادغم (الى القذافى) : اذا كنت تعتبر من يحضر متخاذلا فانه يمكن أن يقال فى حقك أنك منفصل .
ابراهيم بكر : موقف العراق والجزائر سلبى . نريد وقف اطلاق النار بصفة دائمة وضمانات دائمة ملزمة لان هذا الملك مخادع ورأينا أن الملك حسين يجىء لان له جيشا مواليا ولذلك يجب أن يقول له كل رئيس وفد ما قاله الرئيس نميرى .

●●●

وحضر الملك حسين .. وتم توقيع اتفاق القاهرة بعد أن هدد عبد الناصر بالانسحاب من المؤتمر .. ازاء مزايدات عرفات والقذافى .. كما شرحت فى مقال سابق .
ومات جمال عبد الناصر بعد أن ودع أمير الكويت فى المطار .
وتسلم أنور السادات أمانة المسئولية فى ظل هذا الموقف العربى العصيب .



بعد ما قاله ياسر عرفات امام الملوك والرؤساء العرب فى سبتمبر ١٩٧٠ عن خيانة الملك حسين ،وعن مطامعه الاجرامية ، وعن مطالبته المؤتمر بمحاكمة حسين كمجرم حرب.. بعد كل هذا .. ياسر عرفات يقبل على الملك حسين مرحبا وفاتحا ذراعيه. وحسين يتقبل هذا الاندفاع براحة وكبرياء . ان الصورة للحليفين الجديدين فى مؤتمر هافانا الذى انعقد اخيرا لكى يتبارى الاثنان فى اتهام مصر بالخيانة :

- المقاومة الفلسطينية تنزف دما .
- دول عربية تريد أن تحارب .. ولكن حتى آخر جندى مصرى .
- دول عربية فى موقف انعزالى عن القاهرة تماما .. ولكن بياناتها عنيفة وملتهبة .
- أمريكا يسيل لعابها للتدخل العسكرى .
- الاتحاد السوفيتى يطالب بتجنب دفع أمريكا الى التدخل العسكرى .
- مصر متهمة بأن قبول مشروع روجرز .. هو الاستسلام .
- وأخيرا الموقف الداخلى فى مصر .

ولكن أنور السادات .. بدأ يفكر منذ اللحظة الاولى فى المعركة، والاعداد الحقيقى الكامل للقتال .

انتهت المذبحة بالتنسيق الكامل .. بين أمريكا وحسين واسرائيل

* كان الجيش العراقي في الاردن يتحرك فقط لكي يبتعد عن الاذى !
* سياسة نيكسون نحو الاتحاد السوفيتي : دعوهم ياتون الينا صاغرين .
* قالت واشنطن لموسكو : يجب ان تنسحب سوريا فورا .
* وانسحبت سوريا فورا بخمسين دبابة بمجرد ظهور لواءين اسرائيليين عند الجولان .
* حسين دمر ١٥٠ دبابة سورية .

● الفصل التاسع ●

انتهت المزبحة بالتنسيق الكامل بين أمريكا وحسين واسرائيل

كتب كسينجر :



الآن .. يمتد القتال من عمــــان الى شمال الاردن أيضا حيث توجد تجمعات فلسطينية فيمدينة أربد. وفى يوم ١٧ سبتمبر عقــــدت اجتمــاعين لمجموعة الاعمال الخاصة فيمجلس الامن القومى الامريكى . وتم ابلاغ دين براون ســــفير الولايات المتحدة فى عمان بأن يعرب للملك حسين عن تعاطف واشنطن مع جهوده وأن يؤكد له انه ـ أى السفير ـ سيتولى ابلاغ أمريكا بسرعة بأية طلبات للمعونة المادية .

وقد أوضحنا لبراون ـ لمعلوماته الخاصة ـ أن الدعم العسكرى الامريكى ضد تدخل خارجى غير مستبعد . وصــــدرت تعليمات لسفارتنا فى اسرائيل بالحصول على تقــــدير الحكومة الاسرائيلية للموقف كما كنا على اتصال بالحكومة البريطانية . ولكننا قررنا عدم اجراء أى اتصال بالاتحاد السوفيتى وقلت فى اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة اننا تحدثنا مع موسكو كثيرا جدا دون أن نتلقى أى اجابة مرضية .. « دعوهم يأتون الينا » وتحدثت فى نفس الموضوع مع نيكسون الذى وافق على توصيات « مجموعة الاعمال الخاصة » .

« يجب أن نحيط أنفسنا بجو من الالغاز .. وألا نقول شيئا » .

● تحركات عسكرية

وفى الوقت الذى كانت فيه نيران الحرب الاهلية مشتعلة فى الاردن .. كان لابد من انتشار سريع للقوات الامريكية بهدف سد الطريق أمام شيء يغرى الآخرين بالتدخل . فقد صدرت الاوامر الى حاملة الطائرات «ساراتوجا» – التى كانت فى مياه مالطة – للانضمام الى الحاملة « اندبندانس » قرب الساحل اللبنانى وبرفقتها طراد و ١٢ مدمرة . وتم ارسال حاملة طائرات ثالثة (جون كيندى) للانضمام الى الاسطول السادس .. وهى تقطع المسافة من بورتوريكو للوصول الى هناك فى تسعة أيام غير أن المخابرات السوفيتية سوف تلاحظ تحركها بالتأكيد . وصدرت الاوامر الى قوة المهام الخاصة البرمائية (١٢٠٠ من مشاة البحرية) التى أنهت للتو مناوراتها العسكرية قرب جزيرة كريت ، بأن تكون فى حالة استعداد على مسافة ٣٦ ساعة من الساحل اللبنانى .. على أن ينضم اليها الطراد « سبرنجفيلد » . وكانت حاملة طائرات الهليكوبتر (جوام) وقوة عمل خاصة مرافقة لها فى الطريق لالتقاط مجموعة أخرى من مشاة البحرية ، وصدرت الاوامر اليهــا بأن تسرع فى حركتها صوب البحر المتوسط .

● شيء من الاثارة !

وناقشت ذلك كله بالتفصيل مع نيكسون الذى كان فى مدينة شيكاغو فى ذلك الوقت . ووافق على كل عمليات الانتشار العسكرى بحماسة فقد كانت هذه التحركات تتلاءم مع نزعته الرومانسية . وقال « المهم انه لا شيء افضل من قليل من المواجهه من وقت الى آخر .. انها تصنع شيئا من الاثارة » واقتنع نيكسون بأن أفضل السبل هو عدم الاعلان الرسمى عن تحركاتنا العســكرية وعدم توجيه تحذيرات .. وفى نفس الوقت وافق على أن نعامل السوفيت من موقع التباعد وبروح من الفتور وفى اجتماع مع محررى صحيفة « شيكاغو صن تايمز » غير مصرح بنشر شيء عنه .. تحدث نيكسون وقال أن الاسرائيليين أو الولايات المتحدة هم الذين يستطيعون وقف تدخل عراقى أو سورى فى الاردن . وأنه يفضل أن تقوم الولايات المتحدة بهذه المهمة . وجرفه الحديث .. فقال انه سيجعل الروس يدفعون غاليا ثمن مغامراتهم بالصواريخ على قناة السويس . وقال أيضا « اننا سنتدخل اذا كان هذا التدخل من شأنه تغيير الموقف » .

ومن الصعب أن يتوقع المرء أن تظل هذه الاخبار المثيرة فى طى

الكتمان . ونشرت الصحيفة نص تصريح نيكسون في أولى طبعاتها . ورغم أن رونالد زيجلر المتحدث باسم نيكسون أصر على القول بأن نيكسون حديثا أدلى به الرئيس ليس للنشر ألا أن هذا التصريح زاد من تأثير كلام نيكسون الذى وجه تهنئة فيما بعد الى الصحفي الذى نشره لمهارته ومعالجته الحريصة للقصة !

● بعيدا عن الاذى

وابلغت نيكسون ان القوات العراقية (١٧ ألف جندى) لا تحرك ساكنا بينما الجيش الاردني يسحق قوات الفدائيين على مقربة منها .

وفي يوم الجمعة ١٨ سبتمبر كان الجيش الاردني يستعيد بخطى منتظمة سيطرته على عمان .. رغم البطء المتزايد في انجاز هذه المهمة فقد لقى الجيش مقاومة عنيدة من جانب الفدائيين في شمال الاردن ايضا حيث أعلن الفلسطينيون في الواقع « منطقة محررة » هناك . وصدرت عن سوريا ـ التى تقع على مسافة عشرة اميال من هناك ـ ضوضاء توحى بالتهديد .

وظل الجيش العراقي ساكنا وكان يحرك نفسه ـ كلما ظهرت الضرورة ـ لكي يبتعد عن طريق الاذى .

ولم يسمع شيء يصدر من عبد الناصر

والتقى نيكسون مع جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل في البيت الابيض في يوم ١٨ سبتمبر ايضا . وجرى الحديث حول طلبات المعونة لاسرائيل والانتهاكات السوفييتية ـ المصرية ـ لوقف اطلاق النار في قناة السويس . واعرب نيكسون ومائير عن اعتقادهما بأن الارجح أن الملك حسين سوف ينتصر وان الازمة في الاردن تكاد تكون قد انتهت . وقال نيكسون انه يأمل في امتناع اسرائيل عن القيام بعمل متهور . وأكدت مائير لنيكسون ان اسرائيل لن تتحرك دون احاطة الولايات المتحدة علما بذلك .. وان اسرائيل لا ترى حاجة لان تتحرك .

● موقف موسكو

وفي نفس يوم ١٨ سبتمبر أصبح واضحا ايضا أن موسكو قد سمعتنا فقد توجه القائم بالاعمال فورنتسوف لمقابلة رودجر ديفيز نائب مساعد وزير الخارجية ليسلمه رسالة من حكومته .

انتهت اللامبالاة السوفييتية ازاء تهمة انتهاك التجميد العسكرى

على القناة واختفت ايضا التعويذة المثيرة للمشاعر حول « أخطار الامبريالية » التي استخدمتها موسكو في الايام السابقة وهي تحث الاطراف على ضبط النفس «حتى تقطع الطريق على الخطر الامبريالي» وبدلا من ذلك اعرب السوفييت عن قلقهم ازاء الموقف الذي يزداد « تعقيدا » في الشرق الاوسط ولا أثر لعبارات اللوم · كما اعربت موسكو عن « الامل » في أن تشاركها الولايات المتحدة الـــرأى بان تمارس جميع الدول « بما في ذلك الدول التي لا تنتمي الى المنطقة » الحكمة والتعقل ·· و (تأمل) ايضا في أن تستخـــــدم الولايات المتحدة نفوذها لدى اسرائيل في هذا الاتجاه · وجاء في الرسالة ايضا ان الاتحاد السوفييتي قام من جانبه بدعوة حكومات الاردن والعراق وسوريا ومصر الى انهاء الحرب الاهلية في الاردن : « اننا نبحث عن وسائل لنقل وجهة نظرنا ايضا الى قيادات الحركة الفلسطينية »· وبذلك يبلغوننا ــ ربما بصدق ــ أن موسكو فقدت اتصالها بالفدائيين وانه لا علاقة لها بتصرفاتهم وخاصة ما يتعلق بالرهائن ·

ولا أثر في الرسالة السوفيتية « للتحذير » من أوخم العواقب رغم أن مثل هذا (التحذير) عنصر رئيسى في الدبلوماسية السوفيتية عندما تكون المخاطرة بتنفيذه ضئيلة ، أو عندما يكون ميزان القوى لصالحها· كذلك لم يأت ذكر اتهام بالتواطؤ الامريكي مع الملك حسين · بل ان الرسالة كانت تتحدث بلهجة تنم عن الاسى وهي تعيد تأكيد أن الحكومة السوفيتية تقف « كما كانت من قبل» الى جانب تسوية لازمة الشرق الاوسط على أساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ · كذلك كان تعليق وكالة تاس السوفيتية الذى يحذرنا من التدخل قد صـــــيغ بعبارات غامضة لابد انها لم تغب عن ملاحظة زبائن الـــكرملين في الشرق الاوسط ·

● البحث عن مخرج

وتأكد اعتقادنا بان السوفييت يتطلعون الى مخرج ·· بعد الحديث الذى دار بين فاسيلى كوزنتسوف نائب وزير الخارجية السوفيتي وجاكوب بيم سفيرنا في موسكو في يوم ١٩ سبتمبر · في ذلك اليوم كان الجيش الاردني يواصل احراز تقدمه البطيء ــ والواضح في نفس الوقت ــ ضد الفدائيين · واعرب كوزنتسوف مرة أخرى عن « الامل » في ألا تكون لدينا نية التدخل في الاردن حيث أن هذا التدخل سيخلق « مصاعب » لجميع الدول التي لها مصـــــالح في المنطقة · وسأل عن الغرض الذى يختفي وراء حشد الاسطول السادس

فى البحر المتوسط · ورد السفير بيم بانه لم يبلغ بشىء عن تحركاتنا العسكرية · وكان هذا الرد صحيحا من ناحية ويساعد من ناحية أخرى على أن يثير فى الاغلب القلق السوفيتى ·

كان اعتقادى دائما ان افضل استراتيجية هى عدم تقديم مايسبب الطمأنينة وانما خلق موقف لا يستطيع فيه الاتحاد السوفيتى أن يخفف من قلقه الا عن طريق حث اصدقائه المتطرفين على الامتناع عن التدخل وكذلك عن طريق وضع نهاية حاسمة للازمة · وهذا ما دعانى الى أن اطلب عدم تقديم اجابة فى الوقت الراهن (عندئذ) وعلى أية حال فقد تركنا السوفيت ننتظر عشرة أيام قبل ان يردوا على مذكرتنا عن الانتهاكات للتجميد العسكرى (فى القناة) ·

والصمت هو افضل موقف وسط بين اعادة الطمأنينة ـ التى يمكن أن تكون هزيمة ذاتية بالنسبة لنا ـ والمغالاة فى التشدد التى يمكن أن تتحول الى موقف استفزازى ·

وبوجه عام فقد كان اعتقادى اننا نقترب من نهاية الازمة التى اعادت قدرا كبيرا من الثقة بالولايات المتحدة · وفى مساء يوم ١٩ سبتمبر اتصلت بالرئيس نيكسون ـ الذى كان فى كامب ديفيد ـ لابلاغه بالرسالة السوفيتية · وقلت له انها توضح انه يوجد تراجع سوفيتى ولكن نكسون · الذى يلزم الحذر دائما من الاخبار الطيبة · أعرب عن شكوكه · وقال انه كلما تطوع السوفيت بخلق جو من الطمأنينة ·· فان حدثا مشئوما لابد أن يقع وكان على حق ·

ففى صباح يوم الاحد ٢٠ سبتمبر قامت الدبابات السورية بغزو الاردن ·

● فى سيارة مدرعة

بعد أن أمر الملك حسين قواته بالدخول الى عمـــان ·· انعزلت السفارة الامريكية عن القصر الملكى وقبل ذلك كان الملك وزيد الرفاعى يتصلان بسفيرنا بين وقت واخر تليفونيا · وكان اللاسلكى يستخدم بصورة متقطعة بين القصر وسفارتنا ولكن الارسال كان مفتوحا مما يجعل فى الامكان التقاطه وبالتالى لا يمكن الاعتماد عليه · وكنا محظوظين لان لدينا · على الطبيعة هناك · دين براون وهو واحد من أقـــدر وأشجع دبلوماسيينا واكثرهم اطلاعا · ومن وقت لآخر كان يذهب لملاقاة الملك والرفاعى فى سيارة مدرعة · وليس هذا هو اسلوب الاتصال

السريع بطبيعة الحال · وكان البريطانيون أكثر حظا فقد كانت سفارتهم اقرب الى القصر ·

اتخذت الدبابات السورية مواقع على مسافة حوالى ٢٥٠ ياردة داخل الاردن · ولما كان الخبر قد جاء من مسئول بريطاني في القاهرة ولم تجد لندن انه من المناسب ابلاغنا مباشرة ·· فاننا لم نعتقد أن الحكومة البريطانية تعلق أهمية كبيرة عليه · وكذلك نحن · ورغم صعوبات الاتصال .فقد تصورنا أن حسين كان سيجد وسيلة لابلاغنا لو انه كان يشعر بقلق شديد من هذا التطور ·

● الملك يتصل تليفونيا

ومع ذلك . ففي الساعة السادسة من صباح يوم ٢٠ سبتمبر اتصل الملك ورفاعي ـ كل على حدة ـ تليفونيا بالسفير دين براون لابلاغه بان الدبابات السورية قامة بهجومين كبيرين على مدينة رمثا الاردنية · ودمر الاردنيون ثلاثين دبابة سورية وارغموا المهاجمين على التقهقر وطلب حسين مساعدة امريكية دون ان يحدد نوعها ·

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل بتوقيت واشنطن كان الرفاعي أكثر تحديدا · فقد طلب باسم الملك أن تقوم الولايات المتحدة بعمليات استطلاع لمعرفة ما اذا كان السوريون ينقلون قوات اضافية في اتجاه الاردن · وفي ذلك الوقت عبر لواءان مدرعان سوريان جديدان الحدود الى الاردن وشنا هجوما على جبهة أوسع · ولم نستطيع التاكد من ذلك الا بعد بضع ساعات ·

● ساعة الخطر

لم يكن عندي شك في ضرورة مواجهة التحدى · وبعد تشاور بين روجرز وسيسكو وبيني وضعنا معا صيغة بيان صدر باسم روجرز ويطالب بلهجة قاطعة بالانسحاب الفورى للقوات السورية ويحذر من الاخطار الناجمة عن توسيع نطاق النزاع · وسلم سيسكو الى القائم بالاعمال السوفيتي رسالة جاء فيها :

فى هذه اللحظة يتفاقم الموقف بشدةوعلى نحو أكثرخطورة بدخول قوات مدرعة من سوريا الى الاراضى الاردنية وحشد المزيد من القوات الهجومية في سوريا على الحدود الاردنية · وقد أدانت الحكومة الامريكية هذا التدخل فى الاردن ودعت الى الانسحاب الفورى لقوات الغزو · واذا لم يوقف على الفور هذا التصرف غير المسئول والذى

لا يمكن احتماله من جانب سوريا فانه يمكن أن يؤدي الى توسيع نطاق النزاع الحالي . وحكومة الولايات المتحـــدة تدعو الحكومة السوفيتية الى أن توضح لحكومة سوريا الاخطـار الجسيمة التي تترتب على تصرفها الراهن والحاجة الى سحب قواتها دون تاخير من الاراضي الاردنية والامتناع عن أي تدخل اخر في الاردن .

والحكومة السوفيتية لا يمكن أن تكون على غير علم بالعواقب الوخيمة التي يمكن ان يسفر عنها توسيع نطاق النزاع . وتحث حكومة الولايات المتحدة من جانبها جميع الاطراف الاخرى في المنطقة على ضبط النفس . .

● حشود غير سرية

وفي مساء نفس اليوم أوصيت ـ ووافق نيكسون من كامب ديفيد ـ باعادة اللواء المحمول جوا الموجود في المانيا الى موقعه في قاعدة الاقلاع وكان قد سمح له بالتحرك في ١٨ سبتمبر عندما بدا ان الازمة قد هدأت . وصدر الامر الى احدى الكتائب بالاستعداد لعملية نزال من الجو . وطلبنا من سفارتنا في بون أبلاغ الحكومة الالمانية بتحرك اللواء المحمول جوا . وفسرنا هذا الطلب بضرورة العمل بسرعة والتأهب على أعلى مستوى لاجلاء الامريكيين من عمان .. وصدرت التعليمات بأن يتحرك اللواء علنا وبدون احتياطات أمن . فقد كنا نريد أن تلاحظ المخابرات السوفيتية حركته بسرعة .. والاحتمال الاكبر أن تنقل الحكومة الالمانية لحكومات أوربية صديقة أنباء تحركاتنا . وأبلغنا سفيرنا دين براون بأن ينقل الى الملك حسين صورة من البيانات التي أصدرناها ومذكرتنا للسوفيت وبأن يبلغه بأن التدخل الامريكي مستبعد .

واســـتمر تخطيطنا على أســـاس افتراض احتمـال رد فعل عسكري امريكي او اسرائيلي . واتفق الجميع في حكومتنا على أن أي رد فعل عسكري أمريكي يجب الا يتم في وقت واحد مع رد فعل عسكري اسرائيلي ويسري نفس الموقف على رد الفعل الاسرائيلي .

● شريط الاحداث

ومن أجل أصدار توصـية نهائية للرئيس نيكســون دعوت الى اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة في الساعة السابعة من مساء يوم ٢٠ سبتمبر ومنذ ذلك التاريخ حتى اجتماع مجلس الامن القومي في صباح اليوم التالي .. أتخذت الازمة بالنسبة لنا في واشنطن شكل

اجتماعات لا تكاد تنقطع ومحادثات تليفونية لا تكاد تتوقف . وفيما يلي مسلسل أحداث تلك الليلة ساعة بساعة .

من الساعة ١٠ر٧ حتى ٥٠ر٧ عقد اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة فى (غرفة المواقف) فى (بدروم) البيت الابيض لبحث خطط الطوارى، مرة أخرى . وتقرر ارسال اثنين من مستشفيات الميدان العسكرية استجابة لطلب الملك المساعدة . ودارت مناقشات بيروقراطية حول تفاهات : هل سترسل المستشفى كمساهمة أمريكية أم وفقا لمعونة متعددة الاطراف ؟

● **مصاعب العملية**

وتأكد اقتناعنا من خلال المناقشة بان قواتنا موزعة على أفضل صورة للتصدى لتدخل سوفيتى فى العمليات العسكرية الاسرائيلية .. ولكى تزداد فاعليتنا يجب أن نشرك كل الاحتياطى الاستراتيجى لدينا وبذلك نكون قد اقتربنا من نقطة الخطر فى ميدانين للقتال متباعدين ومكشوفين أمام أى طارىء جديد .

وسوف تتوجه قواتنا الى الشرق الاوسط بدون معدات ثقيلة .. وبدعم جوى فقط من حاملات الطائرات . وخط الامدادات البرى الوحيد لدينا .. عبر اسرائيل . واذا واجهنا مصاعب فان علينا أن ندعو اسرائيل للمساعدة . واذا خرج الموقف في الاردن عن الطريق المرسوم فان العلاج الوحيد هوضربة جوية مكثفة لسوريا.. وأفضل من يقوم بهذه العملية .. اسرائيل .

وفى الساعة السابعة والنصف عاد نيكسون من كامب ديفيد واستدعانى الى مكتبه . وتحول الرئيس الامريكى عن موقفه السابق واكتشفت انه غير رأيه قبل اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة الاخير . وابلغنى انه اذا كان ثمة رد فعل عسكرى فانه يجب الانقوم به نحن

ومن الساعة الثامنة حتى الثامنة والدقيقة العشرين أجتمع نيكسون مع كبار أعضاء مجموعة الاعمال الخاصة . وقال لهم أن مهمتهم هى انقاذ الملك من أى تدخل خارجى .

● **نجدة عاجلة**

وفى الساعة الثامنة والدقيقة العشرين .. وصلت الانباء عن طريق السفير البريطانى فى عمان بانه نظرا لتدهور الموقف فىالاردن

فان الملك يطلب مســاعدته عن طـريق شن غارات جـوية فورا على خصومه وفي الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ عدت للانضمام الى اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة الذى استمر حتى التاسعة والربع . وقد عززت البرقية التى جاءت عن الطريق البريطانى الاجراءات التى تفضل الوقوف جانبا وترك اسرائيل تتحرك . ولم تكن تحت أيدينا معلومات كافية من المخابرات أو معلومات عن الاهداف وبالتالى لا نستطيع الاستجابة بسرعة لالتماس الملك باستخدام القوات الامريكية وفى نفس الوقت .. فان على الولايات المتحدة . لكى تقف عائقا أمام تدخل سـوفيتى . ان تزيد من سرعة استعداداتها .. وترفع مستوى قدرتها على القيام بعمليات جوية فى حالة ما اذا اتضح أن الاسرائيليين اقل رغبة فى العمل مما توقعنا .

● توصيات هامة

ووافقت مجموعة الاعمال الخاصه لواشنطن على تقديم التوصيات التالية للرئيس نيكسون :

- ● تحسين حالة تأهب اللواء المحمول جوا فى المانيا بدرجة أكبر
- ● وضع الفرقة ٨٢ المحمولة جوا فى حالة تأهب كامل

(ولا شك أن المعلومات المتعلقة بهذه الخطوة سوف تتسرب مما يرغم موسكو ودمشق على اتخاذ قرار سريع)

● قيام طائرة استطلاع من حاملة طائرات الى مطار تل أبيب لالتقاط معلومات عن الاهداف التى تضرب من الجو فى الاردن (.. ومما لا شك فيه أن أجهزة الرادار السوفيتية والمصرية سوف تكتشف هذا التحرك مما يعنى ان العمل العسكرى الامريكى يقترب) .

وبعبارة أخرى . فاننا سندعم الاحساس بان تدخلا أمريكيا و اسرائيليا أصبح يلوح فى الافق .

● نيكسون يلعب

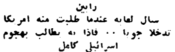
وفى حوالى التاسعة والدقيقة ٢٧ . طلبت سيسكو لكى ينوحه معى الى الرئيس لابلاغه بتوصيات مجموعة الاعمال الخاصة . ولما كان سيسكو هو المسئول الذى يجمع فى يده كل الحلقات المترابطة لحركة مرور البرقيات .. فانه لابد أن يفهم بالتفصيل التفكير السائد فى البيت الابيض وان يستوعب الصورة بكل ظلالها . ولابد من احاطة روجرز علما بكل التطورات وقد قرر روجرز أن يجلس الى جانب التليفون فى بيته فى انتظار التطورات .





ابا ايبان

اراد ١٠٠٪ لاسرائيل ..



رابين
سأل لعابه عندما طلبت منه امريكا تدخلا جويا .. فاذا به يطالب بهجوم اسرائيلي كامل

وفي البداية كان علينا أن نعثر على الرئيس نيكسون الذي علمنا انه قرر ان يذهب ليمارس لعبة البولنج . واستطعنا بمساعدة رجال البوليس السري ان نهتدي أثره الى ممشى معتم طويل ذي ارضية خشبية ناعمة لعبة البولنج تقع في بدروم مبنى المكتب الملحق بالبيت الابيض ..

استمع نيكسون الى تقريرنا في هدوء ووافق على التوصيات بينما كان يمسك في يده بطريقة غير لائقة كرة البولنج في أحدى يديه . وكانت هذه هي أحدى المناسبات القليلة التي أرى فيها نيكسون بدون سترة او ربطة عنق . وقال ان النجاح ضروري وانه مصمم على وقف الهجوم السوري . ووافق على أننا في حاجة عاجلة للاتصال بالسفير الاسرائيلي وابلغته بانني ساطلب رابين .

● مكالمة مع رابين

وفي حوالى الساعة العاشرة ليلا .. عدت الى مكتبي في البيت الابيض وطلبت الاتصال برابين الذي اتضح انه يحضر مأدبة عشاء في نيويورك لتكريم جولدا مائير . وكان لابد من استدعائه من قاعة المأدبة الى مكان آمن .. ورغم ذلك فقد كنت اسمع خلال المكالمة ضجيج الاصوات من بعيد .. وبعد ان ابلغت رابين ان سيسكو أيضا معنا على الخط . سألته عن المعلومات المتوافرة لدى اسرائيل عن التحركات السورية . وقال رابين ان تقديرات اسرائيل تشير الى

وجود حوالى ٢٠٠ دبابة سورية فى منطقة اربد (شمال الاردن) .
وأبلغت رابين بأننا تلقينا طلبا بالمساعدة ولكن لا توجد لدينا معلومات سرية .. فهل تستطيع اسرائيل القيام بعملية استطلاعية عند طلوع فجر اليوم التالى (أى بعد ثلاث ساعات فقط بتوقيت الشرق الاوسط) وان تبلغنا بتقديرها للموقف ؟

وسألنى رابين ـ الذى لم يكن أحد يستطيع خداعه ـ عما اذا كنا سننظر نظرة ايجابية الى ضربة جوية اسرائيلية اذا كشفت معلومات المخابرات عن زحف سورى كبير . وكان ردى أننا نفضل أبداء هذا الرأى بعد تحليل نتائج عملية الاستطلاع .

كنت لا أزال اتفاوض معه عندما تسلمت برقية عاجلة من الملك ، وهى موجهة فى هذه المرة لنا .. مباشرة . وقلت لرابين اننى سأعاود الاتصال به بعد وقت قصير .

● تدهور فى الموقف

وصلت برقيه الملك عن طريق التليفون لسفرنا فى عمان قبل ساعتين . وأشارت البرقية الى احتلال مدينة أربد .

ويرى الملك ان القيام بضربات جوية مسألة حتمية ..وقد يطلب فى القريب العاجل قوات برية ايضا .. وطلب حسين منا فى هذه المرة ابلاغ بريطانيا بطلب مساعدته .

وفى الساعة العاشرة والنصف ، اتصلت أنا وسيسكو بروجرز من مكتبى وابلغناه بالمحادثة مع رابين وبالبرقية الجديدة اليائسة من الملك . وكان الرأى الذى نميل اليه هو تقديم توصية الى الرئيس نيكسون بتأييد قيام اسرائيل بضربة جوية . ووافق روجرز على أنه لا مفر أمامنا من سلوك هذا السبيل .
وفى الساعة العاشرة والدقيقة ١٢ كنا ـ أنا وسيسكو ـ نعود الى ملعب البولنج . وفى هذه المرة تعرفنا على الطريق اليه : لم يقع بصرى على هذا الملعب مرة أخرى منذ تلك الليلة المشئومة وأبلغنا الرئيس نيكسون بطلب الملك وبالرأى الذى أجمع عليه كبار مستشاريه . ووافق على توصياتنا ومنحنا تفويض الاتصال برابين

● موافقة على الهجوم

وفى الساعة العاشرة والدقيقة ٢٥ عاودت الاتصال برابين . وكان سيسكو معى على الخط .

واكتمل وضع الخطة فى نفس اللحظة التى فرغ فيها نيكسون من لعبة البولنج وجاء الى مكتبى ٠

و بلغت رابين بالمعلومات التى تلقيناها من الاردن دون أن اذكر له مصدرها ٠ وقلت له ـ بعد مناقشة مع الرئيس نيكسون وسيسكو أنه اذ أكدت عملية الاستطلاع الاسرائيلية ما سبق ذكره لى ٠٠ فاننا نوافق على هجوم جوى اسرائيلى وسنعوض الخسائر المادية وسنبذل كل ما نستطيع لمنع تدخل سوفيتى ٠ وكرر رابين بحرص ما قلته له لكى يتأكد من أنه فهم ما اريده ٠ وقال انه سيتشاور مع رئيسة الوزراء ٠

وفى الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ دعوت مجموعة الاعمال الخاصة مرة أخرى عند منتصف الليل فى ضوء احتمال تحرك اسرائيل أثناء الليل ٠ وطلبت من هيئة مكتبى اعداد كل المعلومات اللازمة ثم ابلغت السفير البريطانى فى واشنطن ببرقية الملك ٠

● صراخ فى التليفون !

وفى الحادية عشرة والدقيقة ١٥ اتصلت بسكرتير أدوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا وطلبت منه أن يقرأ له برقية الملك ٠ جرى الاتصال على الخط التليفونى السرى ٠ ولكن نيكسون الذى كان يجلس معى (للدردشة) فى الوقت المتاح بين المكالمات التليفونية طلب منى الكف عن أستخدام التليفون السرى قال انه لا داعى لذلك طالما ان المارة فى شارع بنسلفانيا يستطيعون أن يسمعونى وانا أصرخ فى التليفون !

وفى الحادية عشرة والنصف ٠٠ اتصل بى رابين لابلاغى برد جولدا مائير ٠ قال ان اسرائيل ستقوم بعملية استطلاع جوية مع الشعاع الاول للفجر ٠٠ وان الموقف حول مدينة « اربد » يدعو للاكتئاب ٠٠ وان القادة العسكريين الاسرائيليين ليسوا مقتنعين بأن العمليات الجوية ستكون كافية ٠٠ وستنقل اسرائيل الى واشنطن تقديرها للموقف بعد دراسة نتائج الاستطلاع الجوى ٠٠ ولكنها لن تتخذ أية خطوة قبل أجراء مشاورات أخرى معنا ٠

● ايقاظ نيكسون من النوم

وفى اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة عند منتصف الليل ٠٠ جرت مناقشة حول ما يجب عمله اذا قامت اسرائيل بضربتها خلال الاربع والعشرين ساعة التالية ٠

وطلبت القيام بدراسات عاجلة أثناء الليل حول أربعة موضوعات خطط طوارئ في حالة تحركات سوفيتية محتملة - صفقات مساعدة لاسرائيل والاردن لتعويض الخسائر - سيناريو لشرح الموقف أمام الكونجرس - خطة دبلوماسية لاطلاع الحلفاء وحث السوفيت على البقاء بعيدا عن الاحداث .

وفي الواحدة صباحا . أتصلت بنيكسون لتقديم تقرير عن اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة . وسخر عندما قلت له أن وزارة الدفاع الامريكية تخشى من هجمات جوية سوفيتية على اسرائيل كاجراء انتقامى . قال : « لا أصدق ذلك »

وفي الخامسة والربع صباحا .. علمت أن اسحاق رابين أجرى اتصالا لابلاغنا بان الاسرائيليين يعتبرون الضربات الجوية غير كافية وانه لابد من تحرك برى .

وفي الخامسة والدقيقة ٢٥ صباحا .. أيقظت نيكسون من نومه لابلاغه بموقف اسرائيل . واقترحت عليه أن يؤجل اتخاذ قرار وأن يدعو كبار مستشاريه الى اجتماع في السابعة والنصف صباحا . ولكن نيكسون كان يرى ان تحركا اسرائيليا بريا سيثير جدلا خطيرا

وقال انه سيتخذ قراره في نفس اللحظة . وقال « أبلغ رابين بالموافقة »

● روجرز يتحفظ

ولم أكن لادع الرئيس نيكسون يخاطر بمواجهة كبرى مع الاتحاد السوفيتي دون التشاور مع كبار مستشاريه خاصة وأن روجـــرز لايشترك في ابداء الرأي في هذا الموقف - ان تحـــركا اسرائيليـــا بريا يمكن ان يفجر حربا في الشرق الاوسط . واتصلت بروجرز الذي أبدى تحفظات جدية في الوقت الذي وافق فيه ســـيسكو على التحرك البري الاسرائيلي .

وكان موقف ملفين ليرد وزير الدفاع غامضا .

وعلى كل حال فان اسرائيل تحتاج الى ٤٨ ساعة لتعبئة قواتها في حالة تحرك برى ثم أن هنـــاك خلافات بيننا في واشنطن حـــول هذه النقطة .. فلماذا العجلة في اتخاذ قرار ؟

واذا صمد الملك بينما تمارس ضغوط على سوريا يمكن تصعيدها الى الحد الذي يجعل الازمة تحل نفسها بدون حرب .. فأننا سنجد

الفرصة لالتقاط الانفاس . كما ان عبد الناصر يمكن ان يضغط في اتجاه إنهاء العمليات حتى لا يواجه نفس الورطة المستحيلة التى أدت الى كارثة ١٩٦٧

● تعبئة في هدوء

وفي اجتماع مجلس الامن القومي في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ يوم الاثنين .. قرر نيكسون في النهاية أن يقوم سيسكو بابلاغ اسرائيل بأن الولايات المتحدة توافق على عملية برية من حيث المبدأ على أن تخضع هذه الموافقة لوجهة نظر الملك وللتشاور السابق مع واشنطن قبل القرار النهائي .

وبدأت بالفعل عملية التعبئة العسكرية في اسرائيل بهدوء واذا أضيف هذا الاجراء الى الانتشار العسكرى الذى قامت به الولايات المتحدة .. فان ذلك يمكن ان يخلق الاثر والواقع اللذين نريدهما من وراء هذا التهديد .

ولحسن الحظ ان اسرائيل كان لها تقديرها الخاص للموقف مما دفعها الى تعبئة قواتها دون ان تطلب منا ردا نهائيا . وفي تلك الاثناء تحرك لواءان اسرائيليان الى مرتفعات الجولان مما جعل جناح القوات السورية في الاردن يشعر انه مهدد .

● موقف معتدل

وفي نفس اليوم (الاثنين) جاء الرد السوفيتي على رسالتنا التي كانت تطالب بالانسحاب السورى الفورى وكانت سرعة الرد (٢٤ ساعة) بالمقارنة بالتأخير في الرد الذى كان يستغرق أسبوعا توضح مدى قلق الكرملين .

ومما يلفت النظر ان لهجة الرد كانت معتدلة .. اذا نظرنا اليها في ضوء تحركاتنا العسكرية المكشوفة فقد أشارت الحكومة السوفيتية الى انه يبدو أننا نشاركها قلقها ازاء تفاقم الموقف في الاردن .. واننا نحن أيضا نعتبر التدخل في شئون الاردن من جانب دول أخرى .. أمرا غير مقبول .

وهكذا اتخذ السوفيت موقفهم ضد التدخل السورى واعرب السوفيت عن الامل في أن نحث نحن أيضا اسرائيل على ان تسلك نفس الاسلوب ولم تدع الرسالة السوفيتية مجالا للشك في أن الاتحاد السوفيتي يلح على سوريا لكى تنسحب . فقد أضافت

الرســالة ان الحكومة السوفيتية تتمسك بنفس الخط « الموقف » فى اتصالاتها مع حكومة سوريا ٠

وفى الاربع والعشرين ساعة التالية تحول الموقف الى شىء مختلف تماما ٠٠

وقد تشجع الاردنيون من عدم اشتراك السلاح الجوى السورى الذى كان تحت قيادة ضابط أسمه حافظ الاسد فى القتال بل ظل بعيدا عنه ٠ وبدأ الاردنيون يهاجمون الدبابات السورية من الجو حول مدينة أربد ٠ واشارت التقديرات الى أن سوريا خسرت ١٢٠ دبابة ٠

أما القوات العراقية التى كانت المصدر الرئيسى للقلق لدينا فانها ظلت بلا حراك ٠ وقامت مصر بابلاغنا بان السوفيت بذلوا جهدا جادا لكى تعيد سوريا النظر فى موقفها فى الاردن ٠

وابلغنا اسرائيل بانها اذا قامت بتحرك برى فسوف يقتصر على الاردن وانها لن تهاجم سوريا ٠

● فى البعثة المصرية

وعلى خلاف عاداتى ـ الامتناع عن حضور اى حفلات دبلوماســيةـ قررت أن أحضر حفلا فى البعثة المصرية فى مساء يوم ٢٢ سبتمبر لكى اوضح أن سياستنا ليست معادية للعرب ٠

وهناك استوقفنى القائم بالاعمال السوفيتى لكى يســالنى امام عــدد كبير من الضــيوف عن السبب فى أننا لم نرد على المذكــرة السوفيتية التى وصلتنا فى اليوم السابق وقلت له انه ليس لدينا جــديد نقــوله وان على القوات الســورية أن تنســحب ٠ وسالنى الدبلوماسى السوفيتى عما اذا كنا ســنعتبر توقف الســوريين فى أماكنهم ـ حيث هم ـ كافيا ٠٠ ولكننى صممت على عودة هذه القوات الى سوريا

● وانتهت الازمة

وفى يوم ٢٣ سبتمبر طلبنا زيادة عدد قواتنا فى البحر المتوسط رغم ان الانسحاب السورى أصبح محتملا ٠ وهكذا توجهت أربع مدمرات أخرى من الولايات المتحدة الى البحر المتوسط ٠ واجتازت غواصتان هجوميتان مضيق جبل طارق الى نفس المنطقة ٠

وطلب نيكسون من سيسكو ان يؤكد على اسرائيل أنها يجب الا تقدم على أى تصرف دون تشاور معنا ٠

وتوضح مفكرتى ان الرئيس نيكسون ٠٠ وانا التقينا خمس مرات على انفراد بين الساعة التاسعة والنصف صباحا - حيث اجتمع مجلس الامن القومى - فى الثانية والدقيقة الخمسين من بعد ظهر ذلك اليوم - ٢٣ سبتمبر - وهى اللحظة التى وصلتنا فيها أنباء مؤكدة عن انسحاب الدبابات السورية من الاردن ٠

وفى اليوم التالى - ٢٤ سبتمبر - ظهر الى الوجود مرة أخرى السفير السوفيتى فى واشنطن دوبرينين ليؤكد لى أن الاتحاد السوفيتى لم يكن على علم بخطة الغزو السورى للاردن ٠ بل وأكد لى ان المستشارين السوفيت تركوا الوحدات السورية قبل أن تعبر هذه الوحدات العسكرية الحدود !

وفى نفس اليوم وجهنا رسالة الى اسرائيل لابلاغها بالانسحاب السورى ولتقدير موقفها باعتبار انه ساهم فى التوصل الى هذه النتيجة ولالغاء كل ما سبق الاتفاق عليه معها حول التحركات العسكرية ٠

وانتهت الازمة الاردنية ٠

• تعليق على
الفصل العاشر

السادات كان عارفاً بمؤامرة موسكو وهذه هي الأدلة

فى هذه الصفحات ـ عن اتفاق الوفاق بين أمريكا وروسيا ـ التى ننشرها فى هذا الفصل ٠٠ والنص الذى يليه ، نقلا عن الاحداث الهامة التى سجلها كسينجر فى كتابه ٠٠ فى هذه الصفحات يبدو واضحا كم كان كسينجر قاسيا فى وصف الهوان السوفيتى، والضعف والتراجع ٠٠ بل التوسل من زعماء الاتحاد السوفيتى ، للرئيس الامريكى نيكسون ـ فى مؤتمر القمة الذى عقد فى ٢١ مايو ١٩٧٢ بموسكو ـ أن يسمح لهم بأن يزور « بودجورنى » فيتنام الشمالية ـ لخدمة المطالب الامريكية ـ بضعة أيام ٠٠ يتوقف فيها القصف الامريكى لفيتنام الشمالية ٠٠ ولكن نيكسون يرد فى عجرفة وحدة ٠٠ (لقد طال النقاش عن فيتنام ٠ وهذا يكفى ٠ نوافق على عدم القصف فى هانوى فقط وميناء هايفونج ، أما فى باقى فيتنام فنحن أحرار ٠٠ » ثم حذرهم فى لهجة متعالية ساخرة : ولكن بشرط ألا تستمر زيارة بودجورنى ثلاثة أشهر !٠

ثم يصف كسينجر هذه المناقشة ـ عن فيتنام ـ التى جرت بين زعماء الاتحاد السوفيتى (بريجنيف ـ بودجورنى ـ كوسيجين)

وبين نيكسون .. انها كانت عبارة عن مناقشة وهمية .. لانها تمت مفاجئة للوفد الامريكي ، بناء على اقتراح لنيكسون أن يقضي مع الزعماء السوفيت بعض الوقت فى بيت ريفى .. وكل ذلك بعد أن تمت مباحثات الوفاق السوفيتي الامريكي .. وتم توقيع اتفاق (سولت ـ ١) للحد من الاسلحة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفيتي .. والاتفاق على بيان «الاسترخاء العسكرى» فى الشرق الاوسط وتجميد الاوضاع ..

فقد كان واضحا لدى الاتحاد السوفيتي ، ان امريكا لن توقع اتفاق (سولت ـ ١) الا بشرطين لاجدل حولهما من الاتحاد السوفيتي ..

الاول : هو المساعدة السوفيتية لامريكا لايجاد حل سلمى فى فيتنام ..

والثانى : هو « ضبط النفس » فى الشرق الاوسط ..

وتعبير « ضبط النفس » .. تعبير خبيث من كسينجر .. لان تفسيره هو تجميد الوضع فى الشرق الاوسط ..

● طوال اربع سنوات

وكل ذلك تم الاتفاق عليه بين موسكو وواشنطون .. طوال ٣ سنوات من الاصرار الامريكي .. انتهت بالاستسلام السوفيتي الكامل ، لشروط امريكا .. بالنسبة للوضع فى فيتنام .. وبالنسبة للوضع في الشرق الاوسط .. وبعد ذلك وافق نيكسون على عقد مؤتمر القمة فى ٢١ مايو ١٩٧٢ .. بعد ان كان الخبراء من الجانبين قد وضعوا اللمسات الاخيرة لاتفاق سولت .. ولم يبق الا اجتماع زعماء البلدين للتوقيع .. والدردشة !

واذا كان الاتحاد السوفيتي قد باع فيتنام الشمالية فى اجتماع قمة موسكو .. حتى كان كوسيجين يقسم امام كسينجر بان الاتحاد السوفيتي لم يرسل ولن يرسل أسلحة الى فيتنام .. وأن السفن السوفيتية لاتحمل الا الطعام والدواء ..

.. فان الاتحاد السوفيتي قد باع ـ قبل فيتنام ـ مصر والامة العربية كلها ، فى كل آمالها بالوصول الى تسوية سلمية مشرفة ، تنص على الانسحاب الكامل ، وحل القضية الفلسطينية .. أو في أن يحصل على اسلحة سوفيتية ـ مقابل انتاجنا الصناعى بالعملة الصعبة ـ تضعنا خطوتين أو ثلاثا الى الوراء أمام السلاح الامريكى الذى يتدفق علنا واستفزازا الى اسرائيل ، ومجانا .. لا أن نكون متخلفين عن التسليح الاسرائيلي عشرين خطوة .. وذلك حتى



كان السادات يحترق فى داخله ..كان يعانى من المؤامرة السوفيتية مع امريكا .. على حساب بيع مصر والامةالعربية .. ولكنه كظم غيظه ..ودافع عن الاتحاد السوفيتى .. وزار زعماءالكرملين المرة بعد المرة .. وكل ذلك من اجل ان يضمن سلاحا للمعركة ..ولكنهم روغوه .. ووضعوا كل العوائق التى تمنعه من التفكير فىالحرب .. وتركوا مصر ضحية حالة اللاحرب واللاسلم .. لانها لن تقبل الاستسلام فى تسوية وهى فى موقف الضعف .. ولكن الرجل استطاع انينتصر على المؤامرة .. وكانت حرب اكتوبر ..

لاتثبت أقدامأسرائيل فى الارض المصرية والعربية بقوة السلاح الامريكى الذى لانملك ما نقاومه به .. أو حتى تخضع اسرائيل لاسلوب تسوية سلام .. لا تسوية استسلام من جانبنا ونحن فى الموقف العسكرى الضعيف .

الاتحاد السوفيتى باعنا — مقابل اتفاق الوفاق الامريكى السوفيتى — ودليل ذلك ما أورده كسينجر ساخرا هازئا بالتراجع السوفيتى الكامل .. مع اثارة دردشة يتحدثون فيها بتطرف .. بغير أى التزام أمريكى أمامهم .. وهذه الدردشة مخصصة فقط ، لارسال محاضرها أو خلاصتها الى هانوى (عن فيتنام) والى القاهرة عن مصر والامة العربية .. والمنطق السوفيتى كان يتصور أنه قادر علىخديعتنا بهذا الاسلوب الذىيعنى أفهامنا أنهم بذلوا المستحيل.. وتشددوا .. ولكن الامبريالية الامريكية لاتزال سادرة فى غيها !

هذه الامبريالية التى وقعوا معها اتفاق (سولت - ١) الوفاق .. بشرط التراجع السوفيتى الكامل عن موقفه من فيتنام والشرق الاوسط .

● مشكلة عابرة !

ولكن مشكلة الشرق الاوسط ، لم تجىء الا عابرة .. أى « على الهامش » .. فى المناقشات الجانبية .. أما البيان المشترك الذى صدر من أمريكا والاتحاد السوفيتى عن أزمة الشرق الاوسط .. فهو العجب العجاب . وعلى حد تعبير كسينجر .. بعد أن وقعنا اتفاق سولت .. لم يكن هناك .. توتر سوفيتى أو جهد أمريكى فى المشاكل الاخرى !

المناقشة الوحيدة التى جرت عن الشرق الاوســـط بعد توقيع (سولت) فى المساء .. هى تعهد من الاتحاد السوفيتى بأنهم لن يهزوا الزورق فى الشرق الاوسط . وأنهم يقرون استمرار التشبث الامريكى ، بأن يبقى الشرق الاوسط « فوق الثلج » .. أى تجميد المشكلة .. الى أن يتقدم السوفيت بحل وسط .. كان ذلك فى أواخر مايو ١٩٧٢ .. ثم الاتفاق على حديث آخر فى نهاية السنة (ديسمبر) بين جروميكو وكسينجر .

● البيان المسطح

وفى ليلة مغادرة نيكسون للاتحاد السوفيتى ..اجتمع كسينجر مع جروميكو لوضع بيان بمبادىء التسوية فى الشرق الاوســـط ..وتجاهل جروميكو - عن عمد - أن كسينجر يريد اضاعة الوقت مظهرا عدم الاهتمام .. أو عدم الفهم الصحيح لكلمات جروميكـو .. وكسينجر مقتنع انه يتحدث مع جروميكو المورط .. « ورطة لافكاك منها أحكمها الامريكيون جيدا » .. لانه لاتسوية سلام من غير أمريكـا .. واذا دخل « زبائن السوفيت » - يقصـد مصر - الحرب .. فسوف يخسرونها .

فلا موافقة من أمريكا ، على أى تصرف سوفيتى الا اذا كان خدمة للاهداف الامريكية وهو المحافظة على الامر الواقع . وهـذا . نص كلمات كسينجر .. وخضع السوفيت . وســـعى جروميكـو الى تسجيل فقرة عن أن الطرفين يؤيدان قرار مجلس الامن ٢٤٢ .. ويقول كسينجر أن هذه فقرة لا معنى لها .. فالقرار قائم منذ ٦٧ .. ولم يطبق . ولن يطبق الا بارادة أمريكا ..

ثم نص البيان على أن الطرفين يدعوان الى «الاسترخاء العسكرى» فى المنطقة .. « والتسوية السلمية » .. وأهمية التعاون « البناء »

من كل الاطراف مع يارنج (مشروع روجرز) .. حتى يعود الموقف الى طبيعته فى الشرق الاوسط .. وتحدث خطوات أخرى لمزيد من الاسترخاء العسكرى الكامل !

والح جروميكو على الاتفاق على مبادىء التسوية .. ولكنه لم يمارس أى ضغط « خفيف » على كسينجر .. مما اتضح معه تماما لكسينجر ان السوفيت لا يريدون أزمة فى الشرق الاوسط .. ومعنى ذلك أنهم لن يعطوا مصر فرصة للقتال .. أى أنهم لن يزودوها بالاسلحة التى تعطيهم هذه الفرصة . وهذا ما يريده كسينجر تماما . وهذا مانفذه السوفيت بالحرف الواحد ..وتركوا مصر فى حالة اللاحرب - لانها عاجزة عن الحرب بغير السلاح - وفى حالة اللاسلم .. لان التسوية السلمية فى يد أمريكا وحدها القادرة على الضغط على اسرائيل .

ويقول كسينجر ان نتيجة ذلك كله كان اتفاقا مبدئيا حول عدد من المبادىء التى لم تتجاوز أطار قررات الامم المتحدة التى سبق صدورها ، والتى كانت غامضة تترك مجالا واسعا للمفاوضة ! وهى سبعة مبادىء :

● **المبدأ الاساسى حماية اسرائيل**

١ - الاتفاقية شاملة ، تنفذ على مراحل ، ولا تستبعد أن تحل بعض القضايا والمنازعات وفقا لقاعدة الاولوية .

٢ - الانسحاب من « أراض » عربية احتلت ٦٧ ، وهو نص قرار مجلس الامن الذى تفسره مصر على أنه انسحاب كامل ، وتفسره أسرائيل على أنه انسحاب جزئى فقط . أى أنه لاتطور فى الموقف .

٣ - التعديلات فى الحدود تتم باتفاق الاطراف المعنية اختياريا ..أى انه تسليم من الاتحاد السوفيتى بتعديل الحدود العربية!

٤ - تقديم كل الضمانات الدولية للامن ..مناطق منزوعة السلاح .. قوات أمم متحدة فى شرم الشيخ ..

٥ - الاتفاقية تعنى السلام .. لا مجرد انهاء حالة الحرب .

٦ - ضمان حرية الملاحة فى تيران وقناة السويس .

٧ - المبدأ الاساسى فى أى تسوية هو الاعتراف باستقلال وسيادة جميع دول الشرق الاوسط بما فيها اسرائيل . أى الاعتراف الكامل باسرائيل .

أما بالنسبة لفلسطين فقد سجل السوفيت موقفا انفراديا خطيرا جدا ٠٠ وهو أنهم أرفقوا بهذه المبادىء — من جانب واحد — وهو أنه يجب أن تحل مشكلة « اللاجئين » الفلسطينيين ٠٠ على أساس عادل وفقا لقرارات الامم المتحدة !

ويقول كسينجر ان النتيجة العملية لكل ذلك ، كانت تأكيد حالة الجمود والاسترخاء العسكرى الكامل ٠٠ بل أنهم اتفقوا على أن السفير دوبرينين سوف يتابع الحديث بعد ذلك مع كسينجر في أمريكا ٠٠ ولم يبدأ دوبرينين أى اتصال ! ٠٠ بل ان كل هذا أثير في مؤتمر قمة ٧٣ ٠٠ المؤتمر الثانى ٠٠ وبدون أى نتيجة ٠

ووصف كسينجر بعد ذلك كل مشاهد السوفيت معهم ٠٠ بانها كانت مجرد مشاهد تمثيلية ، لكى يستثمروها فى التعامل معنا !

ويصل كسينجر الى النتيجة المنطقية لكل ما جرى بقوله : لقد ساعدنا مؤتمر القمة على عزل فيتنام تماما ٠٠ اما بالنسبة للشرق الاوسط ٠٠ فقد انكشف موقف السوفيت ٠

● ما هو موقف مصر من المؤامرة ؟

كان هذا هو الموقف فى موسكو بين نيكسون وزعماء الكرملين ٠

هل كانت صورة السوفيت غامضة على مصر حينئذ ؟ هل نجح السوفيت فى ايهامنا بأنهم بذلوا كل الجهود ولكن الامبرياليين الامريكيين (حلفاء الوفاق) هم المجرمون والاوغاد ٠٠

وحتى نتبين موقف مصر من هذه « المؤامرة » بين القوة العظمى السوفيتية ، والقوة العظمى الامريكية ٠٠ التى باعنا فيها السوفيت ٠٠ علينا أن نعرض الموقف بين مصر والسوفيت قبل مؤتمر قمة موسكو الذى انعقد فى ٢١ مايو ١٩٧٢ ٠٠ ثم الموقف المصرى بعد هذا المؤتمر ٠

وأعود فى ذلك ،الى ماكتبه انور السادات فى «البحث عن الذات» ٠٠ والى بعض ما كنت اسجله فى الاجتماعات المغلقة التى كان يعقدها الرئيس لرؤساء تحرير الصحف ، لوضعهم فى الصورة الحقيقية للموقف ٠

استعرض الرئيس السادات ، حقائق الموقف مع السوفيت ٠٠ وقد كان على علم تام بكل مجريات الامور مع السوفيت فى عهد عبد الناصر ٠٠ ولذلك فان مواقفه — بعد ان تولى المسئولية — مع السوفيت نابعة من التجربة المريرة التى عاناها عبد الناصر فى

التعامل مع السوفيت حتى أنه قال الرئيس اليوغوسلافي تيتو عندما زارنا بعد الهزيمة «لن أقبل هذا الهوان من زعماء الكرملين.» نعم .. عبد الناصر وصل الى هذه النتيجة الواضحة .

● ماذا جرى فى فبراير ١٩٧١ ؟

قال السادات فى كتاب « البحث عن الذات » :

ـ « فى فبراير ١٩٧١ فكرت فى السفر الى الاتحاد السوفيتى لاول مرة بعد انتخابى رئيسا للجمهورية لاطالبهم بتنفيذ الجزء الثانى من الاتفاقية التى عقدوها مع عبد الناصر وهو امدادنا بسلاح الردع .. كذلك استعواض الذخيرة التى استهلكناها فى حرب الاستنزاف ولتزويدنا ببطاريات الصواريخ من أجل حماية منشآت الصعيد .. فأرسل لى السوفيت أنهم على استعداد لمقابلتى فى ١ و ٢ مارس ، وطلبت منهم أن تكون الزيارة سرية .. وسافرت وجلست على مائدة المفاوضات فى الكرملين ، وشرحت لهم متاعبنا منذ عهد عبد الناصر ومطالبنا الحيوية وبدأت حديثى بتقرير النقطتين الاساسيتين اللتين كررتهما فى كل اجتماعاتى التاليه مع قادة الكرملين :

الاولى : هى أنه لن يحارب لنا معركتنا جندى سوفيتى واحد .
الثانية : اننا لانسعى الى المواجهة بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا.

وكنت فى شدة الانفعال والحماسة . فاشتبك معى كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى ، كما اشتبك معى الماريشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى ، ورددت عليهما بعنف ،مما جعل بريجنيف يتدخل ويعلن لى أن الحكومة السوفيتية قد وافقت على تزويد مصر بعدة أصناف من الاسلحة .. لم تكن هى المطلوبة فعلا . ولكن قبلناها لحاجتنا الماسة الى أى سلاح .

كان هذا أسلوب السوفيت معنا دائما .ولكننى قلت لهم فى هذا الاجتماع :

ـ نحن نشكركم ولكن لابد أن أسجل هنا فى محضر الاجتماع اننا مختلفون .

ويمضى السادات مسجلا فى كتابه التاريخى :

ـ « وأثناء اشتباكى معهم فى هذا الاجتماع قالوا انهم على استعداد لان يرسلوا لنا طائرات بالصواريخ ويدربوا عليها

المصريين ، على الا تستخدم الا بموافقة الحكومة السوفيتية ٠٠ عندئذ اشتد غضبى ، وقلت لهم :

● ● « مفيش قـــــرار فى مصر الا لى كرئيس لمصر ٠ أرفض هذه الطائرات »٠٠

بعد ذلك أخذنى بريجنيف وقال لى بينى وبينه : « انت عارف الطيارة الميج ٢٥ اللى عندك منها ٤ ؟ » ٠٠ قلت له (دى طيـــارة ممتازة) ٠ قال لى : (سأرسل لك منها ثلاثين تستخدمها قاذفات) ٠٠ قلت له : (عندئذ يبقى أنا اتنازلت عن كل خلاف على شرط أن الطيارين يأخذوا أوامرهم منى أنا) ٠٠

● **طبعا ٠٠ لم يرسل لنا اى شيء !**

ويضيف السادات :

ـ « طبعا لم يرسل بريجنيف ما وعد به . فاصدرت أمرى بأن الاربع طائرات ميج٢٥ (مثل التى طار بها طيار سوفيتى الى اليابان) والتى كان يعمل عليها طيارون سوفيت لاتطير ٠٠ فاما أن يعودوا الى بلادهم ٠٠ واما أن أشترى هذه الطائرات ٠

لقد كان لدى هذه الطائرات الاربع ميج ٢٥ ،وقد قبلت وجودها على الارض المصرية لاداء الخدمات المطلوبة للاستطلاع للقوات المصريه، ولكنها لم تقم سوى مرتين بهذه المهمات ،ورفض الطيارون ان ينفذوا ما نأمرهم به ٠ واتضح أن وجودهم كان للاستطلاع لحساب الاسطول السوفيتى الخامس فى البحر الابيض ضد الاســطول الامــريكى فى هذا البحر ٠ وقد سحب الاتحاد السوفيتى هذه الطائرات ورفض أن يبيعها لى ٠

ولم يرسل لى السوفيت بطاريات الصواريخ الا فى شهر ابريل ١٩٧١ ، أما الذخيرة فقد أرسلوا شيئا منها ولم يرســـلوا بقيتها الا أثناء حرب أكتوبر ٧٣ ٠٠ أما الطائرات وسلاح الردع الذى وعد به بريجنيف فقد كان مجرد كلام » ٠٠

ويعلق الرئيس على ذلك بقوله :

« هكذا كان السوفيت معنا دائما ٠٠ يضعوننا فى موقف لانملك فيه أن نتخذ قرارا ٠٠ أن عدم وفاء السوفيت بوعودهم جعلنى غير قادر على الحركة فى ذلك الوقت »

هذه أول جولة لانور السادات معالسوفيت كما سجلها فى كتابه

.. واضيف اليها أن محور المناقشة كان أن اسرائيل تملك قاذفات مقاتلة أمريكية تصل الى أعماق مصر ، لابد أن نحصل على مايقابلها .. ولا يمكن أن نسير دائما متأخرين عن اسرائيل . والوقت يمضي والخطر يتفاقم وأمام السادات مسئولية تاريخية . فطلب السادات طائرة حاملة صواريخ .

● هذه اسرار عسكرية .. مستحيل !

وقال السوفيت انها من الاسرار العسكرية ،واذا عرف الامريكان، فانهم سيصعدون الموقف . وقال السادات أن اسرائيل تملك السكاي هوك والفانتوم .. ومصر لم تصل الى طائرة أحدث من الميج ٢١ . ووافق السوفيت على اعطائه طائرات حاملات الصواريخ بطيارين سوفيت ولكن بشرط أن استخدامها فى القتال يكون بالاتفاق مع الحكومة السوفيتية . ولما رفض السادات وقال ان القرار هو قرار مصر .. قال لهم : دربوا أولادى عليها ، وعندنا طيارون مدربون على نفس النوع من الطائرات بدون صواريخ . فقالوا ان التدريب يحتاج الى أربع سنوات . وقال السادات : لا.. ان التدريب يحتاج الى أربعة أشهر .. وأصر السوفيت . وعندئذ قال السادات : لا أريدها . أن أمريكا لم تشترط على اسرائيل ، عندما اعطتها الفانتوم هذه الشروط ، بل أن أمريكا أنذرتنا انها لن تستطيع منع اسرائيل من الضرب فى العمق . »

وكان حوار السادات مع السوفيت يقوم على المنطق التالى : ان موقفكم محير لى. الجأ اليكم عسكريا ، تطالبوننى بالسعى لحل سلمى. واذا سعيت لحل سلمى تتشككون . فلا سلاح عندى يحسم ولا حل سلمى .. اذن ماذا تريدون ؟.. لماذا لا نناقش كل خلاف بوضوح كامل .

وكان مستحيلا طبعا أن يناقش السوفيت بوضوح .. وهم يعدون « الطبخة » مع أمريكا .. وخاصة أن « بتوع البطاطة » فىمصر — كما يصف أنور السادات من يبلغون المعلومات لموسكو — أفهموهم أن السادات لن يبقى فى الحكم .. ولما تخلص السادات فى قضية المؤامرة ، وقبلها من على صبرى وباقى مراكز القوى ، كان السوفيت يتصورون أن السادات تخلص من رجالهم فى مصر.. رغم أنالسادات أعلن لهم عشرات المرات أن التعامل بين القاهرة وموسكو هو تعامل بين دولتين .. وليس تعاملا مع أفراد .. وأنه يريد علاقات طبيعية معهم ، كلها ثقة متبادلة .

وفى أواخر مايو ١٩٧١ فوجىء السادات بطلب من الرئيس السوفيتى بودجورنى أن يحضر الى القاهرة ·

فماذا حدث أيضـــا فى هذه الزيارة · جاء بودجورنى بقرار من المكتب السياسى السوفيتى بضرورة عقد معاهدة مع مصر ·

● وعود بودجورنى ··

ومعاهدة مع موسكو

يقول السادات فى « البحث عن الذات » :

ـ « جاء بودجورنى لزيارتى فى أواخر مايو ١٩٧١ . وكانت صحف الغرب كما تنبأت فيمـا مضى قد نشرت أن رجل موســكو الاول فى مصر ·· بل رجال موسكو كلهم قد وضعوا فى السجن ·

وفعلا نشرت بعض صحف الغرب رســما لبودجورنى فى زيارته لمصر وهو يستعرض عملاء موسكو فى ملابس السجن ·

اجتمعت به وطلب منى أن تعقد مصر معاهدة مع الاتحاد السوفيتى · لم أعارض ولكننى قلت له ان التوقيت ليس ســليما ، فمراكز القوة رجالكم فى مصر ما زالوا فى السجن · ولم يحاكموا بعد · فانتم بعقد المعاهدة تسيئون اليهم أمام الشعب ،لأنكم بهذا تؤكدون للشعب أنهم هم الذين كانوا يحمون مصالحكم · ولكنه كان متلهفا على عقد المعاهدة · وقال أن المكتب السياسى قد اجتمع فى موسكو وأصر على المعاهدة · قبلت وكان هدفى ان أطمئنهم · فقـد كنت أعرف أن من طبعهم أن يتركوا انفسهم فريسة للشكوك فى كل علاقاتهم مع الغير · والشك فى نفسية الروس طبيعة معروفة سواء وقت القيصرية أو الشيوعية ·

وفى اليوم التالى عقدنا المعاهدة · وذهبت مع بودجورنى لأودعه فى المطار · وطلبت منه وهو يهم بركوب الطائرة أن ينقل للقادة السوفيت رسالة منى وهى « الثقة ·· الثقة ·· الثقة » ·· فقد شــعرت أنهم مهتزون وكنت أخشى من هذا على معركتنا ·· »

ثم يكمل السادات القصة قائلا :

ـ أثناء اجتماعى مع بودجورنى قلت له اننا غير سعداء بهذه المعاملة التى تعاملوننا بها · ومع ذلك فنحن نعقد معكم هذه المعـاهدة لنثبت لكم حسن نوايانا · فقال لى : بعد أربعة أيام من وصولى الى موسكو « سنرسل اليك كل ما طلبته من ســلاح فورا بما فى ذلك ســلاح الردع »

وكان هذا في أواخر مايو ١٩٧١ ولكن فات يونيو ويوليو واغسطس وسبتمبر واكتوبر ولم يحدث شيء مما وعد به بودجورني ٠٠ وأسوأ ما كان يضايقني من الاتحاد السوفيتي أنهم كانوا في أغلب الاحيان يصمتون كالقبر ٠٠ كنت أستدعي السفير السوفيتي مرات ومرات ٠ وابعث الى السوفيت بالرسـالة بعد الاخرى ٠٠ لكن لا اجابة ٠٠ وكأنك تتصل بأشخاص لا وجود لهم الا في خيالك ٠ ».

والطريف أن وعد بودجورني للسادات عبر عنه رئيس الاتحـاد السوفيتي بحركة تمثيلية عندما قال للرئيس السـادات وهو يحرك أصابعه :

ـ عد على صوابعك ٤ أيام ٠ وفي اليوم الخامس ستصل الطائرات وسيتدرب عليها الطيارون المصريون ٠٠ وبكل شروطك ٠

وفي يوليو ١٩٧١ قام الانقلاب الشيوعي في السودان ٠٠ ورفض السادات طلبا من الاتحاد السوفيتي بالاعتراف بالنظـام الجديد ، وناقش السفير السوفيتي بأن المنطقة العربية لا يمكن أن تقبل نظام حكم ماركسي ٠٠ وقال له السـادات أنه سيساعد نميري على الخروج من هذه الازمة ٠ ولم تقبل موسكو هذا المنطق ٠ والمعروف أنه عندما قام نميري بحركة ثورية قضى بها على الانقلاب الشـيوعي ٠٠ كانت موسكو مترددة في الاعتراف به ٠٠ وقد تم الاعتراف ، بعد لقاء بين السادات والسفير السوفيتي ،اقنعه فيه السادات بأن يسرع الاتحاد السوفيتي بالاعتراف ، لأنه نظام ثوري يقوم على مبادىء ٢٣ يوليو ٠ وتوترت العلاقات بين مصر وموسـكو بسبب موقف عدم الاعتراف بالانقلاب الشيوعي الذى انتهى الى الفشل وتطور التوتر الى شـبه قطيعة ٠ وتضاعفت حملة السوفيت على نظام الحكم برياسة نميري في السودان ٠

● واخيرا جاءت الرسالة

٠٠ وأخيرا في أواخر سبتمبر ١٩٧١ ، جاءت الرسالة منهم بأنهم على إستعداد لاستقبال السادات في ١١ أكتوبر ١٩٧١ ٠

وسافر أنور السادات الى الاتحاد السوفيتي في ١١ أكتـوبر بناء على طلبه ٠ وذابت الثلوج بعد مناقشـات حادة من خطأ السـلوك السوفيتي في معالجة الموقف في السودان ٠ وجرى النقاش حادا عنيفا من وعد بودجورني بالطائرات بعد ٤ أيام ٠٠ وها قد مضت ٦ شهور ٠ وتدخل جريتشكو في المناقشة ٠٠ فقال له السادات : يؤسفني أن أسمع هذا الكلام من ماريشال الاتحاد السوفيتي ٠٠ ولو كنت قائدا

للجيش المصري، وضربت المصانع المصرية ، لما كنت تقول هذا الكلام وتدخل كوسيجين في المناقشة ثم هدأ الجو ٠

ويقول السادات فى كتابه البحث عن الذات عن هذه الرحلة :
ــ « أعدت نفس الكلام الذى قلتــه لهم فى ١ و ٢ مارس ١٩٧١ ٠٠ يا جماعة انا اقبل أن تضعونا خلف اسرائيل بخطوة ٠٠ ولـكن أن تكون المسافة بينى وبين اسرائيل عشرين خطوة فهذا أمر لا يحتمل ٠ ووعدونى هذه المرة ــ بعد مناقشاتعنيفة ــ أن يرسلوا لى الطائرات بالصواريخ ومعها المدربون الذين سيدربون طيارينا المصريين عليها ٠ وتنازلوا هذه المرة عن الشرط الذى ينص على ألا تطير هذه الطـائرات بالذات الا باذن من موسكو ٠ وفى نهاية اجتماعنا قلت لهم : نحن الآن فى ١٢ أكتوبر ٠٠ كل ما أرجوه أن ترسلوا هـذه الاسلحة بأسرع ما يمكن حتى نستطيع قبل نهاية السنة أن نكون فى وضع يمكننـا من تحريك الموقف ٠٠ وكنت قد أعلنت أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم فاما حل سلمى واما معركة ٠٠ ووافقوا ٠٠ وانتهى أكتوبر ونوفمبر ولكن كل شيء كما هو ٠٠ »

ثم جرى اجتماع آخر للرئيس فى موســكو مع قادة الكرملين فى ١ و ٢ فبراير ٠٠ ثم ارسلوا الماريشال جريتشــكو الى مصر فى ١٥ مايو ١٩٧٢ ليقوم بتمثيلية هزلية ٠٠ ثم تمت زيارة نيكسون لموسكو باعلان الوفاق والاسترخاء العسكرى فى الشرق الاوسط ٠٠ واتخذ السادات قرار طرد العسكريين السوفيت من مصر ٠٠ وهذا ما سوف أعرض له في التعليق على النص التالى بالتفصيل الذى يؤكد أن مصر كانت واعية بالمؤامرة ٠٠ مدركة تماما أن الاتحــاد السوفيتى باع قضية مصر وقضية الامة العربية كلها ٠٠ كما باع فيتنــام ٠٠ فى مقابل أن يسجل الوفاق مع امريكا فى اتفاق (سولت ــ ١) ٠٠

كسينجر يكشف مؤامرة الوفاق

● قمة موسكو .. كان شرطها الامريكى أن يساعدنا السوفيت على ايجاد حل لمشكلة فيتنام .. وتجميد الموقف فى الشرق الاوسط .

● تعهد السوفيت انهم لن يهزوا الزورق فى الشرق الاوسط ، وطلبنا أن يبقى الشرق الاوسط فوق الثلج حتى يمكن ان نتحدث عن حل وسط .

● تحولت سياسة الكرملين الى برهان امام العالم العربى عن عجزه عن التأثير فى الاحداث والى ضياع نفوذه تدريجيا .

● فيتنام والشرق الاوسط .. كانت مسالة ثانوية امام تلهف السوفيت على توقيع اتفاق الوفاق «سولت ١»

● الفصل العاشر ●

كسينجر يكشف مؤامرة الوفاق

كتب كسينجر :

فى ٢٠ مايو ١٩٧٢ غادرنا الولايات المتحدة الى موسكو أخيرا حان وقت اجتماع القمة المنتظر .

المفاوضون فى هلسنكى يضعون اللمسات النهائية على اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفيتى (سولت - ١) .

وقمة موسكو هى ذروة أربع سنوات من الاصرار من جانبنا على ضرورة « الربط » .. بمعنى أن الرقابة على الاسلحة لا تنفصل فى حد ذاتها عن قضايا أخرى وهى مساعدة السوفيت لنا على ايجاد حل لمشكلة فيتنام وضبط النفس فى الشرق الاوسط . ذلك أن هاتين المسألتين (فيتنام والشرق الاوسط) تمثلان شروطا مسبقة لاحراز تقدم فى مجالات أخرى .

وفى تحليل عن السياسة السوفيتية فى أماكن متعددة من العالم كتبت لاوضح أن الاغلب أن نزاع المصالح فى الشرق الاوسط وآسيا سوف يطول أمده .

وتوقفنا فى سالزبورج (النمسا) لمدة يوم واحد حيث اجتمع الرئيس نيكسون مع المستشار الذكى برونو كرايسكى الذى كان موضع اعجاب الرئيس الامريكى .

وفى سالزبورج تلقينا أنباء تشير الى أن الرئيس السوفيتى بريجنيف يدعم مركزه الداخلى .. فقد تم عزل « بيوتر شيلست » زعيم الحزب الشيوعى الاوكرانى) من عضوية المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى . وكان شيلست يعتبر متشددا واسع النفوذ . وهذا الاجراء من شأنه أن يؤدى الى تحسين مركزنا . نحن . فى المساومة .

وكانت معنويات نيكسون عالية ونحن نسافر الى موسكو يوم ٢٢ مايو .

واختتم نيكسون وبريجنيف محادثاتهم حول مشروع معاهدة سولت فى يوم ٢٣ مايو على أن تواصل انا مع أندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتى مناقشة بعض التفاصيل فى اليوم التالى . ولكن جروميكو لم يظهر .. ولم يكن ذلك غريبا . فقد كان على المفاوضين السوفيت أن يجمعوا سياستهم بعد التنازلات المعقدة التى قدمها سكرتيرهم العام (بريجنيف) الى زملائه . وقد تناول الزعماء السوفيت مشكلة فيتنام كمسألة ثانوية خلال القمة .

وبعد تسوية مشكلة ، سولت ، اختفى أى توتر كان لا يزال باقيا فى أجواء قمة موسكو ولم يتم بذل أى جهد جدى بعد ذلك لحل أية مشكلة عالمية هامة .

● **فوق الثلج**

والامر الذى ينطوى على مغزى هام هو ان المناقشة الوحيدة التى جرت خلال قمة موسكو بين نيكسون والقادة السوفيتي (بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين) .. كانت فى مساء اليوم الذى سبق توقيع معاهدة سولت .. وأسفرت هذه المناقشة عن تعهد السوفيت بأنهم لن يهزوا الزورق (يقصد عدم القيام بأى تحرك) واستمرار تشبثنا - نحن الامريكيين - باستراتيجيتنا وهى ابقاء الشرق الاوسط فوق الثلج (يقصد تجميد المشكلة) الى أن يبدى السوفيت الرغبة فى التحدث عن حل وسط . ولذلك اعتبر نيكسون أن هذه المناقشة هى فى المحل الاول .. أجراء للتعويق . واقترح أن يتحدث جروميكو وكيسنجر مرة أخرى حول الشرق الاوسط فى نهاية السنة . وأن نحاول فى تلك الاثناء الاتفاق على بعض المبادىء العامة تهتدى بها المفاوضات مستقبلا .. بل أن نيكسون أثار مشكلة للمترجم السوفيتى فيكتور سوخودريف عندما قال الرئيس الامريكى أن ذلك كله يمكن أن يكون تمهيدا « لمرحلة النشاط » وقد ترجم سوخودريف العبارة الاخيرة ترجمة حرفية على النحو التالى تمهيدا لقطف الفاكهة - البندقة - من الشجرة !

وظهرت على ملامح السامعين السوفيت الحيرة والارتباك بسبب عدم الفهم .

والقى الزعماء مرة أخرى على عاتقى أنا وجروميكو صياغة هذه المبادىء العامة فى البيان الختامى الذى سيصدر عن قمة موسكو .

وبدأ جروميكو وأنا المهمة بشكل حرفى يتفق مع النقطة الاخيرة

في مناقشاتنا في مساء يوم الاحد ٢١ مايو (وكان من المقرر أن نغادر موسكو في اليوم التالى) .

كان السوفييت فيموقف صعب بل في الحقيقية أكثر صعوبة مما كنا نعرف . ذلك أن مصر أصبحت تتململ في ضجر من فشل موسكو في احراز تقدم نحو التسوية . ولكن أسلوب الكرملين المتحذلق في التفاوض وتمسكه الصارم بمواقف متطرفة حالت بينه وبين صياغة مقترحات يمكن أن تخلق لدينا اى حافز لتأييدها . ولم يكن السوفييت قادرين أبدا على حل الورطة التى امضينا ثلاث سنوات في محاولة احكامها (لتكون ورطة محكمة لا فكاك منها) . وما دام انهم يؤيدون البرنامج العربى المتطرف .. فانه لا يوجد لدينا مبرر لعمل مشترك معهم . وبدون مشاركتنا فانه لا يمكن تنفيذ البرنامج الا عن طريق حرب .. سوف يخسرها زبائن السوفييت .

● **فقرة بلا معنى**

وهكذا تحولت سياسة الكرملين الجامدة في الشرق الاوسط الى برهان أمام العالم العربى على عجزه عن التأثير فى الاحداث والى ضياع نفوذه تدريجيا .

وبالقدر الذى كان يهمنا .. فان الطريق لخدمة أهدافنا هو المحافظة على الامر الواقع الى أن يتحقق أحد أمرين : أما أن يقوم السوفييت بتعديل موقفهم .. واما أن تتجه الدول العربية المعتدلة نحونا للتوصل الى حل يرتكز على تقدم من خلال مراحل يمكن تحقيقها ..

وما أن اتضح أن موسكو لن تقوم بتعديل موقفها .. حتى سعيت الى أبسط صيغة ممكنة في البيان ..

ان اتفاقية سولت والاتفاق على « المبادىء الرئيسية للعلاقات الامريكية ــ السوفيتية » جعلا من المستبعد أن يحدث شيء يهدد مجرى الامور .

والنتيجة هي .. فقرة خالية من المعنى أو المغزى عن تأييد قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتسجل أن الطرفين يقفان الى جانب السلام فى الشرق الاوسط .. وتدعو الى « تسوية سلمية » و « استرخاء عسكرى » فى المنطقة . وكان ذلك من الناحية العملية قبولا ضمنيا للامر الواقع . ومن المحتم أن يكون لذلك أثر سيىء ليس فقط فى القاهرة بل فى سائر أنحاء العالم العربى .

● **نص مشترك**

وفيما يلى نص الجزء الخاص بالشرق الاوسط فى البيان الامريكى

ـ السوفيتي الذى صدر عقب مؤتمر قمة موسكو عام ١٩٧٢ :
« بوضع الجانبان موقفهما حول هذه المسألة .. يؤكدان تأييدهما لتسوية سلمية فى الشرق الاوسط وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

واذ يلاحظ الجانبان اهمية التعاون البناء من جانب الاطراف المعنية مع السفير يارنج الممثل الخاص للسكرتير العام للامم المتحدة ، فان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يؤكدان رغبتهما فى المساهمة فى نجاح مهمته ويعلنان أيضا استعدادهما بدورهما فى تحقيق تسوية سلمية فى الشرق الاوسط . وترى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أن تحقيق مثل هذه التسوية سيفتح الآفاق لاعادة الموقف الى طبيعته فى الشرق الاوسط وسيتيح بوجه خاص البحث فى اتخاذ خطوات أخرى لتحقيق استرخاء عسكرى فى المنطقة . »

وعلينا أن ننتظر مذكرات الزعماء السوفيت لكى نجد تفسيرا للسبب الذى جعلهم يختارون أسلوب الاتفاق على نص مشترك بدلا من صيغة : « يرى الجانب السوفيتي » .. و « يرى الجانب الامريكى » كما حدث فى بيان شنغهاى (الامريكى ـ الصينى) . اذ ربما أتاحت هذه الصيغة الاخيرة مجالا أوسع للسوفيت ليعبروا عن آرائهم ويضعوا مسئولية اعاقة تحقيق افكارهم على عاتقنا وعلى نحو أوضح .

ربما اعتبرت البيروقراطية السوفيتية أن الصيغة التقليدية مقدسة الى أبعد حد .. وربما كانت كراهية الزعماء السوفيت للصينيين سببا فى منعهم من محاكاة الصيغة التى ارتبطت برحلة نيكسون الى بكين .

ويكاد يكون من المتعذر تفسير السبب الذى جعل جروميكو يقضى أربع ساعات معى لمحاولة الاتفاق على « المبادىء العامة » لتسوية فى الشرق الاوسط . لماذا تبادر الى ذهنه اننا قد نكون مستعدين لان نرفق ببيان مسطح .. مجموعة من المبادىء المحددة . لم يكن السبب فى تصرف جروميكو واضحا .

وعلى أية حال ، فان نفس الاستراتيجية التى تحكمت فى نظرتنا الى البيان كان من المحتم أن تحدد موقفنا تجاه هذه المبادىء .

● تكتيك التعطيل

وقد مارست فى الحقيقة تكتيك التعطيل . ويملك جروميكو من الخبرة ما يكفى لكى يعرف ما كنت أفعله . ولم يمارس أى ضغط

حقيقي . فمن الواضح أن السوفيت لم يكونوا يريدون أزمة حول الشرق الاوسط .

والنتيجة .. هي اتفاق مدني حول عدد من « المبادىء » التي لم تتجاوز اطار قرارات الامم المتحدة التي سبق صدورها .. والتي كانت من الغموض . بحيث تترك مجالا واسعا للمفاوضات عند التنفيذ ..

وفيما يلي نص « المبادىء المنفذية العامة » حول الشرق الاوسط التي تمخضت عن قمة موسكو في مايو ١٩٧٢

١ - يجب أن تكون الاتفاقية النهائية شاملة لكل الاطراف والقضايا . وهذا لا يستبعد أن يتم التنفيذ على مراحل أو أن تحل بعض القضايا والمنازعات وفقا لقاعدة الاولوية .

٢ - يجب أن تشتمل الاتفاقية على بنود حول انسحاب القوات الاسرائيلية من أراض عربية احتلت في عام ١٩٦٧ .

٣ - أي تعديلات في الحدود .. قد تحدث .. يجب أن تكون نتيجة اتفاق اختياري بين الاطراف المعنية

٤ - الاتفاقيات المشتركة حول الامن يمكن أن تشتمل على مناطق منزوعة السلاح ووضع قوات تابعة للامم المتحدة بصفة مؤقتة في شرم الشيخ .. وأن تشتمل على أكثر الضمانات الدولية فاعلية بالاشتراك المناسب للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

٥ - يجب أن تؤدي الاتفاقيات الى انهاء حالة الحرب واقامة السلام .

٦ - يجب ضمان حرية الملاحة في مضيق تيران وقناة السويس . وهذا يتفق تماما مع السيادة المصرية على القناة .

٧ - ان الاعتراف باستقلال وسيادة جميع دول الشرق الاوسط بما في ذلك اسرائيل ، هو احد المبادىء الرئيسية التي يجب أن ترتكز عليها التسوية .

نقاط تتعلق بموقف كل جانب على حده :

- موقف الولايات المتحدة هو ان استكمال الاتفاقيات يجب أن يشتمل في مرحلة ما على مفاوضات بين الموقعين .

- الموقف السوفيتي هو أنه يجب حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على أساس عادل وفقا لقرارات الامم المتحدة في هذا الصدد .

والنتيجة العملية لهذه المبادىء هي تأكيد حالة الجمود .

● تعليق على
الفصل الحادي عشر

كيف اتخذ السادات القرار الذي لم تفهمه موسكو وواشنطن معًا ؟

كشف كسينجر خبـــايا ما جرى فى مؤتمر الوفاق بموسكو فى ٢١ مايو ١٩٧٢ فيما نشرناه فى الفصل العاشر وننشره فى هذا الفصل الجديد . وقد علقنا بأن نور السادات لم ينخدع بالأسلوب السوفيتى فى محاولات خدعهم له . بأن الوفاق لن يكون على حساب مصر والقضية العربية .. وكان سبيلنا الى ذلك رواية قصة الاجتماعات والاتصالات التى جرت بين السادات وزعماء الكرملين قبل مؤتمر الوفاق الذى تراجع فيه الروس بدون ضغط أمام نيكسون ، وأسرعوا بقبول تجميـد الوضع فى الشرق الاوسط بالاسترخاء العسكرى .. وسبيلنا أيضا ، رواية ما جرى بعد مؤتمر الوفاق .

وقد أوردت أن السادات سافر للمرة الثانية الى موسكو فى ١١ أكتوبر ١٩٧١ ، وقال للسوفيت « يا جماعة أنا أقبل أن تضعونا خلف اسرائيل بخطوة ، ولكن أن تكون المسافة بينى وبين اسرائيل عشرين خطوة . فهذا أمر لا يحتمل » .. ووعدوه بأن الطائرات المقاتلة . ستصل القاهرة . على الفور .. وكان السادات قد أعلن أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم .. فاما حل سلمى واما معركة .

ثم يقول السادات فى كتابه « البحث عن الذات » :

ـ وانقضى أكتوبر ونوفمبر ولكن كل شيء كما هو .. استدعيت السفير السوفيتي وأرسلت الى الكرملين عدة رسائل . ولكن لا اجابة . واذا بي افاجأ فى ٨ ديسمبر ١٩٧١ بالمعركة بين الهند وباكستان ، وبأن الاتحاد السوفيتي طرف فيها .. استدعيت السفير السوفيتي يوم ١٢ ديسمبر ، وقلت له أنه لم تصلني قطعة سلاح واحدة الى الآن . ولذلك أرجوك أن تبلغ القادة السوفيت انني أطلب مقابلتهم في موسكو حتى نبحث عن وسيلة نغطى بها الموقف الذى كشفوني فيه عن عام الحسم .. وقبل أن ينتهى ديسمبر بأربعة أو خمسة أيام جاءني السفير السوفيتي ليبلغني . أن القادة السوفيت مواعيدهم مشحونة ولكنهم على استعداد لاستقبالى فى ١ و ٢ فبراير ١٩٧٢ ، .

ويضيف السادات :

ـ كنت أعرف انني ساواجه حملة مسعورة لانني سبق أن أعلنت أن سنة ١٩٧١ هى سنة الحسم . وفعلا حدث هذا .. ففى أوائل يناير ١٩٧٢ حاول روجرز وزير خارجية أمريكا ان يكفر ـ امام الرأى العام اليهودى ـ عن موقفه الى جانبى ذات يوم ، بعد أن أنبته جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل علنا أمام الكنيست فى خطاب مشهور ، فأعلن روجرز أنه قد انقضت سنة ١٩٧١ ولكن بلا حسم أو خلافه .. وان أمريكا ستعطى اسرائيل المزيد من العتاد والسلاح وكل شيء ! .. بل وأعلن أيضا ان الولايات المتحدة قد دخلت منذ نوفمبر ١٩٧١ فى تصنيع الاسلحة مع اسرائيل .. وأن أمريكا ستحتفظ لاسرائيل بالتفوق على العرب مجتمعين وليس على مصر وحدها .. ،

ويصف السادات موقف الشعب المصرى عندئذ فيقول :

ـ كانت حربا نفسية شرسة كما توقعت . ولكن الشعب المصرى بحسه الصادق أدرك أن المسئول عن هذا هو الاتحاد السوفيتى .. ففى يناير ١٩٧٢ كان الشعب هنا فى أوج غضبه على الاتحاد السوفيتى .. رغم أننى لم أطلع الناس على الحقائق ، بل على العكس كنت ادافع عن الاتحاد السوفيتي فى جميع أحاديثى وخطبى ، .

أصبح السادات اذن فريسة للقوتين .

القوة التى تعطى السلاح (موسكو) .

والقوة القادرة على اقرار الحل السلمي (واشنطن) ·

● السيطرة على الاعصاب الغاضبة

ولكنه استطاع السيطرة على أعصابه الغاضبة ، وكان يذهب الى ميت أبو الكوم ليتيح لنفسه فرصة الصفاء الذهني ·· ولكن رايه استقر أخيرا على أن يتحمل ·· لان موقع المسئولية عليه تبعات · واستطاع أن يقنع نفسه ، بأن السـوفيت كانوا يعدون لاجتماع نيكسون فى مايو ٧٢ ، وهم لا يريدون امداد مصر بسلاح جديد ، يدفع الى تصـعيد الموقف ·· ومن ثم يمكن ان يكون عقبة أمام الاجتماع الذى يريدون له النجاح فى اقرار سياسة الوفاق · هكذا أراد السادات لنفسه أن يقتنع ·· لكى يبذل محاولة أخرى ·

وسافر الى موسكو بناء على طلبه فى أول فبراير ١٩٧٢ ·
وسأل بريجنيف فى المباحثات سؤالا مباشرا :
ـ من المسئول عن عدم تنفيذ وصول الاسلحة ··
وأجاب بريجنيف : أنا ··

ورد السادات : أنت تريد أن تحرجنى بهذه الاجابة حتى لاأناقشك ·· أنا لست مقتنعـا بهذا الكلام ، واذا تكرر ما حدث مرة أخرى فسوف أتخذ قرارا ما ·

وأعاد السادات على مسامعهم وهو فى قمة الغضب نفس الكلام الذى سبق أن قاله فىزياراته السابقة، وخاصة النقطتين الاساسيتين وهما أننا لا نريد جنديا سوفيتيا ليحارب معركتنا ، وأننا لا نسعى الى مواجهة بينهم وبين أمريكا ··

ودارت أحاديث من بريجنيف عن أعداد الجبهة الداخليه للقتال ، وملاهى شـارع الهرم ، وأشياء أخرى كثيرة ارادوا أن يسجلوا منها دليلا على أن الموقف المصرى غير مهيأ للحرب ·

وكانت اجابة الرئيس السادات على هذه التساؤلات ، أن كل هذه الاجراءات الداخلية يمكن أن تتم فى اقرب وقت ·· ولكنه لن يبدأ الا اذا حدد ساعة الصفر · ويستحيل أن يحدد ساعة الصفر ·· الا بعد الاطمئنان الكامل على الاعداد العسكرى ·

وأنهوا المناقشة بقراءة قائمة بالاسـلحة التى وعدوا بارسـالها فورا ·· ولم تكن أيضا الاسلحة الاساسية · ولكنها كانت على أى حال أحسن من لا شئ ··

ووعد كوسيجين بانه لن يكون هناك تاخير في وصول الاسلحه، وأنه أخذ تعليمات من اللجنة المركزية ،ان وصول الاسلحه سيكون تحت اشرافه الشخصى ..

ويقول السادات فى كتابه :

(وعدت الى مصر ولكن صبرى كان قد نفد . فى ذلك الوقت كان قد تحدد أول لقاء قمة بين بريجنيف ونيكسون من أجل الوفاق فى ٢٠ مايو ١٩٧٢ .. وبدأ السوفيت يرسلون لنا الاسلحة التى يريدون هم أرسالها ، أما التى نريدها نحن فيحجبونها عنا ..)

.. وفى أواخر أبريل ١٩٧٢ فوجىء الرئيس السادات برسالة عاجلة من القادة السوفيت يحملها السفير السوفيتى فى القاهرة .. وفيها يطلبون من السادات أن يزورهم فى أواخر ابريل ..

ويعلق السادات على ذلك ـ فى كتابه ـ يقول : « طبعا كان هدفهم من كل هذا أن يثبتوا للولايات المتحدة أن اقدامهم ثابتة فى منطقة الشرق الاوسط . وبرغم « قرفى » سافرت واتفقنا فى هذا اللقاء ـ أنه بعد أن تنتهى زيارة نيكسون فى مايو ، عليهم أن يرسلوا الى تحليلا للموقف ، ثم يبدأوا فورا فى توريد الاسلحة المتأخرة التى تعاقدنا عليها ، وذلك فى خلال ٥ شهور أى من يونيو ١٩٧٢ الى أكتوبر١٩٧٢ ميعاد الانتخاباتالامريكية . وكانت الفكرة أن نكون مستعدين فى نوفمبر ١٩٧٢ ، بعد انتخابات الرئيس الامريكى ، فاذا لم يكن هناك طريق الى الحل السلمى استطعنا أن نتحرك عسكريا . وافقوا على ذلك وعدت الى مصر .

● مسرحية جريتشكو التى اثارها السادات !

.. وفى ١٥ مايو ١٩٧٢ اى قبل لقاء القمة الامريكى السوفيتى بخمسة أيام ، حضر الى مصر الماريشال جريتشكو ومعه قائد الطيران السوفيتى ، واحضروا معهم طائرة جديدة أسمها سوخوى ١٧ . واعلن جريتشكو بيانا ملتويا ومعدا من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، أثنى فيه على كفاءة الطيارين المصريين ، وقال فيه أننا تسلمنا قاذفات بعيدة المدى (وهو غير صحيح .. مما يوحى ـ كذبا ـ بان الطيارين المصرين يستخدمون هذه القاذفات المتوافرة فى قواتنا المسلحة ..

وكان هذا هو الهدف الاساسى من الرحلة . تصعيد الموقف

شكليا أمام أمريكا ، قبل رحلة نيكسون ، لاستعراض نفوذهم فى الشرق الاوسط ٠٠

ووافق أنور السادات على أعلان بيان جريتشكو ٠٠ كورقة سياسية ، وان كان رايه فيها أنها ورقة خائبة ٠٠ لانها تصعيد شكلى ٠٠ بينما تصعيد أمريكا يتخذ الاسلوب العملى ، وهو مد اسرائيل فعلا بالمقاتلات والاسلحة الحديثة ٠٠ واعترض السوريون على اذاعة بيان جريتشكو مادام لا يعبر عن واقع ، ولكن السادات أقنعهم بأنه لا خسارة من هذا البيان ٠

وطلب الرئيس السادات من وزير الحربية اعطاء نياشين لجريتشكو وكل ضباط البعثة العسكرية التى حضرت معه حتى أصغر ضابط ٠

وحمل الرئيس الماريشال جريتشكو رسالة منه الى الزعيم بريجنيف خلاصتها :

● مصر تخشى الا يسفر اجتماع نيكسون مع السوفيت عن اية نتيجة ايجابية نحو أزمة الشرق الاوسط ٠

● موقف أمريكا عام ١٩٧٢ سيىء ٠٠ وسيزداد سوءا ٠

● ألوقت بعد أجتماع موسكو سيكون ضيقا جدا ٠٠ ولا بد من عمل شيء قبل انتخابات الرئاسة فى أمريكا ٠

● مصر تؤيد موقف السوفيت نحو أعادة انتخاب نيكسون ٠ فهو أخف الاضرار بالنسبة لنا ٠٠ لانه من الافضل التفاهم معه بعد أعادة انتخابه ٠٠ بدلا من أن نبدأ من نقطة الصفر مع رئيس أمريكى جديد ٠ لاشيء يعزز موقفنا فىالاتصالات السياسية لتحريك القضيه ٠٠ الا الارتكاز على موقف عسكرى قوى ٠٠ وتسليح قادر على الحرب ٠٠ وقد أقر الزعيم بريجنيف من قبل هذا التصور ٠

وقال السادات لجريتشكو : أنه ينتظر تحليلا من الزعماء السوفيت بعد زيارة نيكسون عن النتائج المتوقعة ٠ وانه يحس بخطورة مرور الوقت ٠

التحليل السوفيتى ٠٠ بلا تحليل !

ويقول الرئيس السادات فى كتابه :

« تمت زيارة نيكسون للاتحاد السوفيتى فى مايو ١٩٧٢ ، ثم صدر أول بيان وفاقى بين موسكو وواشنطن يقول بالاسترخاء

العسكرى في الشرق الاوسط .. وكان صدمة عنيفة لنا لاننا كنا كما سبق أن قلت . خلف اسرائيل عسكريا بعشرين خطوة . ومعنى الاسترخاء العسكرى فى هذا الوضع هو التسليم من جانبنا لاسرائيل .

ثم جاء في التحليل السوفيتى بعد اللقاء مع نيكسون . ولكن متأخرا اكثر من شهر - في ٦ يوليو ١٩٧٢ - وكان التحليل السوفيتي يوضح أنه لم يحدث أى تقدم بالنسبة لقضية الشرق مع أمريكا .. تماما كما تنبأت لهم فى زيارتى لموسكو فى أواخر إبريل ١٩٧٢ وخاصة لانها سنة الانتخابات فى أمريكا .

والاغرب من هذا أن التحليل السوفيتى الذى حمله لى السفير السوفيتى متأخرا شهرا عما اتفقنا عليه فى لقاء اخر ابريل لم يذكر شيئا على الاطلاق عن ارسال الاسلحة المطلوبة كما اتفقنا .

بل أن هذا التحليل الذى كان يقع فى أكثر من صفحتين ونصف صفحة، لم يتعرض للمعركة والاسلحة المطلوبة كما اتفقنا فى ابريل الا في خمسة سطور أخيرة تقول ببساطة أننا لا نستطيع أن نبدأ معركة .. وان لهم خبرة فى هذا الموضوع . وكيف أنهم بذلوا مجهودا خارقا فى إقناع نيكسون بتنفيذ قرار ٢٤٢ لمجلس الامن »

هذا ما سجله أنور السادات فى كتابه التاريخى ..

ولكن كيف كان يفكر زعيم مصر .. منذ أن عاد من موسكو .. وقبل ان يصدر بيان الاسترخاء العسكرى الذى كان يتوقعه .. وبعد أن صدر هذا البيان .. ؟

تيقن أن أمريكا قد اشترت كل شىء من الاتحاد السوفيتى عن موقفه من الشرق الاوسط .. مقابل اتفاق الوفاق ..

فما العمل ؟

لم يشأ أن يصدر قرارا انفعاليا . وظل يفكر طويلا . وكان يستمر مستيقظا فى شرفة استراحة القناطر حتى الرابعة صباحا .. ثم يستريح قليلا .. ويستيقظ ..

أن وجود قوات سوفيتية فى مصر ، سيكون عائقا فعلا عن المعركة ... فليس من المعقول ان نقاتل وعلى ارضنا قوات أجنبية . كما أن كل دعاية اسرائيل ومناوراتها السياسية تتركز على أنها ستحارب جيشا سوفيتيا فى مصر .. ولذلك فهى تسرف فى طلب الاسلحة المتقدمة من أمريكا وتحصل عليها .

ونحن متهمون باننا في حماية القوات السوفيتية . وفي الوقت نفسه . فان كل جهود السوفيت قائمة على اقناعنا بالصبر . وعدم المخاطرة بالحرب وانتظار نجاح المساعي من أجل تسوية سلمية .

● السفير السوفيتي

مع رؤساء التحرير المصريين

وأذكر ان السفير السوفيتي في مصر - قبل آخر رحلة للسادات الى موسكو سبقت بيان الوفاق - دعا عددا من الكتاب والصحفيين الى عشاء ليلة سفر الرئيس . وجاءني من يقول أن السفير السوفيتي يرغب في أن تجلس الى مائدته . وقيل مثل ذلك للمرحوم يوسف السباعي وأحسان عبد القدوس . وأحسست بعد المناقشة ان السفير تعمد أن يوضح لنا وجهة نظر السوفيت . في انهم ضد أن يكون عام ٧٢ هو عام الحسم .. وأستشهد في ذلك بمثل سوفيتي يقول ما معناه « عندما أدخل حجرة فيجب أن أعرف كيف أخرج منها ، فلماذا تغلق مصر الباب على نفسها . وتحدد نهاية عام ١٩٧٢ بانها النقطة الفاصلة » .

وأذكر أنني رددت ضاحكا : مادام في الحجرة نافذة .. نستطيع أن نخرج منها بدلا من الباب .

وأستمر السوفيت على موقفهم .. وهو علينا أن نتجنب الحرب ونستمر في المساعي السلمية .. وسارت في مجراها الطبيعي ..

وقد جاءت وفود عديدة من موسكو الى القاهرة .. للاتصال بالتنظيم السياسي ورجال الاعلام ..

وزارني وفد برياسة الكسندروف نائب وزير الكهرباء .. وكل الوفد من رجال الصحافة وأعضاء في اللجنة المركزية ..

وكان محور النقاش الذي استمر في مكتبي أكثر من ساعتين بحضور الاستاذ خالد محيي الدين .. أنه من صالحنا ان نترك تماما فكرة الحرب . وان نكرس كل جهودنا من أجل السلام ..

واخذ يعطينا أحصاءات وصورا عن ويلات الحرب وخطورتها ..

واخيرا .. ضجر الرجل من نقاشنا .. ومن اصرارنا على أن الحرب هي الحل الوحيد .. فقال غاضبا :

- أنتم أحرار .. أننا لا نقيد أياديكم بالسلاسل حتى لا تحاربوا .. اذا كنتم قادرين على الحرب .. فحاربوا .. وسوف تتحملون أنتم التبعات وهذا قراركم ولسنا مسئولين .. ولكننا نحذركم كأصدقاء ..

بل أن رأى الكسندروف مع رفاقه ، أن هناك فى اسرائيل من يريدون السلام من أعضاء الحزب الشيوعى الاسرائيلى ٠٠ فلماذا لانتصل بهم ٠٠ وهذه بذرة ستنمو ٠٠

وانتهى تفكير السادات الى القرار ٠

● الحوار التاريخى ٠٠ مع القرار التاريخى

وعندما جاء السفير السوفيتى يحمل التحليل الكسيح للموقف بعد سياسة الوفاق فى ٢٦ يوليو ١٩٧٢ ٠٠

واستمع السادات الى التقرير . وأسند يده على عصاه . ونظر الى السفير السوفيتى فى غضب وسأل :

– هل انتهت الرسالة ٠٠

السفير – نعم ٠

السادات – هل هذه هى كل الرسالة ؟

السفير – نعم ٠

السادات – لقد كنت معنا فى موسكو فى ابريل الماضى ،وسمعت اتفاقنا بارسال الاسلحة قبل موعد الانتخابات الامريكية ٠

السفير – نعم ٠

السادات – ان هذه الرساله لم ترد على ذلك ٠

السفير – ان هذه هى الرسالة التى تلقيتها ٠٠

السادات – هذه الرسالة مرفوضة شكلا وموضوعا ٠وانا لا اقبل أن يجىء لى مثل هذا الرد بعد شهر ونصف ٠ وكفى أننى تحملت هذا الاسلوب عاما ونصف عام ٠

لم ينفذ بريجنيف وعده لى فى مارس ١٩٧١ ٠

لم ينفذ بريجنيف وعده لى فى مايو ١٩٧١ ٠

لم ينفذ بريجنيف وعده لى فى اكتوبر ١٩٧١ ٠

واخيرا هذه الرسالة ٠٠ بعد رحلتى الاخيرة اليكم بنـــاء على طلبكم ٠٠ وغضبت جماهير الشعب المصرى ٠ وتحملت ٠ واتهمتكم الجماهير ودافعت عن مواقفكم لاننى حريص على استمرار الصداقة والتعاون ٠ ولكننى أطلب منك الآن أن تبلغ الزعماء السوفيت اننى لن أتحرك على مزاج الاتحاد السوفيتى ٠ أنتم غير جادين معنا ٠ لقد اتفقتم مع الامريكان على تجميد الموقف وعدم قيام المعركة ٠ ولكننى لن اقبل وصاية منكم ولا من أمريكا ٠

ثم وجه الرئيس كلامه الى مستشاره حافظ اسماعيل :

– النهاردة كام فى الشهر ٠

حافظ اسماعيل ــ ٨ يوليو ٠٠
الرئيس ــ أكتب يا حافظ كل ما سأمليه عليك ٠ وهذه رسالة رسمية الى القادة السوفيت ٠

لقد قررت ابتداء من هذه الليلة ، الاستغناء عن جميع الخبراء العسكريين السوفيت (وهم حوالى ١٥ الفا) وأن يعودوا الى الاتحاد السوفيتي في فترة أسبوع من اليوم ٠ وسأعلن وزير الحربية غدا بهذا الامر ٠

وهناك معدات سوفيتية وهي أربع طائرات ميج ٢٥ ، وهناك محطة للحرب الالكترونية ، ويعمل عليها طاقم سوفيتي ، فأما أن يبيعها الاتحاد السوفيتي لنا ، أو يسحبوها الى الاتحاد السوفيتي ٠ وبالنسبة لتنفيذ المعاهدة المصرية السوفيتية ،لابد أن تجرى مباحثات بين البلدين ، على أعلى مستوى ٠٠ وفي القاهرة ٠

السفير السوفيتي ــ اسمح لى أن أسأل ياسيادة الرئيس ٠٠ هل أرسل هذه القرارات الى موسكو ٠٠ على أنها للتفاوض بشأنها ٠

الرئيس ــ لا ٠٠ هذه قرارات سيادة غير قابلة للمناقشة ٠

ثم قال الرئيس لمستشاره : ياحافظ ٠٠ هذه القرارات تبلغ فورا الى وزير الحربية لكى تنفذ صباح ١٧ يوليو ٠

وانهى الرئيس المقابلة ٠

● الاستراتيجية المصرية تستفيد من تصوراتهم

ويعلق السادات على ذلك في كتابه البحث عن الذات :

« ولم يصدق السفير السوفيتي ، واعتقد انها عملية ابتزاز ٠ وفي يوم ١٦ يوليو ١٩٧٢ كانت جميع قراراتي قد نفذت ورفضوا أن يبيعوا لنا الطائرات وأجهزة التشويش فسحبوها معهم ٠

من أسباب هذه القرارات موقف الاتحاد السوفيتي منا طبعا ٠ ولكن كان هناك سبب آخر مهم وهو أننى قد بنيت استراتيجيتي على أساس الا أبدأ المعركة وعلى أرض مصر خبراء سوفيت ٠ »

ثم يقول كتاب « البحث عن الذات » :

« حلل السوفيت والغرب واسرائيل طرد الخبراء السوفيت ، ووصلوا في النهاية الى قرار خاطىء أفادني كما توقعت في استراتيجيتي ٠٠ وهو انني قد استقر رأيي على ألا أدخل المعركة ٠ وقد أسعدني هذا التحليل ، لان هذا ما كنت أود أن يتوهموه ٠ ومن الاسباب الاخرى لطرد الخبراء السوفيت ، ان السوفيت كانوا قد بدأوا يشعرون أن لهم وضعا ممتازا في مصر ، لدرجة أن السفير

السوفيتى بدأ يأخذ لنفسه وضعا أشبه ما يكون بوضع المندوب السامى البريطانى ايام الاحتلال .

وقد حدثنى مدير العمليات العسكرية وكان الجمسى فى ذلك الوقت عن عمليات التشويش ، والاربع طائرات والمعدات التى يعمل عليها خبراء سوفيت .. فقال انهم كانوا يرفضون تنفيذ أى أمر الا بعد أن تأذن لهم موسكو .

وكان من أهم الاسباب لقراراتى هذه ، انى أردت أن أضع السوفيت فى حجمهم الطبيعى كدولة صديقة . لأنهم ظنوا فى مرحلة من المراحل ان مصر أصبحت فى جيبهم ، وظن العالم أن الاتحاد السوفيتى هو ولى أمرنا . فأردت أن أقول للسوفيت أن ارادة مصر تنبع فقط من ذاتها ، وان أقول للعالم ان أمرنا بيدنا وحدنا ، فمن يرغب فى الكلام عن مصر .. يأتى الينا ويتكلم معنا لا مع الاتحاد السوفيتى » ..

●●●

وكان هذا هو موقف مصر .. بعد قرار مؤتمر الوفاق بالاسترخاء العسكرى وتجميد الموقف . وكان مفاجأة قاصمة للسوفيت .. كما كان مفاجأة مذهلة لامريكا .. وتصور السوفيت أن القرار تم باتفاق سرى مع أمريكا .. فى الوقت الذى كان كسينجر يتساءل فيه : لماذا لم يتشاور معنا السادات قبل هذا القرار .. كان فى يده أن يساومنا للحصول على موقف أمريكى افضل .

ولكن الطرفين .. موسكو وواشنطن .. لم يفهما انور السادات .. ولم يدركا معنى قرار السادات ، ومعنى الارادة المصرية . وكان آخر ما يتخيلونه أن السادات سيحارب فعلا ! .. لقد أدارت موسكو وواشنطن بعد هذا القرار ، لعبة القوى الكبرى ،على أساس أن مصر لن تحارب ..

موسكو تصورت أن السادات عقد صفقة سياسية سرية مع أمريكا ..

وواشنطن تصورت أن السادات لن يحارب .. وأنه فى الطريق اليها مستسلما ..

وكانت حرب أكتوبر هى المفاجأة المذهلة ..

كانت على الرغم من ارادة الاتحاد السوفيتى ..

وكانت مفاجأة لامريكا .. التى تصورت أننا سننتهى فى أيام .. واننا سرنا الى قبورنا بارادتنا .

برجنيف يختطف نيكسون بعد العشاء

● اشـــار برجنيف عرضا الى ان مســـالة الشرق الاوسط تستحق مناقشة !

● لم يضغط الاتحاد السوفيتى علينا سوى بالكلام .. كانوا يتحدثون لمجرد تسجيل موقف .

● قصة الملاكمة الوهمية التى شهدها كسينجر بين الزعماء السوفيت .. ونيكسون .

● لماذا استبعدوا جروميكو من الحضور فى الاجتماع المفاجىء بعد العشاء ؟

● الفصل الحادى عشر ●

بريجنيف يختطف نيكسون بعد العشاء

كتب كسينجر :

كان من المفروض أن يتولى دوبرينين سفير موسكو في واشنطن .. وأنا القيام بعملية تنقيح أو صقل هذه المبادىء عقب عودتنا الى الولايات المتحدة . ولم يفعل السوفييت ذلك أبدا .. وربما كان السبب هو أن محاولتهم اقناع زبائنهم العرب بهذه المبادىء قد قوبلت بالرفض . كذلك لم نفعل نحن . وقد أثيرت هذه المبـــادىء مرة أخرى فى قمة عام ١٩٧٣ .. وأيضا دون نتيجة .

واحطر عمه أمام تكتيكاتى التى تســتهدف التعطيل جاءت من ناحية هيئة المساعدين الذين يعملون معى .. فمن اجل اضاعة اكبر قدر من الوقت فى اجتماعى جروميكو فى ختام قمة موســكو .. طلبت من جروميكو أن يكرر بعض الصيغ التى قدمها .. مرة بعد اخرى وذلك بحجة اننى أريد (ان اتفهم هذه الصــيغ بصــورة أفضل) . ومن الواضح أن بيتر رودمان ـ الذى كان يتــولى من جانبنا تسجيل الاجتماع ـ تصور ان مطالبى جروميكو بتكـرار ما يقول يشكل طعنا فى كفاءته وفى ثقتى بقدرته .. فأخذ يقاطعنى لكى يسلمنى النص المحدد والدقيق لاقتــراح جروميكـو الذى كان رودمان قد كتبه حرفيا منذ اللحظة الاولى التى ذكر فيها جروميكو اقتراحه . ولم يردع رودمان محــاولاتى المتكــررة لدفعه بمرفقى لكى اجعله يتنبه لما يفعله فى كل مرة يقاطعنى فيها عندما ينطرق الحديث الى (مبدأ) جديد فى قائمة جروميكو !



اجتماع مفاجىء بين برجنيف ونكسون
بعد العشاء استبعدوا جروميكو عنه

وقد وجهت اللوم اليه فيما بعد بسبب افراطه فى الحماس (دون أن يفطن الى اللعبة التى يمارسها كسينجر) الى الحد الذى جعله هو ومساعدى الاخر وينستون لورد يكفان نهائيا عن تسليم وثيقة لى فى حضور وفد اخر أثناء مفاوضات من أى نوع ٠٠ حتى عندما اطلب مثل هذه الوثيقة منهما ! ودافعا عن موقفهما بالقول بانه لاسبيل امامهما للتأكد مما اذا كنت اريد هذه الوثيقة بالفعل أم ان هذا الطلب من جانبى مجرد ذريعة للتسويف والمماطلة ٠ فقد حدث بعد ذلك بشهر واحد اثناء رحلتى للصين اننى توجهت الى وينستون لورد لاطلب منه وثيقة ٠ وكانت فى حوزته ٠ ولكنه تظاهر بانه لايعرف مكانها حتى لا يخاطر مرة اخرى بالقاء اللوم عليه ٠ واضطررت للاستمرار فى المناقشة بدون الوثيقة ٠

وقد توسل رودمان ووينستون لى دون جدوى لكى نتفق على نظام للاشارات بالايدى أو بعض المفردات اللغوية التى يمكن استخدامها كشفرة أو غيرها من الوسائل حتى يستطيعوا معرفة ما اذا كنت أريد حقا ما اطلبه منهما ٠ وبعد ذلك بسنوات ٠٠ كنت اذا طلبت فى بعض الاحيان من لورد أو رودمان احدى الوثائق ٠٠

ينفجران في نوبات متتالية من الضحك مما كان يجعل رئيس الدولة أو وزير الخارجية الذى اتفاوض معه مصعوقا من الدهشة بسبب هذا الانهيار الكامل فى النظام على ايدى المساعدين الذين يعملون معى والذين يفترض فيهم انهم يخافون من أن يعبس احد فى وجوههم ٠

وكما اثبتت الاحداث فيما بعد ٠٠ فقد اتضح ان قمة موسكو كانت القشة الاخيرة بالنسبة لانور السادات

ففى ١٨ يوليو ١٩٧٢ – اى بعد ستة اسابيع من قمة موسكو – قام بتتويج مرحلة دامت شهورا من التحرر المتزايد من الاوهام ازاء موسكو بطرد المستشارين والفنيين العسكريين السوفيت ٠ انه حدث من الاحداث الجذرية التى تحمل فى طياتها بذور التطور نحو المستقبل فى التاريخ الحديث للشرق الاوسط

● اين قامت الثورة ؟

بقيت فى موسكو اعمل انا وجروميكو على اعداد البيان الختامى برمته بينما كان نيكسون يزور مدينة لينينجراد ٠ وكان ضياع فرصتى فى القيام بالرحلة الى لينينجراد ٠٠ موضوعا لنكتة مستمرة بين جروميكو وبينى ٠ فقد وعدنى السوفيت بتعويض عن حرمانى من الزيارة بان يرافقونى الى مدينة لينينجراد فى الرحلة التالية الى الاتحاد السوفيتى ٠٠ وفى كل مرة فى زياراتى العديدة المتتالية للاتحاد السوفيتى ٠٠كانت زيارة لينينجراد ضمن برنامجى الاصلى٠ غير اننا فى كل مرة نضطر الى الغاء الزيارة بسبب ضغط العمل فى موسكو ٠ وفى النهاية قلت لجروميكو اننى أصبحت أشك فى وجود مدينة لينينجراد على خريطة الاتحاد السوفيتى وأن الوعود التى قدمت لى بأننى سأذهب الى لينينجراد هى مجرد وسيلة لاغرائى بان اكون متعاونا ٠ ورد جروميكو على ذلك ٠٠ بقوله : اذا لم تكن لينينجراد موجودة حقا ٠٠ فأين حدثت (ثورتنا) ؟ ولم اتمالك نفسى عندما اجبت قائلا (فى سان بطر سبورج) ؟ (الاسم القديم لمدينة لينينجراد اثناء الحكم القيصرى)

● بريجنيف يختطف نيكسون

كانت المواجهة المثيرة قد وقعت عندما اختطف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ٠٠ رئيس الولايات المتحدة ٠ فقد وجه بريجنيف دعوة لنيكسون لتناول العشاء يوم٢٤

مايو لمعالجة (القضايا البارزة) وأوضح ان القيـــادة السوفيتية العليا فقط هي التى ستكون حاضرة فى هذا اللقاء · وكان استبعاد جروميكو من الحضـــور يعنى أن يقتصر الحــاضرون من الجـــانب الامريكى على اعضاء مجلس الامن القومى ·

وقيل لنا في البداية ان بريجنيف يريد مناقشة موضوع الشرق الاوسط ، ولكن أناتولى دوبرينين السفير السوفيتى فى واشــنطن (الذى كان فى موسكو لحضور المباحثات) قال لى ان الارجح أن يكون الموضوع الذى يشغل ذهن بريجنيف هو فيتنام ·

جاء اقتراح بريجنيف مفاجئا بينما كان يغادر هو ونيكسون حفل التوقيع على بيان قمة موسكو فقد قال لنيكسون هيــا بنــا معا الى « الداشة » « بيت ريفي روسى » ولم يكن في وسع نيكسون أن يفعل شيئا فقد دفعه بريجنيف دفعا الى سيارته الليموزين الكبيرة ·

● ملاكمة وهمية

في غرفة الاجتمـــاعات فى « الداشة » جلس الزعمــاء السوفيت ونيكسون في مواجهة بعضهم البعض على مائدة بيضاوية ·· وبدأت المناقشة ناعمة وبريجنيف يستعرض حالة المفاوضات المتعددة واقترح أن يتولى جروميكو وكسينجر متابعة محادثات سولت والتوصل الى تعليمات مشتركة للوفود فى هلسنكى · وفى النهاية أشار بريجنيف عرضا الى أن الشرق الاوسط وفيتنام قد يستحقان المنــاقشة عند نقطة معينة ·

بدا أن هذه الملاكمة الوهمية مع خصم وهمى يمكن ان تستغرق الليل بطوله · وقرر نيكسون أن يطرح موضوع فيتنام مباشرة على المائدة ·· ولو لم يطرحه ·· فانه من المؤكد أن الزعمــاء السوفيت كانوا سيطرحونه ·

وتحدث بريجنيف ثم كوسيجين وبودجورنى عن فيتنام · تلغيم موانىء فيتنام الشمالية ــ الاضرار التى لحقت بسفن سوفيتية قرب الساحل الفيتنامي ــ سقوط عدد من السوفيت قتلى فى ميناء هايفونج بفيتنام الشمالية ــ قصف هانوى فى أول مرة أثناء زيارة كوسيجين · وكان الجميع يختتمون حديثهم بالهجوم على الصين والتحذير من استغلالها لاستمرار الحرب فى فيتنام ·

وأوضح بريجنيف أنه كان من الصعب على موسكو عقد هذه القمة فى تلك الظروف (يقصد تصعيد الحرب الامريكية ضد فيتنام) ومع

ذلك فان الزعماء السوفيت وافقوا على عقدها بدافع الامل فى تنمية علاقات أفضل بين دولتين تتمتعان بهذا القدر من القوة الاقتصادية والمستوى العالى من الحضارة

وفجأة شعرت بأننا نشترك فى مشهد تمثيلى . ذلك أنه على الرغم من اللهجة التى تميل الى نزعة القتال والمتشددة للغاية فان كل الكلمات التى قيلت لم تكن تنطوى على مضمون عملى . ولم يضغط الزعماء السوفيت علينا الا بالكلام . كانوا يتحدثون لمجرد تسجيل موقف . وعندما تحدثوا بما يكفى لارسال محضر لهذا الاجتماع الى هانوى .. كفوا عن الحديث .

وأشار نيكسون بفتور الى أن الاتحاد السوفيتى قام بدور « مفيد » فى شهر ابريل ١٩٧٢ فى استئناف المحادثات السرية بين أمريكا والفيتناميين ، كما أشار الى عرض بريجنيف وقف اطلاق النار الذى وافقت عليه واشنطن ورفضته هانوى على الفور . ثم قال نيكسون بحدة أن المناقشة طالت أكثر مما يجب . وعند هذه النقطة قرر بريجنيف فيما يبدو أن محضر الاجتماع قد اكتمل (وأننا أجرينا مناقشة جدية لمشكلة ذات اهمية عالمية) كما لو كان ما جرى عبارة عن محاورة مجردة بين مجموعة من الاساتذة . وقال أنه استخلص من ملاحظات نيكسون أن الولايات المتحدة مستعدة للبحث عن حل معقول . وتدخل كوسيجين ليقول انه لاتوجد سفينة واحدة تحمل معدات حربية فى الطريق الى فيتنام بل تحمل فقط الدقيق والمواد الغذائية .. اما أسلحة من أى نوع .. فلا !

وقد يوضح هذا القول أن موسكو تمارس ضغطا على هانوى أو قد لا يعنى شيئا ما دامت موانىء فيتنام الشمالية قد أغلقت بواسطة الالغام التى وضعناها .

● نقطة تحول

وكان آخر حديث خاص بين بريجنيف ونيكسون أكثر هدوءا . فقد سأل بريجنيف عما اذا كنا نرى أن زيارة زعيم سوفيتى — وبالتحديد بودجورنى — لهانوى سيكون أمرا مفيدا وكان جروميكو قد أبلغنى فى اليوم السابق بأنه من المحتمل أن يثير بريجنيف هذا الموضوع (حتى يتيح لنيكسون ولى فرصة بحث الاقتراح قبل الرد) ولكننا تصورنا أنه من المستبعد أن تجعل موسكو رحلات واحد من زعمائها الكبار أمرا يخضع للترحيب من جانبنا .. او لموافقتنا .

وقال نيكسون أنه يرحب برحلة بودجورنى . وهنا اقترح بريجنيف وقف الغارات الجوية الامريكية على فيتنام الشمالية أثناء زيارة بودجورنى .. ووافق نيكسون ـ الذى كان يتوقع هذا الاقتراح ـ ولكن .. على أن تكف أمريكا عن قصف العاصمة هانوى وميناء هايفونج فقط بشرط ألا يبقى بودجورنى هناك ـ فى فيتنام الشمالية ـ ثلاثة أشهر !!

ان مؤتمر قمة موسكو كان فى مساره ومحتواه نجاحا كبيرا للسياسة الامريكية . وقد ساعدنا المؤتمر على عزل هانوى .

كما كان للمؤتمر نفس الاهمية بالنسبة لتطور أحداث الشرق الاوسط . وكما سيتضح فيما بعد فقد كانت قمة موسكو نقطة تحول بدأ عندها المعتدلون العرب يتجهون نحو واشنطن . كانت تلك القمة خطوة فى العملية التى شهدت ـ بعد ١٨ شهرا ـ الاعداء السابقين يستهلون رحلة متعرجة نحو السلام فى ظل رعاية أمريكا .

● تعليق على
الفصل الثاني عشر

ماذا دار بين السادات وروجرز .. وتجاهله كسينجر في كتابه ؟



هذا الفصل الجديد ، يتناول المناورات التي أدارها كسينجر قبل مؤتمر قمة الوفاق بين بريجنيف ونيكسون في مايو ١٩٧٢ .. وبعد هذا المؤتمر الذي تراجع فيه الاتحاد السوفيتي تراجعا كاملا . عن أي موقف شريف تجاه مصر والدول العربية .. ورفع يديه مستسلما امام أمريكا . واتفق معها على تجميد الموقف في الشرق الاوسط .. وعلى الترحيب بحالة الاسترخاء العسكري .

كما اتفقنا سرا على العمل على استمرار هذا التجميد والاسترخاء . وكان ذلك في مقابل توقيع أمريكا لاتفاق « سولت الاول » بالحد من الاسلحة الاستراتيجية .. وهذا ماكان يتلهف عليه الاتحاد السوفيتي .. الذي يريد أن يعوض القصور والتخلف فيمستوى معيشة المواطن السوفيتي في الداخل .. والذي كان - ولا يزال - يحتاج الى القمح الامريكي بكميات ضخمة .. ومن هنا تخلى الاتحاد السوفيتي عن تأييده لفيتنام الشمالية . ووعد بالمساعدة على انجاح مباحثات السلام مع « هانوي » التي كانت تريدها أمريكا .. كما تخلى أيضا عن مصر والأمة العربية .. وباع كل حقوقنا على الارض المغتصبة .. واكتفى بالرسائل

المطمئنة ·· وباعطائنا السلاح ـ بعد التذمر والغضب والشكوى من مصر ـ الذى يريده وبالكميات التى يريدها ، وحرمنا من أسلحة الردع ·· حتى لانتمكن من الاستعداد للحرب ·· وفى الوقت نفسه هو عاجز عن ايصالنا لأية تسوية سلمية ، لأن أمريكا هى التى تملك كل أوراق لعبة السلام ··

● زبون « موسكو »

ولذلك كان الجو طليقا أمام كسينجر ، وهو مستشار الامن القومى للرئيس نيكسون ، أن يضع كل العراقيل أمام محاولات « روجرز » وزير الخارجية ، المخلصة للشروع فى مباحثات سلام ·· كما كان الجو طليقا أمام كسينجر ، لكى يقضى على معارضة وزارة الدفاع الامريكية لاعطاء مزيد من الاسلحة الخطيرة الحديثة لاسرائيل ·· فعندها ما يكفى ويزيد·· ولكن كسينجر كان يستخدم الحجة الزائفة، بأنه لا سبيل لاقناع اسرائيل بالمرونة ·· الا باسكاتها بمزيد من السلاح ·· كما أنه استغل أن نيكسون قد دخل على سنة انتخابات الرياسة ·· ولا يريد المتاعب سواء فى أزمة الشرق الاوسط·· أو من القوى الصهيونية المتحكمة داخل أمريكا ·· فكان طبيعيا ان يرحب نيكسون ، بمقترحات هذا الداهية كسينجر ·· وكلها تدور حول تجميد الموقف ··ونجح فى ذلك مع الاتحاد السوفيتى الذى كان يعتبره وصيا علينا ·· وكما يصف مصر فى مذكراته بأنها « زبون » موسكو كما كان الاتحاد السوفيتى يتحدث عن مصر باسم الوصى على طفل قاصر ·

ولم يستطع « روجرز » الطيب القلب والنوايا ، أن يصمد لألاعيب كسينجر ·· ولا لقوى الضغط الصهيونى ·· ولا لسياسة نيكسون ذات الاقنعة العديدة ·· وتراجع روجرز ـ بل اعتذر لاسرائيل ـ وماتت كل محاولات السلام ··

ولكى أعطى القارىء ، صورة حقيقية ، لفداحة الاضرار التى تسببت فيها سياسة كيسنجر ، يكفى أن أعرض الشريط الصادق ، لزيارة روجرز لمصر ·· وكيف أن هذا الرجل الامين ـ الضعيف ـ غادر مصر وهو مقتنع تماما ، بوجهة النظر المصرية ·· وهو مقتنع تماما أيضا ، بالتعنت الاسرائيلى ، وتصميم تل أبيب ـ استنادا الى كسينجر والقوى الصهيونية داخل أمريكا ـ على قتل أى محاولة للسلام ··

أما سيسكو ـ فكما قلت فى تعليق سابق ـ فقد كان يلعب على كل

الحبال · هو ماض مع روجرز فى سياسة السلام ·· لأن هذا هوالامر الواضح الحق · وهو أيضا ماض مع كسينجر ·· مبلغا اياه أسرار كل تحركاتروجرز — التىكان يخفيها عنكسينجر — لانه لايريد أن يفقد رضاء هذا الداهية القادر على استغلال كل المواقف ·· لفرض سياسته ·· وهى قتل كل محاولات السلام ·

● هذه الاعترافات المؤلمة

وقبل أن أعرض تفصيلات زيارة روجرز وكل المناورات الامريكية الكسينجرية ·· كما شرحها السادات فى كتابه البحث عن الذات·· وفى اجتماع مغلق للقيادات الصحفية والاعلامية فى أكتوبر ١٩٧١ ··

قبل ذلك أوجز اعترافات كسينجر فى هذه الصفحات التالية ·

لقد اعترف بعلمه الكامل — وتاييده — لمناورات اسرائيل لقتل مبادرة السادات فى فبراير ١٩٧١ · ان موشى ديان أعلن اقتراحا بانسحاب جزئى اسرائيلى من شرق القناة ، يقابله انسحاب مصرى مقابل من غرب القناة ! وكان ديان يعلن فى ذلك الوقت — وهذا ما لم يسجله كسينجر — أن اسرائيل تملك نصف القناة ·· ثم عاد ديان وتنصل من هذا الاقتراح الهزيل عندما زار واشنطن فى ديسمبر ١٩٧٠ ·· وقال ان اسرائيل لن (تمنح) مصر ·· (نعمة) اعادة فتح قناة السويس ·

ويعترف كسينجر بأن مصرارادت اتفاقية مؤقتة ، كخطوة أولى نحو انسحاب كامل ·· وكان عرض ديان بهدف احباط فكرة الانسحاب الكامل ،وارجاء مناقشة الحدود النهائية ··حتى يسقط أى احتمال لأن تشن مصر حربا ·· ولكن السادات اصر على أن انسحاب اسرائيل الاول يكون خطا وراء العريش والمضايق ·· كما اصر على عبور قوات مسلحة مصرية الى شرق القناة ·· وذلك كجزء من تسوية تحقق الانسحاب الكامل ·

وأيد كسينجر الاتجاه الاسرائيلى··وهو الفصل الكامل بيناتفاقية مرحلية وتسوية شاملة ·· واعترفأن تأييده لذلك قائمعلى أنالسلام هو فى يد أمريكا ·· ولذلك تستطيع أن تفرض شروطها ! وركز كسينجر كل جهوده فى المراوغة على فكرة اتفاقية مرحلية فقط بحجة كسر الجمود وتحدث فىذلك مع دوبرينين السفير السوفيتى واشرف غربال المشرف على المصالح المصرية فى أمريكا ·· والواقع انه كان

لا يريد الا الجمود باعترافه · ولذلك فقد اعترض على زيارة روجرز للشرق الأوسط ، بمذكرة تعبر سطورها الجافة على أنه كان يعتبر روجرز كما لو كان ساعيا فى مكتبه ! وكان رايه « لا خروج عن الحالة الراهنة » · وكان سعيدا بأن اسرائيل حددت موقفها بتراجع قصيرَ لقواتها شرق القناة · وعدم عبور قوات مصرية الى الشرق · مع تخفيف القوات المصرية فىالغرب(!!)·ووقف اطلاق النار الىاجل غير مسمى ·· ولا ربط مع أى انسحاب آخر فى المستقبل ·

● مقترحات بيرجس ·· والمعاهدة

وعندما تقدم ممثل المصالح الامريكية فى مصر دونالد بيرجس . باقتراحات أمريكية جديدة ــ بالاتفاق مع وزارة الخارجية الامريكية . من وراء ظهر كسينجر ·· وكانت اقتراحات تتفق مع وجهة النظر المصرية الى حد بعيد ·· استطاع كسينجر أنيجبر روجرز علىالتنصل من هذه الاقتراحات والاعلان أنها من بنات أفكار بيرجس ·· وقال كسينجر فى مذكراته أنه لا يصدق طبعا أن بيرجس يقدم على هذه الخطوة ومن غير تفويض من وزير الخارجية الامريكية ·

ثم يحتج كسينجر بأن معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية التى عقدها السادات فى ٢٧مايو ١٩٧١ ··أدت الى تعقيد الموقف·ولذلك رفض كسيجنر تفسيرات روجرز ·· وتحليلات المخابرات المركزية الامريكية ·· بأن هذه المعاهدة لن تغير من الواقع شيئا ·· بل أنها تساعد على مرونة الموقف المصرى ، لأنها تركز على الدعم العسكرى السوفيتى الطويل المدى لمصر ··

ولكن كسينجر انتهزها فرصة أخرى للتعويق . وقال انها قنبلة بل مفاجأة مذهلة ·· تؤدى الى ازعاج الاسرائيليين وتزيد من صعوبة الوصول الى تسوية مرحلية ·· وكتب الى نيكسون مذكرة حاسمة بذلك ·

● اغفال الحقائق

واذا كان كسينجر يعتذر الآن من عدم ابدائه هذا الرأى، لأنه حتى ذلك الحين لم يكن يفهم من هو أنور السادات ·· ولم يكن يعرف أبعاد زعامته التاريخية ·· الا أن هذا الاعتذار لا يبرىء كسينجر ·· لأن الحقيقة التى تجاهلها فى مذكراته .أن نيكسون أرسل مبعوثا خاصا الى الرئيس السادات ·· بعد توقيع هذه المعاهدة ، وعاد هذا المبعوث الى نيكسون بالرد الشامل والتوضيح الكامل . بأن مصر تتحرك

بارادتها ٠٠ وان هذه المعاهدة ليست الا تعبيرا عن أمر واقع ٠٠ بل سوف يتضح عندما أعرض رواية الرئيس السادات لكل الاحداث ، ان كسينجر يغفل ذكر الحقائق التى وصلت بالقطع الى سمعه حينئذ ٠٠ وذلك لكى ينفذ استراتيجيته ٠٠ القائمة على قتل كل محاولات السلام ٠٠ معتمدا على أن الاتحاد السوفيتى سوف يتراجع عن التأييد الفعلى للمطالب المصرية بالانسحاب الكامل ٠

وأعود الى العرض الحقيقى الصادق لزيارة روجرز لمصر الى كتاب « البحث عن الذات » والى الاجتمـــاع المغلق الذى عقده الرئيس مع القيادات الصحفية والاعلاميـــة فى أكتـوبر ١٩٧١ ليروى لنا حينئذ حقائق الموقف الامريكى ٠ فلم يكن السـادات جاهلا ، بكل مناورات البيت الابيض ولكنه كان يريد ان يقدم لواشـــنطن الدليل بعـد الدليل ، على أن سياسة الخداع لن تجدى مع مصر ٠

مبادرة ٤ فبراير ٧١ ٠٠ لماذا ؟

وصف الرئيس السادات فى ذلك الاجتماع ، الاسباب التى دعته الى اعلان مبادرته فى ٤ فبراير ١٩٧١ ٠٠ وأساسها أنه اذا انسحبت اسرائيل من ضفة القناة الى المضايق ، فاننا على استعداد لفتح قناة السويس بعد أن تعبر قواتنا الى شرق القنـاة ٠٠ وسوف تمد مصر وقف اطلاق النار ٦ أشهر بدلا من ٣ أشهر كما عرضت مبادرة روجرز٠ وسيكون هناك وقف اطلاق نار رســـمى ٠٠ وسوف تعيـد مصر العلاقات مع أمريكا ٠

كان هدف السادات أن ناخذ فرصة للاستعداد العسكرى بعد أن ضربت اسرائيل قناطر نجع حمادى وكانت تريد اغراق الصعيد ٠٠ والسلاح السوفيتى لا يسعفنا ٠ كما كان هدفه جذب دول غرب أوربا الى تأييد الحق العربى ،لأن افتتاح القناة ، سيخفف عن هذه الدول بلايين الجنيهات فى مصاريف نقل البترول ٠٠ بعد ان ارتفعت أسعار البترول بسبب اغلاق القناة ٠

وكانت المبادرة المصرية مؤيدة من الدكتـور محمود فوزى رئيس الوزراء الذى كان ينادى بأنه لابد أن نتحرك وآلا نقف محلك سر٠٠ وقال السادات : كان هدفى هو تحريك القضية ٠ وأن نبعد عن العالم فكرة أن القضية اصبحت وقف اطلاق النار أو اطلاق النار ٠٠ وان ننتقل فى اتصالنا السياسى الى صلب القضية ٠٠ وأن ناخذ فرصـة لاستكمال الاعداد العسكرى ٠٠وأن نحرك أوربا الغربية الى جانبنا،

بعد أن كنا بعيدين عن أوربا الغربية تماما بسبب سيطرة اسرائيل لمده ٢٢ سنة وبدعايه مدروسة تماما .

وتجاوب الرأى العام فى الداخل والخارج مع المبادرة .

● رسالة هامة من السادات الى نيكسون

وبدأ الرئيس يشرح بعد ذلك الموقف الامريكى ..

ــ لقد رحبت امريكا بالمبادرة . وهذه كانت خطوة . والواقع أن أول اتصال تم مع امريكا كان فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ، عندما أحال الى الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء خطابا تلقاه من الرئيس نيكسون يشكر مصر لانها أوفدت الدكتور فوزى ليمثلنا فى جنازة ايزنهاور .. مباشرة استدعيت القائم على رعايه المصالح الامريكيه عندنا . وأطلعته على خطاب نيكســـون وقلت له : لقد استدعيتك لاحملك الرد الى الرئيس الامريكى .. وهذا هو نص الرسالة :

أولا : لقد ارسلت لكم مع ريتشارد سون الذى جاء للعــزاء فى عبد الناصر ولكنكم لم تردوا علينا .. مبادرة روجرز انسقتم فيها وراء دعوى اسرائيل أن مصر قد نقضت المبـــادرة وانتم تعلمون جيدا ان الارض شرق القناة وغربها مصرية .

ثانيا : بمجرد انكم ارسلتم خطابا لرئيس وزرائنـــا . تعبرون فيه عن شكركم وتطلبون فيه ابلاغى بهذا الشكر .. ها انا اكتب اليكم لاوكد رسالتى التى بعثت بها مع ريتشارد سون . ولاقول لكم اذا كنتم تعتقدون اننا فى منطقة النفوذ السوفيتى فانتم مخطئون .. نحن لسنا فى منطقة نفوذ سوفيتية ، ولن نكون فى منطقة نفوذ أحد ابدا .. وارجو ايضـــا ان تعلموا انه ليس لمصر ولى أمر . فاذا شئتم أن تتحدثوا عن أى شيء خاص بمصر . فالمكان هنا فى القاهرة ومعى .. لا مع أى جهة أخرى (وبهذه الجهة الاخرى كنت اعنى صراحة كما افهمت المشرف على رعاية المصالح الامريكية ــ السوفيت الذين ارادوا ان يتولوا امرنا وكان عبد الناصر قد أعطاهم هـــذا الحق فى مرحلة من المراحل) .. وارجو ايضا أن تعلموا أن قرارنا بيدنا وحدنا . فنحن أحرار ومستقلون . فاذا اقتربتم منا خطوة . فسنقترب منكم عشر خطوات ، واذا ابتعدتم خطوة فسنبتعد عشرا . وكما أن فى القوانين الطبيعية لكل فعل رد فعل ، كذلك شـــأننا معكم ، فكل فعل طيب من جانبكم ، سوف تـــكون له عشرة ردود أفعال طيبة من جانبنا ، والعكس صحيح » .

ويمضى السادات قائلا : « وفى ٤٨ ساعة جاءنى الرد موقعا عليه من نيكسون ، وكانت رسالة رقيقة يشكرنى فيها الرئيس الامريكى ، ويقول انه لا يطلب صداقتنا على حساب أحد ‥ وكنت قد حذرته فى رسالتى من هذا ‥

● ارادها كيسنجر ‥ مهمة مسرحية

ثم أعلن الرئيس السادات فى ٤ فبراير ١٩٧١ مبـــادرته أمام البرلمان ‥ بعـد صمت امريكى اسـتمر أكثـر من شهر ‥ وكان يريد أن يعطى نفسه فرصة للاستعداد العسكرى ‥ وكان البيت الابيض يصل الشعره لكى يقطعها فى سياسة المراوغـة التى اتفق عليها نيكسون وكسينجر ‥ فقد كانوا يتصورون أن الســادات عرض وقتى ‥ وانه لن يبقى فى حـكم مصر ‥ كما كانــوا يأخذون كلمته بعدم الثقة ‥ فلم يكونوا يتصورون أن السادات صادق ـ أو قادر ـ فعلا ، عندما ابلغهم انه ليس تحت وصاية احد ‥ لا السوفيت ولا انتم ، وانه يريد السلام فعلا ‥ وهذه هى تقديرات كسينجر التى اعتذر عنهـا فى كتابه ‥ بأنه لم يـكن حينئذ يفهم من هو أنور السادات ‥

وكان أهم مافى مبادرة السادات حينئذ اعلانه « ان مصر مستعدة لابرام اتفاق سلام مع اسرائيل تنتهى بموجبه حالة الحرب القائمة بين العرب واسرائيل الى ذلك اليوم ، ومنذ قيام اسرائيــل سنة ١٩٤٨ ، مع اعطاء اسرائيل كافة الضمانات التى ترغب فيهـا ، وتنتهى بذلك اخطر مشكلة يعيشها العالم لاحتكاك مصالح الدولتين الاعظم » ‥

وكان ذلك مفاجأة مذهلة للعالم كله ‥ فهذا مالم يجرؤ قائد أو زعيم عربى أن يقوله منذ ان قامت اسرائيل ‥ ويقول السادات « ولكننى كنت أعنى ما اقول لاننى فعلا راغب فى السلام » ‥

ولكن كسينجر عمل بكل قواه ان يقتل هذا الاعــلان الذى يصدر لاول مرة من زعيم عربى ‥ وتآمر مع اسرائيل لقتل هذه الحقيقة الجديدة المذهلة فى مجال السلام ‥ واراد ان تكون مهمة روجرز بعد ذلك فى مصر واسرائيل ‥ مهمة مسرحية شكلية !

ويقول السادات فى كتابه « لو ان هذه المبادرة وجدت العناية الكافية من امريكا ، لما قامت حرب اكتوبر ‥ ولبدأنا السلام فى

فبراير ومارس ١٩٧١ » .. ولكن كسينجر ، باعترافاته في مذكراته كان في واد آخر كان مناورا لتحقيق أهداف اسرائيل على طـــول الخط .

اعلن السادات المبادرة وسافر في رحلة سرية الى موســـكو فى أول مارس ، واختلف مع الزعماء السوفيت الذين طلبوا ان يكون تشغيل القاذفات المقاتلة باذن من الحكومة الســـوفيتية .. رفض السادات هذا تماما .. قال لهم « ان استخدام هذا السلاح هو قرار مصر .. ولن يكون غير ذلك ابدا .. ولن اسمح لاى سلطة كانت أى قرار أيا كان . فهذا حق ومسئولية القيادة السياسية داخل البلد » ..

وكان من رأى السوفيت الا نطلق النار .. وان نوجه كل جهودنا للحل السلمى ..

وقال لهم السادات : اذا وجد حل ســلمى مشرف عادل .. انا موافق ولكن اذا كان مفيش فايدة نضحى بـ ٢ مليون انتم خسرتم فى الحرب ٧ ملايين .

ثم كانت الاتصالات الامريكية بمصر بعد مبادرة السادات ، تقوم حول اعطائهم فرصة . ورحبت مصر بذلك ، لسبب اساسى وهو ان بطاريات الدفاع عن الصعيد لم تكن قد وصلت بعد من موسكو .. واسرائيل تعربد بلا رادع .

● .. وحضر روجرز فى ٤ مايو ٧١

وحضر روجرز الى مصر فى ٤ مايو ١٩٧١ ومعه مساعده سيسكو

ويقول السادات : والمعروف ان سيسكو كان مساعد جولد برج ممثل امريكا الصهيونى فى الامم المتحدة ، اللى عمل الطبخة كلها لصالح اسرائيل بعد حرب ٦٧ . مافوتهاش لسيسكو وقلت له .. ياترى انت لسه الابن البكر لجولد برج ولا ناوى تتغير ..

وقال روجرز للسادات (وانقل هنا عن كتاب البحث عن الذات)

ـ اتعرف انك أوجدت لنا حلا للمشكلة ؟ ..

ساله ـ كيف ؟

.. « فروى لى أن جـــولدا مائير طلبت السفير الامريـــكى فى

تل ابيب وقالت له ·· اكتب لروجرز ولنيكسون وقل لهما اننى أنا جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل اتحدى أى زعيم عربى ان يقول انه على استعداد لابرام اتفاق سلام مع اسرائيل · فاذا حـــدث هذا - قل لهما - فسوف اكون على استعداد لكى اضع كل أوراقى على المنضدة ·

ثم استطرد روجرز يقول لى : - لقد وصلتنا هذه الرسالة منذ فترة طويلة ، فاذا بنا نفاجأ بك فى ٤ فبراير ٧١ ودون ان تعرف ماذا قلت جولدا مائير - تعلن عن العـالم انك على استعداد لابرام اتفاق سلام مع اسرائيل · اعجبت بذلك كل الاعجـاب · ولذلك طلبت · زيارتك ·

وكان السادات فى اجتماع القيادات الصحفية والاعلامية قدروى لنا تفصيلات أكثر عما دار بينه وبين روجرز ··

قال لنا حينئذ : وامضيت مع روجرز ساعتين فى حديث متصل وكان مذهولا من طبيعة الشعب المصرى · قال انه تحـــدث مع مصريين عديدين · سار فى الشوارع · عرفه الناس · الحراسةعليه عادية · وباختصار قال : صورة الشعب المصرى الطيب المســالم ، ليست هى الصورة التى عندنا من التقارير ·

ثم قال روجرز : وهاقد مضت ســـاعتان علينا فى الحديث ، واننى اشعر براحة تامة ·

السادات : ماذا تريد منا بعد هذه المبادرة ؟ ··

روجرز : لا اطلب شيئا · المطلوب الآن أن تتحرك اسرائيل · وسأرسل لك سيسكو بالنتيجة بعد زيارتى لاسرائيل ·· وسأعلن فى امريكا أنكم فعلا دعاة سلام ·

واعلن هذا روجرز فعلا ·

السادات : فيه سؤال ·· لماذا لم تسأل عنه ·· لماذا لم تسأل عن الوجود السوفيتى فى مصر ·· هذا محور المشكلة الآن ·· وهذا ما تستغله اسرائيل ضدنا ·· وما ارى انكم مشغولون به فىامريكا

روجرز : الحقيقة انه بعد ان تحدثت معك ساعتين ·· وشعرت اننى جالس الى صديق وانسان متفهم ·· خجلت أن أثير هـــذا الموضوع منعا للاحراج ··

السادات : لا احراج عنـــدى فى أى تصرف لنا .. الوجـــود السوفيتى شاغلكم .. فلماذا لا تناقشه بصراحة ! ..

روجرز : أنا سعيد جدا باثارة هذا الموضوع ..

السادات : لعلمك يوجد هنا على الارض المصرية ، ضباط وجنود من الجيش الاحمر .. (انا مارضيتش أقوله جنود ســـوفيت .. علشان عارف أن عبارةالجيش الاحمر تغيظهم) وبملابسهم الرسمية .. وانتم تعرفون هذا طبعا . وانتم تعرفون أين هم . لان القمر الصناعى يصور لكم كل شىء . اننى اسالك .. أين هم ؟ .. هل هم على القناة .. ؟

روجرز : لا ليسوا على القناة .

السادات : انت متأكد ..

روجرز : نعم متأكد . .

السادات : اننى سعيد انك تقول هذا .. وسعيد أن تعرف أن عندنا كرامة وطنية . ولا نقبل ان يحارب أحد لنا معركتنا .

● والآن .. ماذا تبقى ياروجرز ؟

وهنا روى لنا الرئيس السادات قضية الوجود السوفيتى فى مصر . الذى تم بناء على طلب من الرئيس جمال عبـــد الناصر فى رحلته السرية الى موسكو بعد ضرب أبو زعبل .

ثم قال السادات لروجرز ، لم يكن مفروضا ان نترك اسرائيل تعربد بعد أن ضربتنا بالنابالم الامريكى يا مستر روجرز . ولكن لعلمك .. اننا ندفع مرتبات الخبراء الروس بالاسترلينى والدولار ونحن فى ازمة عملة صعبة . وكنا نتحمل ..

ثم ناقش السادات روجرز فى وجود الاسطول الســـوفيتى فى البحر الابيض . وكان السادات قد ارسل الى نيكسون رســـالة خطية صريحة ، ابلغه فيها ان مصر تعطى وسوف تعطى للاسطول السوفيتى تسهيلات فى موانى البحر الابيض .. تقديرا لوقوفهم الى جانبنا فى الايام السوداء .

وقال روجرز : نعم .. اننى اتذكر هذه الرسالة .. واتذكر ان نيكسون رد عليك بقوله انه لايطلب صداقتك على حســاب صداقة

اصدقائك .. ومادام القرار فى مصلحـــــة بلدك . فليس له أى اعتراض .

وقال السادات لروجرز فى ختام المباحثات : والآن .. ماذا تبغى يا مستر روجرز ؟ .

روجرز : لا شيء .. اسرائيل يجب ان تتحرك .

● **وعاد سيسكو بعد يومين**

ثم عاد سيسكو الى القاهرة بعد يومين ليقول للرئيس السادات أن اسرائيل لاتبدى مرونة فى ثلاث نقاط :

● عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية فى المرحلة الاولى من انسحاب اسرائيل . تكون بقوات بوليس فقط ..

وحاول سيسكو ان يقنع الرئيس بأن هذه مسألة شكلية .. ويكفى ان العلم المصرى سيرتفع .. وهنا سيصفق الشعب المصرى لانور السادات .. وسيصبح فى عينه الزعيم الذى رفع العـــــلم المصرى على شرق القناة .

فرد عليه الرئيس السادات ضاحكا : باين عليك أهبل ياسيسكو ده احدق شعب فى العالم .

ولكن الرئيس أراد أن يكون مرنا .. فقال لسيسكو

ـ المسألة بسيطة .. موضوع عبور القـــوات المصرية الى شرق القناة . غير قابل للمناقشة ولكن من الممـكن أن نكون مرنين .. اقبل أن الخط المصرى فى سيناء شرق المضايق . يكون موازيا لخط اسرائيل .. وأقبل أن يكون الخطان فى فترة الستة الاشهر الاولى . متساويين فى السلاح والعتاد ..

ووافق سيسكو . وقال : هذامعقول .

● ثم أثار سيسكو النقطة الثانية ..

قال : اسرائيل ترفض أن يكون وقف النار محدودا بتاريخ . أنهم يريدون وقف النار بلا تاريخ ..

وأجاب الرئيس : هذا مستحيل . لانه يعنى أننا عملنا خطهدنه .. وكأنها حدود جديدة .. وانتهى الامر . وما الذى يدعو اسرائيل

الى الانسحاب بعد ذلك . طالما هناك جندى أجنبى على أرضى .. فلا وقف للنار بدون تاريخ . هذا مبدأ لن أحيد عنه .

سيسكو : ولكننا نريد مخرجا ..

السادات : الفترة التى أعلنتها هى ٦ أشهر . وأنا أعرف ان اسرائيل ستراوغ ، وسوف تتصل بيارنج فى الشهر الاخير .. اننى أعرف أساليبهم الرذلة .. اننى أوافق اذا انتهت فترة الستة أشهر، ووجد يارنج أنه يحتاج الى مزيد من الوقت ، فعليه أن يطلب ذلك رسميا ومن مجلس الامن .. بشرط ألا يزيد الحد عن ثلاثة أشهر أخرى .

ووافق سيسكو .

● ثم أثرنا النقطة الثالثة .. قال ان اسرائيل لا تريد ذكر حدود يونيو فى مرحلة الانسحاب الاولى ، لامن قريب ، ولا من بعيد
السادات : كيف يكون هذا ، اذا كانت المبادرة جزءا من الحل الشامل .

سيسكو : هم يريدون حدودا آمنة ومطمئنة .

السادات : اسمع .. اننى أوجدت مخـارج مرنة فى النقطتين السابقتين . ولكن فى هذه النقطة لا حل عندى . لا تنازل عن شبر من الارض .. ولا تأجير ولا اعارة .. ولا أى كلام من هذا الكلام الفارغ .. حدود ٤ يونيو دون نقص لاى شبر .

سيسكو : عندى حل . ان ورقة روجرز فى ٩ ديسمبر ٦٩ .. نصت رسميا على الحدود الدولية بين مصر واسرائيل .. ولكى نحل الموقف الآن .. فان الولايات المتحدة سوف ترسل لك خطابا بأن الحدود هى الحدود الدولية .

السادات : وما الفائدة . لقد رفضت اسرائيـــل من قبل ورقة روجرز من الممكن فقط أن أقبل هذا الخطاب من مجلس الامن .. او من الاربعة الكبار .. أو من الاتحاد السوفيتى وأمريكا مشتركين.

سيسكو : هذه نقطة صعبة .

السادات : هذه مسألة بسيطة سوف نبحث لها عن شكل .
ووعد سيسكو بالعودة الى أمريكا ، للعمل على أساس المبادرة .. وكان ذلك فى ابريل ١٩٧١ .. واستمرت أمريكا صامتة صمت





سيسكو

قال له الرئيس السادات ضاحكا .. انت باين عليك اهبل ياسيسكو .. ده الشعب المصرى احدق شعب فى العالم ..



موشى ديان

طالب بانسحاب متبادل على ضفتى القناة .. وقال انه لن يمنع مصر نعمة اعادة فتح قناة السويس .. ورفض ان توجد اية قوة مصرية من الجيش على الضفة الشرقية للقناة ٠

الاموات ٠ حتى شهر يونيو ٠ لا كلام ولا اتصال .. ولا أى شىء ..

● نيكسون لا يعلم انه ارسل مبعوثا

ثم جاء مبعوث أمريكى من الرئيس نيكسون .. وهذا له قصة أخرى تجاهلها أيضا كسينجر فى اعترافاته .. بل ان الرئيس السادات أبلغ بعد ذلك ، أن نيكسون لا يعرف شيئا عن قصة هذا المبعوث !

الى آخر هذه المراوغات التى كان يديرها كسينجر فى دهاليز البيت الابيض .. لكى يقضى على أية مبادرة سلام ..

ان الوقائع تؤكد حقيقتين :

الاولى : استمرار كسينجر فى مؤامراته ضد أى حل سلمى .. وقد كان فى ذلك اسرائيليا أكثر من الاسرائيليين ٠

الثانية : خيبة تقديراته كلها لحقيقة أنور السادات .. وهذا ما اعتذر عنه فى مذكراته فى أكثر من أربعة مواضع .. وهو الرجل الذى يعترف بأنه يفتقد الى صفة التواضع ..

● الفصل الثاني عشر

السعي الى السلام .. تحول الى قصة بوليسية !

● الخارجية الامريكية تتقــدم بمقترحات الى السادات .. ثم تنكر أنها قدمتها !

● نجح كسينجر فى قتل كل محاولات روجرز للوصول الى خطوة سلام .

● نيكسون كان لا يعلم بتحــركات ومذكرات روجرز .. هكذا يقول كسينجر .

● ديان يقول ان اسرائيل لم تمنح مصر نعمة اعادة فتح قناة السويس .

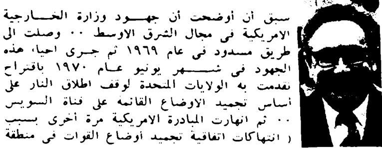
● نيكسون يقول لكسينجر .. « اســتطيع .. ولكن لا تتفاوض » .

● تحول السعى الى السلام الى قصة بوليسية فى وزارة الخارجية الامريكية .

● الفصل الثالث عشر ●

السعي إلى السلام.. تحول إلى قصة بوليسية؟

كتب كسينجر :



سبق أن أوضحت أن جهود وزارة الخارجية الامريكية فى مجال الشرق الاوسط .. وصلت الى طريق مسدود فى عام ١٩٦٩ ثم جرى احيا، هذه الجهود فى شهر يونيو عام ١٩٧٠ باقتراح تقدمت به الولايات المتحدة لوقف اطلاق النار على أساس تجميد الاوضاع القائمة على قناة السويس .. ثم انهارت المبادرة الامريكية مرة أخرى بسبب (انتهاكات اتفاقية تجميد أوضاع القوات فى منطقة القناة وبسبب الازمة فى الاردن) .

وكما سبق أن ذكرت أيضا أن هدفى كان تجميد الموقف فى الشرق الاوسط .

ولكن حدث أن الرئيس أنور السادات طرح فى فبراير عام ١٩٧١ فكرة اتفاقية مرحلية أو مؤقتة وانسحاب جزئى اسرائيلى من قناة السويس يتيح اعادة فتح القناة وذلك كمرحلة أولى من جدول زمنى لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وأصبح اقتراح السادات بؤرة النشاط الدبلوماسى فى عام ١٩٧١ .

كانت فكرة الانسحاب المؤقت من القناة قد ولدت فى العقل الخصب لموشى ديان ـ وزير الدفاع الاسرائيلى فى ذلك الوقت ـ

فى أواخر صيف عام ١٩٧٠ ٠ وكانت صيغة ديان تقتضى انسحابا متبادلا أو ـ تخفيفا ـ للقوات العسكرية ـ على جانبى القناة ٠ ولم تكن فكـــرة ديان قد تحـولت الى اقتراح رســـمى من الحكـومة الاسرائيليــة ٠ ومع ذلك فان ديان أضطر عندما زار واشـنطن فى ديسمبر عام ١٩٧٠ الى التنصل منها واقتصر على أن يصف فكرته بانها مجرد (بديل نظرى) للمـوقف الاسرائيلى القـائم والذى كان يتلخص فى أن اسرائيل لا تمنح مصر ميـزة أو نعمة فتح قنـــاة السويس ٠٠

ثم يقول كسينجر :

أما السبب فى أن اتفاقية مؤقتة لم تتحقق أبدا فى عام ١٩٧١ ٠٠ فانه نفس السبب الذى أعاق التناول الشـــامل للقضـــية : أن للجانبين أهدافا مختلفة جذريا عن بعضها البعض وهما يأخذان بهذه الفكرة ٠

● مجرد خطوة اولى

فقد أرادت مصر اتفاقية مؤقتة كخطوة أولى نحو انسحاب كامل ٠ أما ديان فقد طرح الفكرة كوسيلة لاحباط هذه الهدف (الانسحاب الكامل) ان فك اشتباك جزئى ـ بالنسبة لديان ـ ينطوى على ميزتين جذابتين هما اعاقة دبلوماسية جونار يارنج الوسيط الدولى ٠٠ واختزال المفاوضات بحيث تقتصر على نطاق محدود يمكن ادارته بسهولة بواسطة السياسات المحلية الاسرائيلية ٠ والاهم من ذلك كله ـ بالنسبة لديان ـ أن هذه الفكرة يمكن أن ترجىء مناقشـــة الحدود النهائية ٠ واذا ما تم تنفيذ اتفاق مرحلى فان من شأنه أن يؤدى الى الاستقرار فى جبهة السويس ويقلل من أحتمال وقوع الاشتباكات ٠ وستكون مســـألة شن حـرب من جانب مصر أقل احتمالا اذا كانت هذه الحرب تعنى فقدان المنفعة الاقتصادية التى تحميها من وراء اعادة فتح القناة ٠ وقد أقنع هذا المنطق جولدا مائير بأن تهمل اقتراح السادات بالانسحاب من القناة فى خطاب القته فى يوم ٩ فبراير ٠

● تصورات ديان

ويشرح كسـينجر بعـد ذلك أن فـك الاشـــتباك ـ بالنسبة للسادات ـ يسمى على انسحاب اسرائيلى أوسع بكثير من التراجع المحدود الذى كان يتخيله ديان ٠

فقد أقترح ديان إنسحابا أو ـ تخفيفا ـ للقوات على ـ جانبى ـ قناة السويس . أما السادات فقد أقترح فى حديث له مع مجلة ـ نيوزويك ـ الامريكية فى ٢٢ فبراير ضرورة ان ينسحب الاسرائيليون ـ الى خط ما وراء العريش ـ الى أكثر من منتصف المسافة عبر سيناء كلها . وان تتولى قوة تابعة للامم المتحدة .. شرم الشيخ .

كما أصر السادات أيضا على عبور قوات مسلحة مصرية قناة السويس بينما كان ديان يرى ـ فى تصوره ـ أن الانسحاب .. هو انسحاب متبادل .. ـ من ـ القناة والاهم من ذلك أن السادات جعل الاتفاقية مشروطة بجدول زمنى متفق عليه للانسحاب الكامل على أساس مشروع روجرز . وهذا ما رفضه الاسرائيليون تماما .

لم تكن هناك فرصة لنجاح فك أشتباك مادام يجرى التفاوض حوله جنبا الى جنب مع تسوية شاملة . وحيث أنه لم تكن هناك فرصة للنجاح .. فاننى لم أجد ما يدعو الى توريط انفسنا .

● وراء السراب

ويقول كيسنجر أنه لتحقيق النجاح كان يجب ـ فى رأيه ـ الفصل بين اتفاقية مرحلية وتسوية شاملة ،اما اذا كانتا مرتبطتين فان كل ما سنفعله هو مجرد تبديد نفوذنا عن طريق ملاحقة سراب تلازمه كل مصاعب المشروعات الشاملة التى يقال أنها هى الحل .. ولم نكن فى هذه الحالة باكثر قدرة من موسكو على تقديم هذه المشروعات ..

وعلى الرغم من ذلك ، وفى ظل عدم وجود اى بديل اخر ، فان وزارة الخارجية الامريكية تلقفت بنشاط فكرة الاتفاقية المرحلية فور انهيار مهمة يارنج فى نهاية شهر فبراير .. وبدأت وزارة الخارجية فى الاسبوع الاول من شهر مارس اجراء مناقشة غير علنية مع الاسرائيليين حول مزايا خطوة مرحلية محتملة . ونقلت الوزارة افكارا محددة الى أسحاق رابين فى وقت مبكر ـ ٦ مارس ـ أى بعد ثمانية أيام فقط من رفض اسرائيل ـفى ٢٦ فبرايرـ اقتراح يارنج ..

ويبرر كسينجر موقف اسرائيل بقوله ان السرعة التى تحركت بها وزارة الخارجية الامريكية جعلت من الصعب تخفيف مخاوف اسرائيل الفطرية من احتمال دفعها مرة أخرى بسرعة متهورة الى

السير فى طريق دبلوماسى يربط بين اتفاق مرحلى وتسوية نهائية تعارض الاسس التى تقوم عليها .
ثم يقول :

وفى أوقات متعـددة كان كل طـرف يجد ما يحمله على الاعتقـاد بأننا نتعاطف مع تفسيره لفكرة الاتفاق المرحلى . وكانت النتيجة الحتمية هى سقوط الاوهام والاحباط .. والجمود .

● خطوة بعد خطوة

كانت فكرتى هى أستخدام اتفاقية مرحلية لكسر الجمود . وما أن يتم التوصل الى هذه الاتفاقية حتى يمكن أن تؤدى هذه الخطوة الى تسهيل الطريق نحو احراز المزيد من التقدم . ولكننى ايضـا اختلفت فى الرأى مع هؤلاء الذين كانوا فى اسرائيل ينظـرون الى فك الاشتباك المرحلى على أنه وسيلة لتفادى اية انسحابات اخرى . وفى رأيى أن العكس هو الصحيح .. ذلك أن الفائدة الرئيسيه من فك اشتباك على القناة هى تحريك عملية مفاوضات يجب أن تؤدى فى النهاية الى سلام مع بعض أو كل الدول العربية .

ومنحنى الرئيس نيكسون تفويضا باستطلاع مايمكن تحقيقه من خطوات ولكن دون التفاوض حول هذه الخطـوات . وتنفيذا لهذه المهمة .. بدأت مناقشة فكرة اتفاقية مرحلية منفصله مع السفير السوفيتى دوبرينين فى ٢٢ مارس عام ١٩٧١ ، لكى أرى ما اذا كان السوفيت على أستعداد للتخلى عن الربط لحين التوصل الى مشروع شامل تفصيلى . وتابعت مناقشة الفكرة مع آبا ايبان فى منتصف شهر مارس . ومع ممثل مصر فى واشنطن أشرف غربال فى ٢٥ مارس . (العلاقات كانت مقطوعة وكان اشرف غـربال مشرفا على المصالح المصرية فى أمريكا)

● ورقة اسرائيلية

ولما كان دوبرينين غير راغب فى منـاقشة هذه الفكـرة التى أطرحها .. فقد عادت المفاوضات الى القنوات العادية .. وهنـا ظهر ـ كما كان متوقعا ـ أن الاطراف ليست مستعدة ـ بعـد ـ للموافقة حتى على اتفاق محدود .

ويشرح كسينجر موقف اسرائيل فيقول :

ووضـــع الاسرائيليون في منتصف ابريل ورقة تحتوى على تفاصيل موقفهم : تراجع اسرائيلي لمســافة غير محددة (ولكنهــا قصيرة) عن القناة ـ عدم الموافقة على عبور قوات مصرية للقنــاة ـ بعض التخفيف للقوات المصرية على الجانب المصرى من القناة (يقصد الضفة الغربية للقناة) ـ وقف اطلاق النار لاجل غير مسمى ـ عدم الربط بأى شكل بين هذه الخطوة وبين انسحابات اخرى ·

وفى الحقيقة ان اسحاق رابين سفير اسرائيل في واشـــنطن اطلعني على هذه الورقة المقترحة التى تتنــاول الموقف الاسرائيلى قبل أن يقدمها لوزارة الخارجية الامريكية واستطعت اغراءه بأن يقنع حكومته بتعديل بعض العناصر التى تجعل من المستحيل البدء في مفاوضات · ومع ذلك كان من المؤكد ان الصيغة الاسرائيلية النهائية لن تكون مقبولة من جانب مصر ·

● مغامرة مشجعة

ورغم ذلك ، فقد كان وليام روجرز وزير الخـارجية الامـريكي مصمما على المضى بسرعة فيما اعتقد انه مغامرة مشجعه · وفى ١٩ ابريل حصل على موافقة الرئيس نيكسون على قيـامه بزيارة عدة دول في الشرق الاوسط لايجاد أرضية مشتركة بين مصر واسرائيل حول تسوية مرحلية · واعربت عن شكوكى فى هـذا الصدد فى مذكرة بتاريخ ٢٢ ابريل لنيكسون :

« اعتقد أنه من المهم لفت نظر وزير الخـارجيه الى ضرورة عدم الخروج عن الوضع الراهن للعبة دون أن يحـرص على اطلاعنـــا بالكامل والحصول على موافقتك المحددة على أى خروج عن الحــاله الراهنة » ·

ولكننى لم استطع أن افعل أكثر من مجرد التحذير ··

وزار روجرز الشرق الاوسط فى بداية شهر مايو عام ١٩٧١ · وكشفت مناقشاته فى اسرائيل ومصر الخلافات الاساسيه بينهما ·

فقد أراد الســادات أن تتخذ القوات المصرية مواقــع على جانبى القناة · وعارضت اسرائيل ذلك بعنف (باســتثناء موشى ديان الذى كان عاقلا عندما قال انه قد يكون من المسموح به ان يكون هناك بعض الوجود لبوليس مصرى) · واصر السادات على التزام

اسرائيل من حيث المبدأ بحدود عام١٩٦٧ على ان يرتبط هذا الالتزام بالاتفاق حول القنــاة · ورفضت اسرائيل هذا الالتــزام (رغم أن ديان أبلغ جوزيف سيسكو انه كان أحد القلائل في الحكومه الذين كانوا يرون أن الخطوة المرحلية جزء من العملية المستمرة للسلام)·

ولم تسفر رحلة روجرز عن شيء ·

تقارير للبيت الابيض

وكتب لى مساعدى هارولد سوندرز في تحليل بارع في ١٩ مايو انه يخشى من أن يكون السادات معتمدا على روجرز في التوصل الى اتفاقية القناة · وربما كان السادات ، الذى فرغ لتوه من حركه تطهير ضخمة ضد العناصر الموالية للسوفيت فى حكومته ، يحتاج الى احراز تقدم دبلوماسى « لكي يجعل ســياسته تشق طريقهــا وليواجه العواصف السياسية ··· ان البــاب مفتوح لخيبة أمل كبرى اذا لم يحدث تحرك الان » ·

وعندما أرسل روجرز تقريرا الى نيكسون حول رحلته ··أرفقت تحليلى الخاص مع نفس التقرير ·

كان الرأى هو ان السادات تحرك في الاساس لتأمين مسئوليته كحاكم ·· وان على الولايات المتحدة أن تكون بعيدة عن مجــرى الامور ·

● قصة بوليسية

عند هذه النقطة تحول السعى الى اتفاقية مرحلية ·· الى قصه بوليسية · وتزايدت صعوبة اكتشاف ·· من الذى يقتــرح ماذا على ·· من ؟ ولم يعد البيت الابيض الامريكى يعرف ما اذا كانت الاطراف تطرح أفكارها الخاصة أم تطرح تفسيراتنا نحن لارغامنا على أن تؤيد علنا ما ابلغناه لها سرا ·

وخلال هذه العملية قام بعض الدبلوماسيين الامريكيين بمناورة غير عادية كان البيت الابيض يجهل كل شيء عنها ·

فقد اتضح أن دونالد بيرجيس رئيس قســم رعاية المصــالح الامريكية في القــاهرة (لم تكن هنــاك علاقات دبلوماسيه في ذلك الوقت) ـ في جهد يستهدف متابعة رحلة روجرز ـ ساعد المصريين على صياغة اقتراحهم المضاد بشأن التسوية المرحلية · ولم يكشف

هذا الحدث مجرد انحياز وزارة الخـــارجية الامريكيه الى فكـرة الاتفاقية المرحلية التى تشكل مرحلة نحو تسوية شامله (لايمكن التوصل اليها) بل أيضا يكشف عن أمر أكثر مدعاة للقلق وهو ان العجز الامريكى عن تنفيذ الاقتراح (بعد ان طـرحه المصريون فى ضوء شعورهم بتـــأييدنا له) أدى الى تضخيم خيبه الامـل لدى القاهرة أزاء الدبلوماسية الامريكية . وأعتقـد المصريـون اننا اما عاجزون أو مخادعون .

حكـــاية بيرجيس

ولم يتلق البيت الابيض الامريكى فكرة غامضة طفيفة حـول ما حدث فى القاهرة الا بعد ثلاثة اسابيع . وقد ظهر أن ممثلنـا الدبلوماسى فى القاهرة دونالد بيرجيس اجتمـع مع مسـئولين فى وزارة الخارجية المصرية يوم ٢٣ مايو لمناقشة ورقة مصريه .وعندما طلب المصريون التعرف على رأى بيرجيس .. يبدو أن الدبلوماسى الامريكى كتب أفكاره بالتفصيل وترك ملاحظاته (مكتوبة) مـع المصريين . وعندما أزيح النقاب عن الصيغة التى كتبهـا بيرجيس اتضح أنها تماثل ـ بصورة تبعث على الدهشة ـ الاقتراح المصرى الرسمى الذى قدمه السادات لنا أخيرا فى الرابع من يونيو .

انه تصرف غير عادى .. مازلت مقتنعا بأن دبلوماسيا محتـرفا يملك خبـــرة بيرجيس لايمكن أن يقدم عليه بدون تفـــويض من المستويات الاعلى .

ويروى كسينجر ان فشل هذا المسعى كان حتميـا ويقـول ان امريكا أصبحت فى مركز حرج .. وتنصلت وزارة الخـارجيه من علاقاتها بهذا الموضوع . واعلنت أن هذا المحتوى لا يمثل الموقف الامريكى الرسمى .

أصبح غضب المصريين الان مزدوجا . فقـد اثارهم تنصلنـا من المذكرة كما شعروا بمرارة من عدم قدرتنا على التقدم بما ادعوا انه يمثل أفكارنا . كما احتدم غضب الاسرائيليين لاننـا نشجع مصر على التقدم بمشروع سبق أن قال لنا الاسرائيليون انهم لن يقبلوه على الاطلاق .

ولم تصل كل هذه التصرفات الى علم رئيس الولايات المتحدة .

ويتناول كسينجر موضوع المعاهدة المصرية السوفيتيه فيقول :

ثم جاءت قنبلة أو مفاجأة مذهلة اخرى أكثر أهميه بكثير ·

ففى ٢٧ مايو عام ١٩٧١ وقع السادات معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى · ويتناول السادات فى كتابه « البحث عن الذات » هذه الاتفاقية باعتبارها نوعا من الاسترضاء للحساسيات السوفيتية بعد أن قام بحركة التطهير ضد كبار العناصر الموالية للسوفيت فى السياسة المصريه ووضعهم فى السجن ·

وانا الآن أعتقد أن هذا الاعتبار كان الدافع الرئيسى رغم أنه لم يكن هناك أحد بيننا يفهم السادات فى ذلك الوقت ·

غير أنه من المؤكد أن هذه الخطوة عبرت عن جـرأة سـوفيتيه جديدة وعن خيبة أمل السادات فى الدبلوماسية الامريكية المتخبطة ·

وانزعج الاسرائيليون وزادت صعوبة التوصل الى تسويه مرحليه ·

أما وزارة الخارجية الامريكية فقد كان لديهـا تقدير للموقف أكثر تفاؤلا فقد كتب روجرز تقريرا الى نيكسون قال فيه ان معاهدة الصداقة المصرية ـ السوفيتية « تدعم سيطرة السادات على قواته العسكرية من خلال تركيز هذه المعاهدة على الدعم العسكرى الطويل المدى · ويمكن لهذه المعاهدة أن تساعد على المحافظه على مرونته فيما يتعلق بالتسوية حول قناة السويس » ·

وقدمت وزارة الخارجية ووكالة المخـابرات المركزية الامريكة نفس التحليل بالدقة حول معاهدة الصداقة بين الاتحاد السوفيتى والهند التى وقعت بعد ذلك بأقل من ثلاثه أشهر ·

وكتبت تقريرا الى الرئيس نكسون فى ٣١ مايو أوضح فيه خلافى مع تقدير روجرز ·

• تعليق على
الفصل الثالث عشر

حنانيك .. ياقيصر !

لعل أهم ما فى هذه الصفحات الجديدة المثيرة من كتاب كسينجر .. سنوات البيت الابيض ، التى يجدر بنا أن نسميها اعترافات كسينجر .. لعل أهم ما فيها . هو كشف للاتصالات السرية التى جرت بين أمريكا والاتحاد السوفيتى .. سواء فى الرسائل بين نيكسون وبريجنيف . أو فى الاجتماعات المغلقة بين كسينجر وجروميكو وبين نيكسون أيضا وجروميكو ..

وأخطر كشف فى هذه الاتصالات ، أن الاتحاد السوفيتى فى عامى ١٩٧١ . ١٩٧٢ كان يتحدث عن مصر مع المسئولين الامريكيين . وكأنها فعلا مقاطعة سوفيتية . وخاضعة للوصاية السوفيتية الكاملة . ولا تملك من سيادتها على أرضها شيئا ألا بقرار من موسكو : ان جروميكو يعرض على أمريكا أن قوات الاتحاد السوفيتى مستعدة للانسحاب من مصر بعد الوصول الى تسوية شاملة .. وكان الوصول الى هذه التسوية هو المستحيل حينئذ . فقد كان الموقف الامريكى واضحا كل الوضوح ، فى أنه لن تكون هناك تسوية شاملة . أى أن القوات السوفيتية باقية فى مصر الى ما شاء الله ! .. وموسكو لا تعرف الله .. أى الى ما شاءت ارادة السوفيت !

ثم يناور جروميكو ، ويقول ان الانسحاب السوفيتي من مصر ، مرتبط بانسحاب الوجود الامريكي العسكري من ايران ! ·· أى أن بقاء السوفيت فى مصر ·· هو فى مقابل البقاء الامريكي فى ايران · وكأن مصر لا ارادة لها على الاطلاق على أرضها !

ومناورة جروميكو هنا ·· معناها ايضا أن السوفيت لن ينسحبوا من مصر ·· لانه كان من قبيل الاستحالة حينئذ ، أن تنسحب امريكا من ايران ·

● عزبة سوفيتية

بل ان دوبرينين سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن يقول لكسينجر فى لقاء سرى ، أن زيادة الوجود العسكرى السوفيتى فى مصر أمر مرهون بارادة موسكو ·· وان الاتحاد السوفيتي في وسعه أن يفعل في هذا الامر ما يشاء ·· ! أى تماما كما تتحرك قوات سوفيتية من موسكو الى ليننجراد مثلا ·· تتحرك هذه القوات الى مصر ·· وفقا لهوى موسكو !

قال السوفيت هذا فى الوقت الذى انذرهم فيه السادات فى أول رحلة له الى موسكو فى اوائل ١٩٧١ ، بأنه لا يقبل · ولن يقبل أن يكون استخدام السلاح السوفيتى ـ الذى نشتريه ـ بقرار من موسكو وأنه يرفض تماما هذا المساس بالسيادة المصرية ·

وكل هذه المناورات السوفيتية ، لم تكن من أجل مصالح مصر · أو قضيتها فى تطهير الارض من الاحتلال الاسرائيلي ·· ولكنها كانت مناورات للاتفاق على صفقة «الوفاق» التى عقدت بين امريكا والاتحاد السوفيتى فى يوليو ١٩٧٢ ·· وباع فيها الاتحاد السوفيتى قضية مصر وقضية الامة العربية ·· وتعهد بالابقاء على الاسترخاء العسكرى فى الشرق الاوسط ·· وتجميد الاوضاع الى ما لا نهاية ·· كما باع فيها فيتنام الشمالية ·· كل ذلك مقابل صفقة الوفاق التى تتيح للاتحاد السوفيتى الحصول على القمح الامريكى !

● حكاية مقترحات برجس

واعود الى ربط تعليقنا من اعترافات كسينجر بما انتهينا اليه فى التعليق السابق ·· حول المقترحات الامريكية التى قدمها برجس ممثل المصالح الامريكية فى مصر · والتى جاءت متفقة الى حد كبير مع وجهة النظر المصرية ·· ثم انكرت امريكا أن لها أى علم بذلك ·· بعد أن

احتج كسينجر على هذه المقترحات ٠٠ وتراجع روجرز وزير الخارجية المغلوب على أمره . ونفى أن وزارة الخارجية على أدنى علم بها ٠٠ والحقيقة غير ذلك تماما ٠ ولكنها المراوغات الامريكيه حينئذ . والتى كانت تلف وتدور حول المساندة الكاملة لاسرائيل ٠٠ والنظر الى مصر على أنها مجرد « زبون » للاتحاد السوفيتى . ليست له ارادة ٠٠ وليست له كلمة مسموعة ٠٠

قال أنور السادات فى الاجتماع المغلق الذى عقده للقيـــادات الصحفية والاعلامية حينئذ لشرح الموقف الامريكى :

« بعد ذهاب روجرز لاسرائيل بعد أن زارنا وتركنا مقتنعا تماما بوجهة النظر المصرية ٠٠ جاء سيسكو بوجهة نظر اسرائيل (التى عرضناها آنفـــا) ٠٠ ورد الرئيس على الرأى الاسرائيـــلى ٠٠ وغادر سيسكو القاهرة . بوعد منه . أنه سيعود الى أمريكا للعمل على أساس المبادرة المصرية ٠٠ وكان ذلك فى ابريل ١٩٧١ ٠٠ واستمرت أمريكا صامة صمت الاموات حتى شهر يونيو ٠٠ لا كلام ولا اتصال ٠٠ ولا أى شىء ٠

ثم حصلت خطوة ٠٠

تقدم برجس ممثل المصالح الامريكية فى مصر ٠ بورقة الى وزارة الخارجية المصرية فى يونيو . قال انها من بنات أفكاره هو ٠ وطلب الرأى المصرى فيها ٠ وقد اطلع عليها الرئيس السادات ، واحس انها ليست لجس النبض من برجس ٠٠وانها قطعا مرسلة من الحكومة الامريكية لجس النبض . لان ٩٠٪ مما جاء فى ورقة برجس، استخدام لعبارات تداولها الرئيس مع سيسكو ولم يكن معهما ثالث ٠٠ومن ذلك تعبير عن الخط المصرى شرق القناة بعبارة معينة والتعبير عن الخط الاسرائيلى بعبارة أخرى ٠

واجرى الرئيس تعديلات فى ورقة برجس . فى جزء منها كان لصالح اسرائيل ٠٠ وفجأة اعلنت وزارة الخارجية الامريكية ان ورقة برجس هى بنات أفكاره وحده ٠٠ ولا دخل لواشنطن بها ٠ »
وعلق الرئيس على ذلك بقوله :

ــ وطبعا هذا كلام ساذج ٠٠ولكنه فهم من هذا بوضوح ٠ أن امريكا قررت أن تلحس كل شىء ٠٠ ومن هنا كان اللوع واللعب والاسلوب المناور من الجديد ٠ »

ويبدو واضحا الان للسيد كسينجر أن كل ما يكشفه الان فى كتابه من اعترافات عن المراوغات الامريكية التى قادها ضد مصر لم يكن خافيا على مصر .. وان دبلوماسيته التى يعتز بها ، لم تكن من الاسرار الكهنوتية كما كان يتصور حينئذ !

.. كان هو يلعب لعبته داخل البيت الابيض ..

وكانه السادات يكشف للاعلام المصرى .. وللصحافة المصرية . فى اجتماعات مغلقة كل ما وراء هذه المناورات !

● كسينجر يفلسف المعاهدة المصرية

ويعترف كسينجر فى مذكراته انه استثمر عقد مصر لمعاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى فى مايو ١٩٧١ ، لكى يعطل كل خطوة مباحثات نحو السلام .. ويبرز ذلك بان المعاهدة اعطت للاتحاد السوفيتى حق الفيتو على أى مباحثات تجرى .. وان السوفيت سوف يشتركون فى أى اشتباكات مسلحة جديدة على القناة ..

واتخذت اسرائيل ذلك ذريعة لطلب مزيد من شحنات الاسلحة .. وكان كسينجر يؤيد الطلبات الاسرائيلية .. رغم رفض روجرز ورغم رفض وزير الدفاع الامريكى .. وحصلت اسرائيل على ما ارادت .

ويعتذر كسينجر - الذى يسجل فى كتابه انه يفتقر الى فضيلة التواضع - عن هذه المواقف البالية التى عطلت فعلا طريق السلام بقوله : « لم أكن أعرف السادات . فقد كان لابد لى أن استنتج انه لا يزال يلعب لعبة عبد الناصر .. وكان السادات يهدد بسنة الحسم .. ولذلك كان علينا ان نحبط اى استراتيجية تقوم على التهديدات العسكرية والتواطؤ مع الاتحاد السوفيتى . » ..وهذا الاعتذار مقبول من كسينجر الان .. وهو قد كرر اعتذاره هذا فى أربعة أو خمسة مواضع من كتابه .. بل وصف عدم فهمه لشخصية السادات كزعيم يغير وجه التاريخ . بأنه من أكبر الاخطاء التى ارتكبها فى حياته .

ولكن كسينجر الممتلىء بالغرور . كان لديه دليل قوى ، على تفهم شخصية السادات .. وانه ليس هو الرجل الذى يتكلم بلغتين .. أو يراوغ فى قضية السلام .

● نيكسون لا يعلم شيئا !!

وهذا الدليل انقله عن كتاب انور السادات « البحث عن الذات » .. قال السادات فى كتابه :

« نعود الى موقف أمريكا . غادر روجرز مصر في أوائل مايو ١٩٧١ الى اسرائيل ليواجه جولدا مائير . ثم انقضى يونيو ١٩٧١ . وجاء يوليو ١٩٧١ . وأنا خلال تلك الفترة دائم الاستدعاء للقائم على شئون امريكا . أطلب منه أن يكتب الى روجرز ليخبرني بما حدث مع اسرائيل .. ولكن دون جدوى تماما كما يفعل السوفيت معي .. اسرائيل مستمرة في غرورها وأمريكا متحفظة لاتتكلم ولاتتخذ أي موقف .. الى أن جاء ٦ يوليو ١٩٧١ فاذا بأحد رجال وزارة الخارجية الامريكية يأتي من واشنطن يطلب موعدا عاجلا للاهمية .. قابلته في مساء نفس اليوم فقال لي انه يحمل رسالة من نيكسون وروجرز ولكن عنده بعض الاسئلة يريد مني الاجابة عليها أولا . »

وقبل أن أسجل ما جاء في كتاب السادات . أقول أن هذا المبعوث الامريكي كان معروفا لدى الرئيس من قبل ، فهو مدير قسم الشرق الاوسط بوزارة الخارجية الامريكية وقد كان مرافقا للرئيس عند زيارته لامريكا في عام ١٩٦٦ . وقد بدأ حديثه مع الرئيس عند استقباله له كمبعوث من الرئيس نيكسون بقوله : أن الرئيس الامريكي قرر أن تأخذ امريكا موقفا ايجابيا في حل القضية ، وسيحدد ذلك في ورقة ونعلنها لكم وللعالم ..أن سيسكو سيذهب الى اسرائيل في ٢٧ يونيو وبعد عودته الى امريكا ، ستعلن الورقة .. وستأخذ امريكا دورا ايجابيا .. ولكن الرئيس الامريكي ينتظر من مبعوثه برقية عن بعض الاستفسارات .

● سؤالان .. واجابات واضحة

ويقول السادات في كتابه البحث عن الذات :

« كان السؤال الاول : هل غيرت المعاهدة السوفيتية التي عقدت في أواخر مايو ١٩٧١ موقفك أو فرضت عليك التزامات تحد من حريتك في التعامل معنا لاعادة السلام الى المنطقة ؟ ..

وأجبته . أبدا .. لقد أعلنت ان المعاهدة السوفيتية ليست لها بنود او ملاحق سرية . ولابد أن تتعودوا انتم وغيركم على ان ما أقوله في العلن ، هو نفس ما أقوله في السر وأن أي التزام التزم به من حق شعبي على أن يعرفه قبل غيره من الناس ، لاني غير مستعد لان أضحك على شعبي في يوم من الايام ، مهما كانت الظروف . ومع ذلك فان المعاهدة قد أعلنت بنودها رسميا في البرلمان عند اقرارها ، وليس

على مصر أى قيـــود ، من أى نوع . فنحن مصرون على حريتنـــا واستقلالنا .

●●●

وكان السؤال الثانى : هل مازلت توافق على مبادرتك التى اعلنتها فى فبراير ١٩٧١ وأخطرت بها روجرز عندما كان فى مصر ؟ ..

قلت له : طبعا .. ولو حدث ان غيرت أى شىء فلابد ان اعلنه على الناس فورا . وأحب أن أنبهكم – وهذه ليست اول مرة – الى أن كل ما يخص مصر ، يجب أن تتكلموا معى أنا فى شـــأنه .. فاذا تكلمتم مع أى شخص آخر فثقوا اننا لن نستمع اليكم ..

قال لى : حسنا .. حسب ما لدى من معلومات احب ان أقول لك انه بعد ماتلقيت منك هذه الردود ، فأبتداء من منتصف الليلة ٦–٧ يوليو ١٩٧١ ، فان الرئيس الامريكى سيتدخل بنفسه ليبدأ الحـل السلمى .

قلت له : على خيرة الله . ما الذى فعله روجرز فى اسرائيل ؟ ..
أجاب : تحدث اليهم ولكن عندهم بعض الشكوك .. على اى حال انها ليست عندى تعليمات بان أقول شيئا فى هذا الشأن .
ويمضى السادات راويا :

« وانصرف .. وانتظرت . مضى نصف الليلة ، وأنصاف ليال كثيرة وكثيرة جدا بعد ذلك ، ولكن لا حراك . العكس حدث . فقد وقفت جولدا مائير فى الكنيست الاسرائيلى تلقن روجرز درسا عنيفا .. واستطاعت الدوائر الصهيونية ان تقضى على روجرز .. وبالفعل عندما خرج من منصبه بعد ذلك ظل معزولا عزلا تاما »

ان كسينجر يتجاهل فى كتابه هذه الواقعة الهامة تجاهلا تاما ولم يورد لها أى ذكر ، لانها تسقط كل حججـــه فى التشكيك فى سياسة أنور السادات .. الذى يطلب أكثر من مرة الاتصال المباشر فى كل ما يهم شئون مصر .. لان مصر ليست ذيلا لاحد .. ولن تقبل ان يتحدث أحد باسمها ..

ولكن ما سجله الرئيس السادات فى كتاب البحث عن الذات ، يقول انه – أى الرئيس – أبلغ بعد ذلك .. وبعد عودة العلاقات مع أمريكا .. ان الرئيس نيكسون لم يكن على علم أبدا ، بسفر هذا المبعوث باسمه الى القاهرة ، ولقاء السادات معه ..

ويعلق الرئيس السادات على ذلك بقوله : شيء غريب حقا ·· أليس كذلك ؟ ··

وانني لا أتصور الان ، أن روجرز قد أخفى هذه الواقعة على الرئيس نيكسون ·· لانها تؤيد وجهة نظـره التي أبداها في أن المعاهـدة المصرية السوفيتية لن تغير من موقف السادات ·· بل تزيده مرونة

ولكن من يدري لعل نيكسون علم ·· واخفى الواقعـــة عن كسينجر ·· أو لعل كسينجر علم ·· وأخفى الواقعة في ســطور كتابه ·

● قرارات ١٦ يوليو ٧١

في البيت الابيض

ولكن الواضح ، باعترافات كسينجر ، ان روجرز انتهز فرصـة غيبة كســينجر في الصين واسيا ·· واقترح ارســال سيسكو الى اسرائيل في محاولة جديدة ·· وان كسينجر علم وهو في اســيا بذلك ، وحذر الرئيس نيكسون ·· الذي بحث الامر في اجتمـاع لمجلس الامن القومي في ١٦ يوليو ··

وفي هذا الاجتماع تقرر ما يلي :

١ ـ نيكسون وافق على مزيد من الاسلحة الحديثة الى اسرائيل رغم تذمره من الضغط اليهودي ·· كما أيد كسينجر في تحطيم أي أجراء لتسوية أزمة الشرق الاوسط !

٢ ـ وزير الدفاع الامريكي اعترض على تزويد اسرائيل بمزيد من الطائرات المقاتلة ·· واستطاع كسينجر بعد ذلك أن يسقط هذا الاعتراض ·

٣ ـ تحمس روجرز لزيارة سيسكو لاسرائيل·· وأخذ موافقةمن نيكسون على هذه الزيارة ·· وكان طبيعيا ان اسرائيل كانت تعلم بموقف كسينجر ·· ومن ثم فشلت زيارة سيسكو لاسرائيل حتى أنه لم يمر على القاهرة !

ويستطرد كسينجر في اعترافاته فيقول ان نيكسون لجأ اليه لكي يحتفظ بالموقف هادئا ـ أي تجميده ـ في سنة الانتخابات ·· ولذلك فقد قرر كسينجر ان يستدرج السوفيت الى مباحثات طويلة مطاطة ليس لها هدف ·· الا التعطيل · ويحاول كسينجر بعـــد

ذلك التقاط اى شيء يمكن ان يستفيد منه فيمهمة التعطيل والتجميد .. فاسقاط صـاروخ مصرى (ارض - جو) لطـائرة اسـتطلاع أسرائيلية غرب القناة عمل خطير .. وعاد الى لعبة ان مصر تحرك قواعد الصـواريخ .. وكل ذلك يعطى الفرصـة لجولدا مائير أن تطالب بطائرات الفانتوم .. وتحصل عليها طبعا .. وفى الوقت نفسـه يقلل من الامانى المصرية ويدعو القـاهرة الى التراجع عن تشددها فى الاصرار على انسحاب اسرائيل الكامل .. وهكذا يجرنا الى الاستسلام .

كان هذا هو تفكير عبقرى البيت الابيض ..

وبكل أسف أعتمد فى ذلك ، على تقدير صحيح ، بأن الاتحـاد السوفيتى سوف يتراجع .. وسوف يناور فقط بالمطالب المصرية .. حتى يظفر باتفاق الوفاق .. وكان هذا تقديرا صحيحا . ولكن كسينجر لم يكن يريد أن يقتنع فى ذلك الوقت ، ان مصر ليست « دلدولا » يتلقى الاوامر من موسكو .

ولما وصل الىعلمه ان العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى تجتاز أزمة .. سعد بذلك . فقد كان يتصور ان ذلك يعنى تجريد مصر من كلقوة .. وسعيها لدى واشنطن مستسلمة رافعة أيديها .. ولكن أنور السادات قلب كل حسابات كسينجر رأسا على عقب ، عندما فاجأ الامـريكيين .. وفاجأ الروس .. بقـرار طرد الوجود العسكرى السـوفيتى من مصر .. وهـذا ما سـوف يتحـدث عنه كسينجر فى التعليق المقبل والاخير .

● سعى هيكل للقاء

سرى مع كسينجر

ولكن كسينجر قبل ذلك ، كان يتصور انه ممسك بزمام الموقف من جميع نواحيه . ولم يكن يدرى حقيقة ما يدور فى مصر ، وفى استراتيجية أنور السادات .. ولعل كسينجر قد تشجع على ذلك. لانه وجد محمد حسنين هيكل .. يسعى الى أن يلقاه سرا . وطبيعى أن يتصور كسـينجر ان القيادة المصرية هى التى تختفى وراء هـذا السعى .. وانها محاولة للتقرب الى أمريكا بأسلوب غير مباشر . فمصر هى « زبون » الاتحاد السوفيتى - فى وجهة نظره - ولكنها فى الوقت نفسه تسعىالى الى كسينجر قيصر البيت الابيض .

ولكن كسينجر لم يكن يعلم ، أن هذا سعى شخصى من هيكل . لكى يكون له دور على المسرح ·· وكانت الفكرة لدى واشنطن منذ حكم عبد النـاصر ، ان هيكل شريك فى حكـم مصر ·· وشريك فى اتخاذ القرار ·· ولم تصل تقديراتهم الى أن أنور السادات شـخص آخر ·· وطبيعة أخرى ··

ولذلك ، فبعد ان عرض المرحوم على حمدى الجمال على كيسنجر تدبير هذا اللقاء السرى مع هيكل ·· على أساس ان على الجمال كان يعرف كسينجر عندما تلقى دورة دراسية فى جامعة هارفارد وكان كسينجر استاذا بها ·· ولذلك فان هيكل تراجع عن الفكرة ··

وقد تأكدت من أوثق المصادر ان القيادة السياسية المصرية لم تكن على علم بهذا المسعى من جانب هيكل حتى صدر كتاب كسينجر وكشف هذه الواقعة .

● اختراع نظرية « الامن » و « السيادة »

وانتهت كل الاعيب كسينجر . بالوصول الى أهدافه ·· ففى ٢٠ ديسمبر ١٩٧١ زارت جولدا مائير امريكا . والتقت بنيكسون وتم الاتفاق السرى بينهما على أنه لا تسوية شاملة على الاطلاق·· ولابأس من أن يضيع سيسكو الوقت فى اتصالات وهمية مع مصر واسرائيل ·· بشأن اتفاق جزئى لن يتحقق ·· وتكون مهمة كسينجر فى هذه الحالة ·· تمييع الموقف فى مباحثات تمثيلية مـع دوبرينين سفير الاتحاد السوفيتى ·· فوق ذلك كله هدية جديدة لاسرائيل هى صفقة أسلحة جديدة (مجانيـة طبعا) تدعم الترسـانة الاسرائيلية ·· وهذا كله تنفيذ لاستراتيجية كسينجر ، واقناع لمصر . بأنها لو دخلت حربا مع اسرائيل ، فانها ستكون الخاسرة ·· ثم اخترع كسينجر نظرية الفصل بين الامن والسيادة ·· فلا مانع من الاعتراف الشكلى بسيادة مصر على أرضها اى حدودها الدولية ــ كما أعلن روجرز من قبل ــ ولكن يقابل هذا ·· السماح لاسرائيل بالاحتفاظ بمواقع « دفاعية » عسكرية داخل الارض المصرية فى حزام متصل !

« وكلما طال الاجل » ·· فى هذا التمييع ·· « كلما سيطرنا على موقف مصر » كمـا تصور كسينجر ! ·· فهـو واثق « أن الزبون المصرى للسـوفيت . لن ينتصر فى حـرب مع اسرائيل ·· كما هو واثق ان شن مصر للحرب يشكل مجازفة خطيرة بالنسبة للسوفيت لن يرضوا بها ·· وخاصة ان اتفاق « الوفاق » فى الطريق ·· وفى

الاتصـــالات السرية المباشرة بين موسكو واشنطن . يمكن تدبير كل شيء ٠٠ حتى يرتدع أنور السادات ٠٠ ويرفع يديه مستسلما ! ٠

● كيف يصف السادات ٠٠ الموقف ؟

ويصف السادات الموقف بعد انقضاء عام ١٩٧١ فى كتابه البحث عن الذات بقوله : بعد ان أستطاعت جولدا مائير ان تمزق روجرز ٠٠ حتى تراجع عن كل شيء :

« وليت روجرز اقتصر على التراجع ، بل اننا نجده في أول سنة ١٩٧٢ يصرح بأن امريكا قد اعطت اسرائيل معونات جديدة ، دخلت معها فى عمليـات تصـنيع ولن تكف عن بذل المعونة لها حتى تظل متفوقة عسكريا على العرب مجتمعين ٠٠ »

« وبعد تصريح روجرز وبعد عدم استطاعتى تحقيق وعدى بأن سنة ١٩٧١ لابد ان تكون سنة الحسم اما سلما أو حربا بدأت أعاني الشماتة فى العالم الخـارجى ٠٠ وفي الداخل من عمـلاء السوفيت وبعض من ضللتهم الدعاية السوفيتية ٠٠ ومسلك امريكا معى ٠٠ فها هى سنة ١٩٧١ تنقضى دون اى حسم ما ٠ لقد تعمـد الاتحـاد السوفيتى ان يخذلني بعدم ارسال العتاد الذى طلبته ، وكأنهم فى موسكو يريدون ان يقولوا لى انت لا تستطيع ان تقرر شيئا بدون اذن السـوفيت ٠ وقد اعترف برجنيف بعد ذلك للمشـير أحمد اسماعيل عندما زار موسكو فى مارس ١٩٧٣ للمصالحة بأنه تعمـد عدم ارسال الاسلحة ٠٠ »

ويمضى السادات قائلا :

« وتستمر سخرية عملاء الاتحاد السوفيتى ، وعملاء مراكز القوى عندى فى مصر عن سنة الحسم ، واضطر الى أن أكتم آلامى ، وأخفى جـروحى وأذهب الى مجلس الشـــعب فى فبراير ١٩٧٢ أدافع عن السوفيت رغم انى مطعون فى ظهرى منهم ٠٠ فقد زرت موســكو فى سنة واحدة اربع مرات أطلب العتاد ، والح فى الطلب ، ولكن عبثا ٠٠ وفى نفس الخطاب أمام مجلس الشعب عمدت الى مهاجمـة امريكا وروجرز باعنف ما يمكن للهجوم ان يكون ٠٠ وهكذا بدأ فصل جديد من العلاقات السيئة بيني وبين امريكا ٠٠ مواجهـــة عاتية كاملة ٠٠ »

ثم قال لنا السادات فى اجتماع مغلق :

« خلاصة الموقف الآن . حتى تكون الصحافة فى الصورة الكاملة للحقائق .

● لا مناص من المعركة .

● امريكا مؤمنة بأننا شعب غير مقاتل .. والاتحاد السوفيتى يتصور أننا نحتج به فى عدم القتال ..

● اسرائيل .. مغرورة ومعربدة بنشوة النصر .

● العالم كله .. لا أحد يهتم بأحد اذا لم يكن قويا .

ثم قال السادات :

« ونحن الآن أمام اختبار .. امتحان من امتحانات القدر .. هل نكون أولا نكون ؟ .. أننى سأقضى أغلب وقتى فى الفترة المقبلة مع القوات المسلحة . وقد تألفت غرفة عمليات فى الداخل . للربط بين الجبهة الداخلية وكل متطلبات المعركة . »

وختم حديثه لنا بقوله :

« أن ساعة العمل الجاد الخطير قد حانت .. وعلينا أن نتحمل مسئوليتنا أمام التاريخ والاجيال . »

●●●

ولكن كسينجر .. قيصر البيت الابيض – كما زاد ان يصور نفسه – كان فى عالم اخر .. غير عالم مصر .. وارادة مصر واصرار مصر .. واستراتيجية مصر . كان عالم القيصر محصورا فى أننا مجرد « زبون » .. لموسكو .. ثم هزته المفاجآت بعد ذلك .

قرارات البيت الأبيض السرية في يوليو ١٩٧١

- قرر البيت الابيض سرا ‥ في يوليو ١٩٧١ ‥ السلاح لاسرائيل وتحطيم اى اجراءات للسلام
- نيكسون طلب من كسينجر تجميـــد الموقف فى عام الانتخابات .
- الاتفاق السرى بين نيكسون وجولدا مائير .
- الاتحاد السوفيتى يتحدث عن وجوده العسكرى فى مصر وكانها ولاية سوفيتية ‥ لا راى لها
- نيكســون يتذمر من ضــغط اليهود ‥ ويغرق اسرائيل بالاسلحة .
- آخر اتفاق بين كســينجر واسرائيل : ســيادة شكلية لمصر على اراضيها مع وجود حزام عسكرى لاسرائيل داخل اراضى مصر .

● الفصل الثالث عشر ●

قرارات البيت الأبيض السرية في يوليو ١٩٧١

كتب كسينجر :



أوضحت في مذكراتي الى الرئيس نيكسون خلافي مع روجرز .. وقلت :

١ ـ ان الجيش المصرى يعتمد على الدعم السوفيتي

٢ ـ ان السادات يعتمد في الوقت الراهن على جيشه .

٣ ـ ان السوفيت قد يكون لهم ـ بموجب معاهدة الصداقة ـ حق الاعتراض على المفاوضات المقبلة .

٤ ـ ان السوفيت سيكونون هم المنتفعين من التسوية .

ولا أستطيع أن أقرر ما اذا كان نيكسون قد وافق على تحليلي أم على تحليل روجرز .

● ملاحظة من نيكسون

ولكن نيكسون أوضح أنه لاينبغي التسرع بأى شيء في ذلك الوقت لزيادة شحنات الاسلحة لاسرائيل الا في حالة محددة تتعلق بالمحافظة على ميزان القوى في المنطقة .

وذكر نيكسون نفس الشيء تقريبا في مؤتمر صحفي عقده في أول يونيو . كنا في خطر مواجهة مع مصر واسرائيل والاتحاد السوفيتي في وقت واحد .

ولما لم أكن أعرف السادات . فقد كان لابد ان أستنتج انه مازال يلعب لعبة عبد الناصر .

وبالاضافة الى ذلك فان نفاذ صبر السادات أصبح واضحا في تصريحاته المتكررة بأن سنة ١٩٧١ يجب أن تكون « سنة الحسم » في الشرق الاوسط . وكان لابد أن تقوم استراتيجيتنا على احباط

أية سياسة مصرية تنبنى على التهديدات العسكرية والتواطؤ مع الاتحاد السوفيتي، ولذلك فان معاهدة الصداقة التى عقدها السادات مع السوفيت ـ أيا كانت دوافعها ـ لم تدفعنــا الى التحــرك لمساعدته بل على العكس فقد زادت من تصميمي على الابطــاء فى العملية (يقصد عملية السلام أو المفاوضات) أكثر من ذى قبــل حتى أبرهن على أن التهديدات والمعاهدات الســوفيتية لا يمكن ان تكون حاسمة ٠

● مصادفة غريبة !

ومع ذلك ، فقد ظلت وزارة الخارجية الامريكية تواقة الى المضى قدما ٠٠ ففي أول يوليو ، وهو اليوم الذى سافرت فيه الى اسـيا (وشملت الرحلة الصــين) ، قام جــوزيف سيســكو بجس نبض اسحاق رابين سفير اسرائيل فى واشنطن فيما يتعلق بزيارة يقوم بها المسئول الامريكى لاسرائيل لبحث موضوع تسوية مرحلية ٠ (من الصــعب تصــور ان هذه المبادرة الجــديدة من جانب وزارة الخارجية حدثت بالصدفة فى نفس توقيت سفرى فى رحلة اتغيب فيها ١٢ يوما بالخارج !) ٠

وبينما كنت فى آسيا نجحت فى اقناع الرئيس نيكسون بعــدم اتخاذ أية قــرارات أساسية تتعلق بالشرق الاوســط وتعطيل هذه القرارات مؤقتا لحين عودتى ٠ وقد استخدم نيكسون حجة أنه وجه الدعوة لعقد اجتماع لمجلس الامن القومى الامريكي لبحث موضوع الشرق الاوسط فى يوم ١٦ يوليو حتى يجعل أية مبادرات جديدة تنتظر بالضرورة هذا الموعد للاجتماع ٠ وعندما عقــد اجتمــاع ١٦ يوليو لمجلس الامن القومى ابدى نيكسون تذمره من اللوبى (مراكز الضــغط) الموالى لاسرائيل ، كما اثار ملفــين لــيردوزير الدفاع اعتراضات على تزويد اسرائيل بالمزيد من الطائرات ، كما اعرب روجرز عن حماسه لفكرة قيام جوزيف سيسكو بزيارة اسرائيل ٠ وفى نهاية الاجتماع ، وافق نيكسون على قيام سيسكو برحلته لكى يستطلع ما اذا كانت هناك أية مرونة فى الموقف الاسرائيلى ٠

ولم يجد سيسكو أية مرونة ٠ ولم تسفر رحلته الى اسرائيل الا عن نتيجة هزيلة الى حد أنه لم يجد سببا يدعوه الى التوقف فى القاهرة فى طريق عودته الى الولايات المتحدة ٠

● حدث شيء جديد

وهنا ٠٠ حدث شيء بعد رحلتي الى الصين وانهيار مسعى وزارة

الخارجية الامريكية نحو التوصل الى اتفاقية مرحلية .. فقد أصبحت جاهزا للقيام بنشاط عملي في دبلوماسية الشرق الأوسط لاول مرة

والسبب الذي جعلني اشترك في النهاية في ممارسة دبلوماسية الشرق الاوسط هو ان نيكسون لم يكن يتصور انه يستطيع المخاطرة بوقوع ازمات تتكرر بصفة دورية في الشرق الاوسط في سنة انتخابات رئاسته في الولايات المتحدة . ولذلك طلب مني التدخل في النزاع .. على الاقل لكي أحافظ على بقاء الامور هادئة .

وكانت خطوتي الاولى هي استطلاع موقف السوفيت وما اذا كانوا يرغبون في الواقع في تخفيف مقترحاتهم - باسم مصر - بحيث تكون معتدلة . فاذا لم أجد لديهم هذه الرغبة . فقد عزمت على استدراجهم الى مفاوضات تستغرق فترة زمنية طويلة ولا تصل الى نتيجة .. الى أن يحدث أحد أمرين . أما ان يغيروا موقفهم أو ان تغير احدى الدول العربية موقفها .

● شكاوى السوفيت

وكان السوفيت مازالوا يشكون من العمل الدبلوماسي الامريكي المنفرد في الشرق الاوسط . ولم تكن هذه الشكوى تعكس غضب موسكو من ابقائها بعيدا عن هذا العمل الدبلوماسي بقدر ماتعكس اللهفة من جانبها على تضخيم فشلنا في تحقيق أي تقدم .

وتعمدت كسب الوقت في محادثاتي مع السفير السوفيتي دوبرينين خلال النصف الاول من عام ١٩٧١ ثم طرحنا بعد ١٥ يوليو ١٩٧١ امكانية تعاون بين الدولتين الكبيرتين في الشرق الاوسط وذلك في رسالة مهدئة بعث بها نيكسون الى بريجنيف في الخامس من أغسطس وقلت لدوبرينين - لانه ليست عندي أية أفكار - ان اقتراحنا بشأن هذا التعاون يعبر ببساطة عن استعدادنا بوجه عام لاجراء مفاوضات ترتكز على أسس عريضة.

وكان رد بريجنيف على نيكسون في السابع من سبتمبر معبرا عن خيبة أمله لاننا قطعنا من جانبنا المعاملات المباشرة التي كانت جارية من قبل مع موسكو حول الشرق الاوسط .

● قلق في اسرائيل

هذه العروض أو المفاتحات السوفيتية جاءت متناقضة مع تصعيد النشاط العسكري السوفيتي في مصر . وعلى سبيل المثال . فقد

اسقطت اسرائيل في شهر سبتمبر طائرة سوفيتية فوق القناة ، كما دمر صاروخ مصرى أرض - جو طائرة استطلاع اسرائيلية وقامت مصر بتحريك بعض منصات صواريخها من طراز سام الى مسافة أقرب من خط النار .. الامر الذى لم يكن ليحدث بدون موافقة وتعاون السوفيت .

وفي نفس الوقت ، كانت وزارة الخارجية الامريكية تلمح الى احتمال قيامنا بتأخير شحنات جديدة من الطائرات لاسرائيل ما لم تظهر اسرائيل مرونة أكبر .

ووجهت جولدا مائير رئيسة الوزارة الاسرائيلية رسالة الى نيكسون فى ١٧ سبتمبر تعرب أيضا عن « قلق خطير » ازاء توقف تسليم طائرات الفانتوم النفاثة لاسرائيل فى وقت يتزايد فيه الوجود العسكرى السوفيتى فى مصر .

● تخفيف الاتصالات

ويقول كيسنجر أنه فكر بعد ذلك فى طريقة عمل جديدة اقترحها على نيكسون فى ٢٣ سبتمبر وخلاصتها :

ان مشكلة التسوية المؤقتة تكمن فى المحاولات الزائدة عن الحد التى بذلت من أجل التوصل اليها . وكانت الفكرة المبدئية بشأن هذه التسوية هى أن يقوم الجانبان ببساطة بتخفيف قواتهما على الجانبين ثم تفرعت الى اصرار السادات على تحريك قواته الى الممرات الرئيسية فى سيناء . ومن أجل تحقيق ذلك ، فان على الولايات المتحدة أن تلح على اسرائيل بنفس الشدة التى يتطلبها الوصول الى تسوية شاملة .

ويبدو لى الآن أن الامل الرئيسى هو التقليل من الامانى المصرية الى الحد الذى يجعل أى تغيرات مرتقبة بصورة واقعية فى موقف اسرائيل تصلح لتحقيق تفاهم . ونظرا لان المواقف الرسمية مكبلة بأمانى أكبر .. فقد تكون الوسيلة لتحقيق ذلك - اذا كانت هناك وسيلة ممكنة أصلا - هى من خلال مبادلات أو اتصالات رسمية أقل .. حتى نرى ما يمكن عمله .

وكان من أسباب حديثى عن « اتصالات رسمية أقل » ما سمعته من أن جروميكو سيقترح وضع قضية الشرق الاوسط فى قناة الاتصال الخاصة معنا . وكان رأيى أن هذه العملية ستكون بطيئة لان مشكلة الشرق الاوسط أصعب من مشكلة برلين .

ان ايجاد قناة اتصال خلفية تجرى من خلالها المفاوضات يتطلب اقامة صلة مع مصر ٠

وجرى حديث فى ١٦ سبتمبر مع تلميذ سابق لى فى «هارفارد» هو على حمدى الجمال مدير صحيفة « الاهـــرام » القاهرية التى تتمتع بهيبة كبيرة ٠ وحاول على حمدى الجمال ترتيب عقد اجتماع سرى بينى وبين رئيس تحرير صحيفته محمد هيكل موضع ثقة السادات ٠ ودعانى الجمال الى القاهرة . وطرح كبديل قبول عرض أحد رجال الأعمال بأن يستضيف فى بيته اجتمـاعا يضمنى أنا وهيكل ٠

وهنا يكتب كيسنجر ملحوظة فى هامش الكتاب يقول فيها أن هيكل صرف النظر بعد ذلك عن الدعوة وأن الاجتماع المقترح لم يعقد ٠٠

وفى أوائل شهر أكتوبر حثنى اسحاق رابين أيضـــا على أن أشترك شخصيا فى مفاوضات الاتفاق المرحلى ٠ وأبلغنى بشكل خاص بأن اسرائيل قد تكون أكثر مرونة فى شروطها اذا اشتركت أنا فى المفاوضات ٠

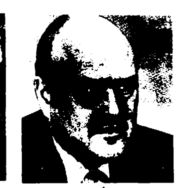
وأبلغت كلا من على حمدى الجمـــال واسحاق رابين بأننى اذا قررت التدخل بالمشاركة فانه على كل من الحـــكومتين مواجهـــة القرارات الصعبه التى يتطلبها الموقف ٠ وعلى مصر أن تتخلى عن شروطها المسبقة المتعلقة بالالتزام بالانسحاب الكامل وعلى اسرائيل أن تكون مستعدة لتقديم عرض معقول ٠

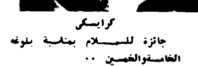
● استمرار التجميد

فى ذلك الوقت كان الرئيس نيكسون نفسه يلح على فـــكرة مشاركة ايجابية أكبر من جانبى فى العمل الدبلوماسى الامريكى حول الشرق الاوسط حتى لو اقتصر الهدف من وراء هذا العمل على الابقاء على الامور هادئة لما بعد انتخابات عام ١٩٧٢ وذلك من أجل تقليل الأضرار ٠ وعندما التقى جروميكو مع نيكسون فى ٢٩ سبتمبر عام ١٩٧١ وافق نيكسون على اقتراح جروميكو بأن يتولى دوبرينين وأنا القيام بدراسة جدية لقضايا الشرق الاوسط رغم أن هذه الموافقة لم تغفل الربط مرة أخرى بين الشرق الاوســـط والتعاون السوفيتى فى موضوع فيتنام ٠

● غموض الهدف النهائى

وزرت السفارة السوفيتية فى مساء يوم ٣٠ سبتمبر لعقـــد اجتماع خاص مع جروميكو دام ساعتين ٠ وتحدثت معه مرة أخرى





كرايسكي
جائزة للسلام بمناسبة بلوغه الخامسة والخمسين ..

ليرد
اعترض فى اجتماع يوليه ١٩٧١ بالبيت الابيض على تزويد اسرائيل بسلاح جديد .

عن مصاعب تسوية الشرق الاوسط فى قناة الاتصال الخاصة لان هذا الموضوع يختلف عن مشكلة برلين . فبالنسبة لبرلين كانت كل الاطراف تريد الاتفاق .. وهو أمر يختلف عن الشرق الاوسط

وقلت أن المشكلة الحقيقية لا تتمثل فى مسألة تفصيلية هى انسحاب الاسرائيليين أربعين كيلو مترا من القناة أو عشرين كيلو مترا من القناة ولكن المهم هو أن انسحابا اسرائيليا سيكون له مغزى هائل ورمزى . . على مصر ما اذا كانت تريد مسائل جوهرية أو مسائل نظرية [illegible] هناك مخاوف الآن لا على شكل [illegible] النهائية [illegible]

[illegible] يجب [illegible]

● تحالف غير موجود

[illegible] هذه النظرة فى تناول الموضوع [illegible] عن الربط بين الاتفاقية المرحلية [illegible] التسوية النهائية بطريقة محددة وبالتفصيل . وقال أنه ليس من المستطاع الاتفاق على مرحلة أولى قبل وضع تسوية نهائية وجدول زمنى محدد . كما أنه يجب ، وفقا لما سمعته منه ، ابرام التسوية النهائية فى موعد لا يتجاوز السنة (وهذا قابل للمناقشة والتفاوض) بعد اتمام الاتفاقية المرحلية . وكرر أن مصر متشبثة

بأن التسوية النهائية يجب أن تتضمن انسحابا اسرائيليا كاملا من الأراضي المحتلة في كل من الدول العربية . وبعبارة أخرى ، لن يوجد لدى اسرائيل الدافع لعقد اتفاقية مرحلية ولن يوجد لدينا نحن الحافز على العمل المشترك مع موسكو .

● اقتراح بانسحاب سوفيتي

ولم تكن هناك أية علامة على رغبة الاتحاد السوفيتي في دفع زبائنه نحو اتخاذ موقف المرونة . ومع ذلك فان جروميكو طرح على نيكسون خلال اجتماعهما في مكتب الرئيس الامريكي اقتراحا كان في ظاهره تعديلا في الموقف السوفيتي العادي وهو التلويح ، عن بعد ، بما يغرى قال جروميكو أن السوفيت سيكونون مستعدين لسحب قواتهم من الشرق الاوسط والانضمام الى حظر تصدير السلاح الى المنطقة والاشتراك في تقديم ضمانات التسوية . ولكن هذه المقترحات كانت ، كما هي العادة ، اقل مما يفي بالغرض . فقد كان لايزال يطلب منا أن نرغم اسرائيل على قبول الحدود التي تعتبرها متعارضة مع أمنها . والانسحاب الموعود للقوات السوفيتية سوف يتحقق — وفقا للاقتراح — في نهاية العملية برمتها . وبعبارة أخرى ، فان علينا أن ننفذ من جانبنا مساهمتنا بأكملها في هذا الترتيب قبل أن يضطر السوفيت الى عمل أى شيء . وحتى في هذه الحالة .. فان السوفيت جعلوا انسحابهم من مصر مشروطا بانسحاب المستشارين الامريكيين من ايران . وكل ذلك في وقت يهدد فيه السادات بحل القضية عن طريق الحرب خلال الفترة من ١٩٧١ الى ١٩٧٢ . (وكان ذلك أحد الاسباب التي دفعتنا الى الرد بقوة بالغة تجاه الهجوم الهندي على باكستان . فقد أردنا أن نتأكد من أن الاتحاد السوفيتي قد أدرك أن هجوما برعاية سوفيتية في الشرق الاوسط سيؤدي الى رد أكثر حدة) .

● روجرز يقفز ثانية

غير أن جروميكو أضاف من العناصر الجديدة ما يكفي لتنشيط المناقشات « الاستطلاعية » بين دوبرينين وبيني . وهذا بدوره يمكن أن يعطي للسوفيت الحافز للابقاء على الشرق الاوسط هادئا خلال العام القادم (١٩٧٢) . وهي استراتيجية لن تكون نتيجتها الا زيادة الضجر المصري من السياسة السوفيتية .

وكشف وليام روجرز وزير الخارجية في خطابه أمام الجمعية العامة للامم المتحدة في أوائل شهر أكتوبر ١٩٧١ عن الافكار الامريكية التي تدور حول اتفاقية مرحلية كما اقترح اجراء « محادثات عن قرب » بين أمريكا ومصر واسرائيل في نيويورك

ويقصد بها أن يقوم دبلوماسي أمريكي بجولات مكوكية بين الوفدين المصرى والاسرائيلي اللذين يكونان في هـــذه الحالة ، نزيلين في غرف متجاورة في فندق بمدينة نيويورك ·

ولا حاجة الى القـــــول أن كلا من مصر واسرائيل لم تتوقع أن يؤدى هذا الاقتراح الى أى نتيجة ·· ما دام لا يمكن التوفيق بين موقف أى جانب مع الجانب الآخر · وكان من المستبعد استدراج أى من الجانبين لتقديم تنازل عن طريق مفاوضـــــات ترتكز على نشاط مغالى فيه الى درجة مصطنعة · وشعر الاسرائيليون ، بوجه خاص ، بقلق من احتمال الالحاح عليهم مرة أخرى للتجاوب مع جهد دبلوماسي عقيم بدون تأكيدات أمريكية كافية تتعلق بامدادات الاسلحة أو الهدف النهائي لهذا الجهد الدبلوماسي ·

ولم تهدأ مخاوف اسرائيل بسبب زيارة السادات لموسكو في شهر أكتوبر وعودته ببيان يشتمل على تعهد ببذل جهود سوفيتيه جديدة (لتدعيم) قوة مصر العسكرية · (وحتى روجرز تحرك للاعراب عن (الاسف) علنا تجاه هذا التعهد) ·

ومع نهايه عام ١٩٧١ ·· أدت الانقســـامات داخل حكومتنا ـ تصميم وزارة الخارجية على متابعة جهد معين يستقطب قواها نحو أهداف لا يمكن بلوغها ـ وافتقار الاتحاد السوفيتي الى موهبه الخيال ·· الى حالة الجمود التى كنت أسعى للوصول اليها ·

● الطريق المزدوج

في ديسمبر عام ١٩٧١ اقتنعت وزارة الخارجية الامريكية نفسها بأن محاولات التسوية وصلت الى طريق مسدود · وأن كل مايمكن عمله هو أن يتولى جوزيف سيسكو محاولة اجراء « المحادثات عن قرب » على أن تستمر المفاوضات بيني وبين السفير اسحق رابين وبيني وبين السفير دوبرينين · كما اتفقت جولدا مائير مع نيكسون في يوم ٢ ديسمبر على كل شيء · وأهم هذه الاشياء هو التخلى عن محاولة التوصل الى تسوية شاملة · وهكذا تم اقرار قنــوات للاتصالات بين السفراء على النحو الذى ذكرته أى ·· أن نقـوم بممارسة أسلوب مزدوج لاتصالات ثنائيه ثم مفاوضات عامة (فى حالة اجراء المحادثات عن قرب) ولم تبق سوى مشكلة واحدة وهى أن المصريين ·· غائبون ·

● المحادثات « عن قرب »

ولكننى لم أجد ما يدعو الى العجلة ·

ففي البـــداية كان على سيسكو ورابين في أوائل عام ١٩٧٢ تسوية الموضوع السنوي الخاص بالمعونة العســـكرية لاسرائيل

وذلك من أجل تفادى المشاحنات الدورية التى ترتبت على المحاولة غير المجدية لكبح جماح الطاقة العسكرية الاسرائيلية ٠

وكنا نخلص دائما الى منح اسرائيل ما تريد ولكن بعد منازعات سياسية فى داخل أمريكا لا تساعد على تقدم المفاوضات وتجعل الحكومة تبدو عاجزة ٠

وفى النهاية ٠٠ بعد تسوية هذا الموضوع . وافقت اسرائيل فى أوائل فبراير على مشروع وزارة الخارجية الامريكية باجراء (محادثات عن قرب) ٠ ورفضت مصر هذه الفكرة ٠ وفى تلك الاثناء ، أردت أن أعرف ما يدور حقا فى اذهان السوفيت ٠ هل المفاتحات السوفيتية حول اتفاقية مرحلية تعبر عن خطة لتغيير أسلوب التحرك الدبلوماسى القائم أو للبرهنة على تحيزنا المزعوم لاسرائيل ضد زبائنهم ؟

وقبل ذلك كله ٠٠ كانت حساباتى انه كلما طال أجل العملية ٠٠ سيطرتنا على موقف مصر ٠

● نقطة الغليان

وقد لخصت ورطة موسكو مرة أخرى فى مذكرة للرئيس نيكسون قلت فيها ان زبونهم (يقصد مصر) لا يستطيع أن ينتصر فى حرب مع الاسرائيليين ٠ ولا مهرب بعد ذلك من موقفين : أما يقين العرب بأن تحالفهم مع الاتحاد السوفيتى غير كاف لتحقيق تسوية ٠٠ واما أن يشن المصريون حربا تفرض على السوفيت اتخاذ قرار بشأن الدعم العسكرى وتشكل مجازفة - بالنسبة للسوفيت - لا تتناسب على الاطلاق مع اى شىء يمكن تحقيقه ٠

● محاولة عبور الفجوة

وقد اقترحت استراتيجية جديدة تقوم على محاولة عبور الفجوة بين اصرار اسرائيل على اجراء تغييرات فى الحدود وبين مطالبة العرب بحدود عام ١٩٦٧ ٠ وتقوم هذه المحاولة على فكرة الفصل بين موضوع الامن وموضوع السيادة ٠٠ ومعنى ذلك أن تستعيد مصر السيادة على سيناء كلها ٠٠ على أن يسمح لاسرائيل بالاحتفاظ بمراكز دفاعية معينة فى حزام محدد على الارض المصرية ٠ وقد ناقشت هذه الفكرة فى القناة الخاصة مع الاسرائيليين ٠ ووافق إسحق رابين وموشى ديان عليها ٠ ومع بداية عام ١٩٧٢ كانت قد أقرت بعض المبادىء : فقد قالت اسرائيل أنها يمكن أن توافق على انسحاب الى الجانب الغربى من ممرات سيناء مقابل وقف اطلاق نار متفق عليه يستمر حتى بداية عام ١٩٧٤ ، وتستطيع

مصر عبور قناة السويس برجال بوليس ولكن بدون قوات مسلحة أما الربط بين هذه النقاط والتسوية النهائية فانه يظل غامضا · ولا تتدخل اسرائيل فى اعادة فتح قناة السويس ·

● موقف دوبرينين

فى تلك الاثناء ، كان الاتحاد السوفيتى لايزال يقف فى مكانه· وفى فبراير عام ١٩٧٢ ، أشار دوبرينين الى ان موسكو قد ترغب فى مناقشة فكرة الفصل بين الامن والسيادة · ولكن موسكو تراجعت ــ كما فعل جروميكو قبل ذلك باربعة أشهر فور ان أدرك أننا قد نكون مستعدين لبحث الموضوع بحدية · وأنا أعتقد الآن أنه لم يكن هناك تفاهم من أى نوع بيننا وبين القاهرة ··

وفى شهر مارس ألح على دوبرينين لكى أضع صياغة لبرنامجنا نحن ــ الأمريكيين ــ للسلام يكون أكثر شمولا · وقال انه سيكون من الاسهل على موسكو أن تستجيب لمقترحاتنا بدلا من أن تخرج على الموقف العربى بمبادرة من جانبها هى · ومما لا شك فيه أن هذا الذى قاله دوبرينين صحيح · وفى نفس الوقت . كنا نعرف بالفعل ما الذى سيكون عليه رد الفعل العربى لاية مقترحات مؤيدة من جانب اسرائيل · فقد رفض العرب مثل هذه المقترحات علنا بما فيه الكفاية · واذا طرحنا موقفا يختلف عن موقف اسرائيل فيما يسمى بالقناة الخاصة مع الاتحاد السوفيتى . فان موسكو سوف تستخدمموقفنا لكى تبين مايمكن تحقيقه بمساعدتها وسوف نتعرض مرة أخرى لوابل من النيران تنصب علينا من كلا الجانبين ·· أما اذا تقدمنا عن طريق موسكو باقتراح مطابق لاقتراح اسرائيل ، فان موسكو سوف تستخدمه لكى تبين عدم جدوى التعامل معنا ·

● قطع المحادثات

وبعد أن بدأت هانوى هجوم عيد الفصح فى ٣٠ مارس ، قمت بقطع المحادثات الخاصة عن الشرق الاوسط مع دوبرينين تعبيرا عن الاستياء ازاء شحنات الأسلحة السوفيتية التى جعلت الهجوم الفيتنامى الشمالى ممكنا . ولم تستأنف الاتصالات بصدد الشرق الاوسط الا عند زيارتى لموسكو فى الفترة من ٢٠ الى ٢٤ للاعداد لمؤتمر القمة · وفى تلك المناسبة قدم جروميكو وثيقة تحتوى على مشروع لتسوية شاملة يتضمن أكثر التفسيرات جمودا للتنازلات التى قدمها فى نهاية العام السابق قال ان مفاوضات مصرية ــ اسرائيلية منفصلة أمر مقبول ولكن اذا كانت ستلازمها تسوية

للقضايا الشاملة .. ومرة أخرى فانه بصرف النظر عن الوعود التى يقدمها السوفيت فى هذه الوثيقة فانها لن توضع موضـــع التنفيذ ما لم يتم تنفيذ كل بند من بنود اتفاقية شاملة (وهى اتفاقية لن توقعها اسرائيل أبدا بدون أقصى درجات الضغط الامريكى) وواصل جروميكو اضعاف الاقتراح الذى سبق أن قدمه بانسحاب العسكريين السوفيت بحيث يجرده من قدر كبير من الاهمية .. فأولا .. لن ينفذ هذا الاقتراح لحين تحقيق تسوية شاملة (وبعبارة أخرى . بعد عملية ستكون فى تقديرنا طويلة جدا بالتأكيد بحيث يكون الاتفاق على هذه الخطوة التى اقترحها لا معنى له تقريبا).. وحتى فى هذه الحالة فان القوات السوفيتية ستبقى فى الدول العربية بنفس نسبة تواجد الامريكيين فى ايران .

● **تفاهم سرى**

ان الامر يتوقف على الكيفية التى أجريت بها هذه الحسابات أو جرى التفكير فى نتائجها . غير أن معنى هذا الاقتراح فى الواقع هو أنه لا يجب أن تحدث انسحابات على الاطلاق . وأبدى جروميكو روح المساعدة عندما عرض وسيلة تتخطى العقبـات المحتبة فى الولايات المتحدة . فقد اقترح أن نتفاوض علنا حول اتفاقيـــة للفصل بين القوات على قناة السويس شريطة أن نتوصل ـ هو وأنا ـ فى نفس الوقت الى تفاهم سرى حول بنود تسوية شاملة يكشف النقاب عنها وتنفذ على الفور عقب انتخابات الرئاســة الامريكية فى أواخر عام ١٩٧٢ .

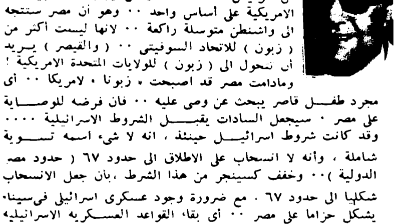
ورغم ثقة أسطورية بالنفس واخلاص للمسرية .. فاننى لم أعتقد أن هذا الاقتراح يمكن تنفيذه .. وقوبل الاقتراح بالرفض .

لقد تصرف الزعماء السوفيت كما لو كان وجودهم فى العالم العربى .. دائما .. ويناور به الكرملين وفيما يشاء . وقبل ذلك (فى ١٧ مارس) كنت قد أشرت لدوبرينين الى أن مركزهم ليس بهذا القدر من الروعة التى اعتاد أن يصوره بها .. فالسياسة الحالية للكرملين لا تكفل لزبائنها سوى الجمود أو الهزيمة فى الحرب . ورد دوبرينين بقوله أن موسكو أيضا تملك اختيار زيادة وجودها العسكرى فى مصر زيادة كبيرة . ولكننى كنت أشك فى ذلك ، لاننى كنت مقتنعا بأن موسكو لن تصل الى حد اشراك قواتها فيما يمكن أن يتصاعد بســـهولة الى مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة .

وفى فبراير عام ١٩٧٢ زار السادات موسكو .

• تعليق على
الفصل الرابع عشر

كسينجر يحني اعتذاراً أمام فلاح " ميت أبوالكوم "



(قيصر) البيت الابيض كسينجر . رسم كل استراتيجيته لقتل كل مبادرات السلام . التى جاءت من الرئيس السادات ، أو من وزارة الخارجية الامريكية على أساس واحد ٠٠ وهو أن مصر ستتجه الى واشنطن متوسلة راكعة ٠٠ لانها ليست أكثر من (زبون) للاتحاد السوفيتى ٠٠ (والقيصر) يريد أن تتحول الى (زبون) للولايات المتحدة الامريكية ! ومادامت مصر قد اصبحت « زبونا » لامريكا ٠٠ أى مجرد طفل قاصر يبحث عن وصى عليه ٠٠ فان فرضه للوصاية على مصر . سيجعل السادات يقبل الشروط الاسرائيلية ٠٠٠٠ وقد كانت شروط اسرائيل حينئذ ، انه لا شىء اسمه تسوية شاملة ، وأنه لا انسحاب على الاطلاق الى حدود ٦٧ (حدود مصر الدولية)٠٠ وخفف كسينجر من هذا الشرط ،بان جعل الانسحاب شكليا الى حدود ٦٧ . مع ضرورة وجود عسكرى اسرائيلى فى سيناء يشكل حزاما على مصر ٠٠ أى بقاء القواعد العسكريه الاسرائيليه ٠٠ وبقاء المستوطنات ٠٠ والزيادة عليها ايضا ٠٠ وهذا ما فجرته عبقريته تحت اسم الفصل بين « الامن » و « السيادة » ! ٠٠ اى السيادة الشكلية لمصر على أرضها ٠٠ والاحتلال العسكرى

الاسرائيلي لسيناء تحت ستار (الامن) ! ثم ليس هناك مايدعو مصر الى ان تجنح الى الخيال ، وتطلب المستحيل . وعلى مصر ان تكون واقعية .. بدلا من أن تسمع من البيت الابيض .. وعودا جوفاء يستحيل تحقيقها ..كما سمعت من روجرز وزير الخارجيه من قبل !

وقد نما الى علم كسينجر أن هناك خلافات بين أنور السادات والاتحاد السوفيتي .. وهذا سوف يعزز استراتيجيه كسينجر .. وفي الوقت نفسه لا مانع لديه من ان يقدم « الطعم » الى مصر . باتصالات ومباحثات لا تجدى .. وذلك لقتل الوقت .. واستمرار تجميد الموقف في سنة الانتخابات الرياسية في امريكا التي كانت تقلق نيكسون .. مع تذكير مصر بان « العقل » أجدى من طموحات « الخيال » التي لن تتحقق .. وهو يعزز موقفه المستأسد . بمزيد من الاسلحة لاسرائيل .. لكى يدعم موقفها .. ويدعم سياسته أيضا . ويريح بال نيكسون ..

كسينجر يفهم الاتحاد السوفيتي تماما .. فهو القوة العظمي الثانية التي تجيد التراجع السريع أمام أمريكا اذا اظهرت أمريكا (العين الحمراء).. ويؤيد ذلك تراجع السوفيت الكامل في مؤتمر قمة الوفاق في موسكو .. الذى وافقوا فيه دون اى ضغط أمريكي. على تجميد الموقف في الشرق الاوسط والتعهد باستمرار حالة الاسترخاء العسكرى .. كما أن الاتحاد السوفيتي لن يجرؤ على مواجهة عسكرية في الشرق الاوسط .. بعد أن دخلت أمريكا بكل قوة في حرب الهند وباكستان . تأييدا لباكستان .. ولقنت الاتحاد السوفيتي درسا ، لابد أن يضعه في اعتباره اذا ما حاول أن يكرر الموقف في الشرق الاوسط تأييدا لمصر .. كما فعل تاييدا للهند ..

● السخرية من خيبة السوفيت

وهو يقول « ان السوفيت دفعوا الثمن غاليا في مصر وفي الشرق الاوسط .. بعد أن وافقوا على وضع الشرق الاوسط فوق الثلج في اجتماع قمة الوفاق » . .

كما يقول ساخرا من خيبة السوفيت .. انهم بنوا استراتيجيتهم على أن يكسبوا كل شيء .. تبعية مصر لهم .. مع الحد الادنى من المخاطرة من جانبهم .. مع تحدثهم عن القضية العربية مطالبين بكل ما تطالب به مصر .. وكل هذه تناقضات في رأى كسينجر .. وهذا منطق سليم لانه اذا كانت موسكو قد تصورت مصر تابعة

ذليلة تؤمر فتطيع ٠٠ فان ذلك لا يمكن أن يستمر اذا وجدت مصر أن هذه القوة العظمى الآمرة ، لا تريد أن تخـــاطر بشيء من أجل حقوق مصر ٠٠ حتى في مد مصر بالاســـلحة الحديثة التي تدعم مركزها التفاوضي ٠٠ ان لم تكن كافية لان تشن مصر حربا لتحرير أرضها ٠٠ كما أن مجرد ترديد موسكو لمطالب مصر في الاتصالات مع أمريكا ، لمجرد تسجيل المواقف فقط ، دون أي دعم حاسم من الاتحاد السوفيتي ٠٠ هو لغو لا طائل منه ولا جدوى ٠٠

ولكي يبرر كسينجر أن مصر ، سوف تتجه الى واشنطن ٠٠ وهي « عاقلة » ٠٠ وهي تعرف أنه لا جدوى من خرافات الانسحاب الكامل ٠٠ والسيادة الكاملة على سينا، ٠٠ لكي يبرر كسينجر نجاح سياسته ، فانه يقول ان مصر سعت الى الاتصال بالبيت الابيض ، عن طريق قناة سرية ٠٠ وان مصر اقتــرحت أن يزور القاهرة اما كسينجر أو ريتشارد هيلمز ٠٠ وفي المقابل يمكن أن يأتي الى واشنطن حافظ اسماعيل مستشار الامن القومي للرئيس السادات ٠٠

ثم يقول كسينجر انه وافق على الفكرة ٠٠ وانه فضل أن يأتي حافظ اسماعيل الى واشنطن معززا مكرما مرحبا به ٠٠

● هذه الواقعة غير صحيحة:

ونحن نسمح لانفسنا أن نقول لقيصر البيت الابيض ، ان هذه الواقعة غير صحيحة جملة وتفصيلا ٠٠ ونقول ذلك استنادا الى أعلى مصدر رسمي عليم بكل أسرار الاتصالات التي جرت في ذلك العام (١٩٧٢) ٠٠ ان مصر لم تطلب ذلك ٠٠ وان العـــرض ، بان يزور حافظ اسماعيل واشنطن ٠٠ ويجتمع بكسينجر جاء من البيت الابيض الامريكي ، عن طريق قنوات الاتصال العادية ٠٠ وان مصر وافقت على هذا العرض بتحفظات يسجلها كسينجر في كتابه ٠٠ لان مصر اشترطت ، أن يكون هناك جدوى من هذا الاجتماع ٠٠ وان يكون لدى أمريكا شيء جـــديد تقدمه ٠٠ فليس الامر هو مجرد اجتماع ، جرى مثله من قبل اجتماعات عـــديدة ٠٠ مع روجرز وسيسكو ٠٠ وممثل المصالح الامريكية في مصر ٠٠ وكلها انتهت الى حلقة مفرغة من المراوغات الامريكية ٠٠ كما أن خطابات عديدة رسمية تم تبادلها بين الرئيس الســـادات والرئيس نيكسون ٠٠ فليس الاتصال اذن بجديد بين القاهرة وواشنطن ٠٠ وليس هو سرا من الاسرار ، يحتاج الى قناة سرية جديدة ٠٠

ولكن كسينجر يريد دائما كما هو ملحوظ في كل سطوره ، ان يصور نفسه وكأنه محرك كل الخيوط ..

ثم هو تناقض مع نفسه حين يقول ان السادات لم يرد على رسالة البيت الابيض اليه في ٢٩ يوليـو ١٩٧٢ عن المبـــاحثات المقترحة مع حافظ اســـماعيل .. الا في ٤ سبتمبر حين قال انه لايزال يدرس الموقف ، وان كان قد وافق على اجراء المباحثات من حيث المبدأ .. وان السادات سيطلب ايضاحات جديدة بعد أيام .. بل ان كسينجر يعترف ايضا أن البيت الابيض تلقى من القاهرة في ٧ سبتمبر ١٩٧٢ رسالة مطولة تؤكد على حقائق أربع :

١ ـ ان طرد الخبراء والمستشارين السوفيت قرار وطني محض

٢ ـ ان هذا القرار لم يتخذ لارضاء اى أحد ، أو لاثارة غضب أى أحد .

٣ ـ خيبة أمل مصر في موقف أمريكا من اسرائيل .. ومن النفوذ الاسرائيلي على أمريكا .

٤ ـ خيبة أمل مصر في كل الاتصالات التى جرت مع أمريكا .

● فصاحة كسينجر عن الامر الواقع

ان كسينجر في كل تقديراته ، لم يضع في اعتباره ، التقدير الاول الصحيح .. وهو أن السادات ، لن يكون لعبة في يد أمريكا .. كما انه ليس لعبة في يد السوفيت .. وان كل هذه المراوغات اللفظية من كسينجر ، لم تكن تنطلى على رئيس مصر .. وان فصاحة كسينجر وبلاغته في رسائله حول « الواقعية » وانه لا جدوى من « أن تعطى أمريكا وعودا جوفاء » .. كل هذه الفصاحة والبلاغة ، التى بناها كسينجر على أساس واحد ، هو أن مصر جثة هامدة .. وانها لن تستطيع أن تحارب .. بسبب قصور الدعم العسكرى السوفيتي .. وانها اذا حاربت فهى الخاسرة تماما بغير جدال .. كل هذه الفصاحة والبلاغة لم تكن بقادرة على خداع فلاح ميت أبو الكوم الذى طرد ١٥ الف عسكرى سوفيتي من مصر في ساعات !

وقبل أن استطرد في موضوع لقاء حافظ اسماعيل مع كسينجر .. أجد لزاما أن أتناول موضوع طرد العسكريين السوفيت من مصر .. الذى « دوخ » عقل كسينجر .

لقد كان السوفيت يتصورون أن السادات عقد صفقة سرية مع أمريكا ، نفذ أحد بنودها وهو انهاء الوجود العسكرى السوفيتي ..

وكان البيت الابيض الامريكى يتصور أن السادات « زبون » الاتحاد السوفيتي .. قد وقع في فخ « تجميد » الشرق الاوسط ،

كما تم الاتفاق على ذلك فى مؤتمـر الوفاق .. وليست خطابات السادات الملتهبة بالهجوم على أمريكا .. الا تعبيرا عن أن « مصر زبون قلق من الجهة التى تتـولى حمايتها » ! وهذا نص كلمات كسينجر ..

ثم تأكد السوفيت بعد ذلك تماما ، أن قرار السـادات بطرد « عسكرهم » من مصر .. كان قرارا مصريا خالصـا .. وكان مفاجاة لامريكا .. ولذلك فان موسكو ـ وبغباء شديد ـ أرادت أن تصور لامريكا ، أنهم نفذوا وعدهم السابق لواشنطن بأنهم على استعداد للانسحاب العسكرى من مصر ! ..هكذا كتب بريجنيف الى نيكسون بعد أن تأكد أن أمريكا لم تكن تعلم ! .. وسـخر كسينجر من هذه الرسـالة طبعا .. لان كلمـات السوفيت للامريكيين عن انسحابهم العسكرى من مصر .. كانت بشرط أن ينسحب الامريكيون عسـكريا من ايران .. بل كانت مشفوعة بتاكيدات من دوبرينين السفير السوفيتى فى أمريكا .. بان الاتحاد السوفيتى يستطيع زيادة وجوده العسكرى فى مصر كما يشاء !

● حملة ارهاب نفسى من موسكو

وبعد هذا التاكد من السـوفيت .. بدأوا الاتصـال بأنور السادات .. وكانت « الوقفة » مع الصـديق كما وصفها أنور السادات حينئذ .. وكانت رحلات عزيز صدقى الى موسكو .. ثم المشير أحمد اسماعيل قبل حرب اكتوبر التى فاجأت الجميع .. وكان الاتفاق على قدر جديد من التسـليح ، كان السوفيت متأكدين انه لن يشجع مصر على المغامرة بالحرب .. ولكنه سوف يصحح موقف السوفيت فىالشرقالاوسط بعد فضيحة « الاسترخاء العسكرى » .. و « التجميد » فى مؤتمر قمة وفاقهم مع واشنطن .. وكان السوفيت قد شنوا قبل ذلك حمـلة ارهاب نفسى فى العواصم الشيوعية ، وغيرها ، بأن مصر لن تحارب ، ولا تريد الحرب ، وانهاطلبت من الاتحاد السوفيتى أن يحارب معركتها .. وهذا هو لسبب فى الموقف المصرى .. الى آخـر هذه الترهات السوفيتية .. التى انتهت بحقيقة أدركوها ، وهى أنهم يجب أن يحسنوا صورتهم أمام مصر والعرب .. وان السادات ليس هو « التابع » الذى تفرض عليه الوصاية ..

وهكذا كانت تتطور العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ، وخاصة بعد خطاب أنور السادات المشهور الى بريجنيف فى أغسطس ١٩٧٢ ، الذى وضع فيه كل النقط على كل الحروف ، عن قصور

السلاح السوفيتي وقلته . وتخلفه عن السلاح الامريكي في اسرائيل ·· وتعمد السوفيت امدادنا بالقليل الذى يجعلنا عشرين خطوة وراء اسرائيل ··

● اعترافات ·· واعتذارات ·· وخيبة امل

ولكن ماذا كان موقف أمريكا من قرار طرد الوجود العسكرى السوفيتي من مصر ؟ ··

أولا ·· يعترف كسينجر بأن أمريكا فوجئت بهذا القرار مفاجأة مذهلة ·· ويسجل في كتابه « وجاء القرار مفاجأة كاملة لواشنطن. ففى ذلك اليوم كنت في طريقى الى باريس لحضور اجتماع سرى مع الفيتناميين الشماليين » ··

ثم يقول بغرور « ولاشك أن استراتيجيتى كانت تسعى لاقناع القاهرة بتخفيف اعتمادها على الاتحاد السوفيتي · وكنت أتوقع أنه عند لحظة معينة على الطريق سيكون السادات مستعدا لان يعرض مقايضة الانسحاب السوفيتي باحراز تقدم معنا » ··

وهذا ليس بصحيح ، الصحيح ما ردده كيسنجر حينئذ لاكثر من شخصية عربية وأجنبية حين حين قال انه مندهش أن يتخذ السادات هذه الخطوة التى لم نكن نتوقعها على الاطلاق ·· دون أن يساوم عليها معنا سرا ·· مقابل احراز تقدم في مباحثات السلام تقدمه أمريكا » ·

ولكن كسينجر يعود في كتابه ليعترف بالحقيقة ويقول : « ولكننى ·· نظرا لاننى كنت من ناحيتى لا أزال معوقا بالتقليل من تقدير شخصية الرئيس المصرى ، لم أتكهن أبدا أنه سوف يتخذ مثل هذا القرار ، بخطوة واحدة ضخمة ومهيبة ومن جانب واحد »

وتصور كسينجر في بادىء الامر أنه قرار متسرع ·· ثم عاد اليه فكره بأن السادات بهذه الخطوة ، حسن من اختياراته العسكرية في السنة التالية (١٩٧٣) ·· وانه رد ردا سياسيا على خيبة أمل المصريين في الداخل من الاتحاد السوفيتي ·· وانه أنقذ القضية من « التجميد » ·· ثم يقول كسينجر ان السادات قدم اغراء للولايات المتحدة ، بأنه استطاع أن يقلم أظافر العلاقة السوفيتية ··

واذا كانت استنتاجات كسينجر الاولى فيها شىء من الصحة ·· فان استنتاجه الاخير ·· استنتاج خائب ·· لان كسينجر لم يكن يستطيع أن يفهم أو يدرك . أن السادات قد يئس من الروس ·· ومن الامريكان معا ·· وان قراره بدخول الحرب قرار لا رجعة

فيه ·· وان وجود عسكريين سوفيت على أرض مصر ·· سيمنع من تنفيذ قرار الحرب ·

هذا ما لم يجل على خاطر « قيصر » البيت الابيض ·· لانه كان على يقين ·· بأن مصر ســـتتلاشى فى ساعات . واذا أقدمت على مغامرة الحرب ضد الاحتلال الاسرائيلى ·

ولذلك فقد استمر كسينجر يراوغ على أساسه السابق وهو أن السادات زبون قلق ·· من الجهه التى تتولى حمايته ··

ويعتذر كسينجر عن خيبة تقديراته بقوله بالنص : « وفيما بعد عرفت السادات . كواحد من الزعماء البارزين القــلائل بحق ·· الذين النعيت بهم · انه يمتلك موهبـــة تجمع بين نفاذ البصيرة والشجاعة ·· وهى الموهبة التى لا يتمتع بها سوى سياسى عظيم· لقد كانت لديه الجرأة لان يدخل حربا لم يكن أحد يتصور أنه يمكن أن يقوى عليها ·· كما أنه يتصف بالاعتدال الذى يجعله يتحرك نحو السلام بعد ذلك مباشرة ·· كما أن لديه الحكمة التى تجعله يتحرك فى الاتجاه المعاكس لمواقف جمدتها عشرات السنين » ·

ثم يقول كسينجر « فى عــام ١٩٧٢ لم يكن أى شىء من ذلك واضحا بالنسبة لى » ·

ثم يعتذر كسينجر مرة أخرى . ليبرز خيبة تقديراته . فيقول : « لم يكن لدينا حوار منتظم مع السادات · ولم يحـاول أحد من مبعوثينا أن ينفذ الى ما وراء الاسلوب الجذاب الذى يتحلى به لكى يكتشف ·· كيف يفكر السادات حقا » ··

● « الطعم » المخادع الذى القاه كسينجر

ولذلك وبفهمه الخاطىء الخائب لشخصية السادات ·· استمر كسينجر فى مراوغاته ·· وتصور أن الطعم الذى ألقـــاه بعرضه الاستعداد لاستقبال شخصية مصرية على مستوى عال ·· سوف يخدع السادات ·· ولم يرد السادات بسرعة ·· وتباطأ ·· وأخيرا وافق بشرط أن يكون لدى أمريكا جديد تقدمه فى هذه المباحثات ·· ثم تحدد موعد اللقاء فى باريس بين كســـينجر وحافظ اســماعيل فى فبراير عام ١٩٧٣ ·· أى استغرق الاخذ والرد شهورا ·· ويعلل كسينجر ذلك ، أنه بسبب انشغاله فى مباحثات فيتنام ·· ولكن الحقيقة كما تبدو ، أنه كان يتصور أنه يقوض نفسية السادات الذى تأزمت علاقتــه مع الروس ·· فليس أمامه الا أبواب واشنطن لحل سلمى جزئى ، دون تفكير فى اتفاق شامل يتضمن الانسحاب الكامل ·· أى الاستسلام لكل مطالب اسرائيل ·

وتم اللقاء .. ولم يذكر كسينجر فى كتابه شيئا عما جرى فى هذا اللقاء مع حافظ اسماعيل فى فبراير ١٩٧٣ ثم لقاء آخر فى أبريل ٧٣ .. ولكن أنور السادات يوضح لنا الحقائق فى كتابه « البحث عن الذات » حين يقول :

« طبعا أصيب الامريكان بذهول يوم ١٦ يوليو ١٩٧٢ عندما اتخذت قرار الاستغناء عن الخبراء السوفيت ، ولكنهم حاولوا جهد طاقتهم ألا يأخذ القرار مكانه فى أعلامهم .. فالوفاق بدأ .. وكان نيكسون قد زار موسكو فى مايو ١٩٧٢ أى قبل شهرين فقط من قرارى بالاستغناء عن الخبراء السوفيت .. فكانما كانت مؤامرة صمت » ..

ونلاحظ هنا أن كسينجر لم يشر من قريب أو بعيد الى مؤامرة الصمت هذه التى فرضوها على الاعلام الامريكى .. لان اخراج « العسكر » السوفيت من مصر ، يسقط كل حلم اسرائيل ، بأنها سوف تحارب الاتحاد السوفيتى .. ولذلك تدفق عليها السلاح .. ويسقط كل حجج كسينجر ، بأن أمريكا يجب أن تخيف الاتحاد السوفيتى .. بترسانة الاسلحة الامريكية فى اسرائيل .. حتى لا يشجع مصر على الحرب . وقد استجاب الاتحاد السوفيتى تماما . لهذا القرار الامريكى .

ثم يقول السادات فى كتابه :

« ولكن يخطىء من يظن انى اتخذت قرار طرد الخبراء السوفيت ، لارضاء أمريكا أو أية جهة أخرى .. لقد كان قرارا وطنيا سعد به شعب مصر كل السعادة ، فهو قرارى ، وقرار شعبى وحده ، وكان هجومى على روجرز وأمريكا لما لقيته من سلوك من جانبهم لا يقل عنفا عما وجهته للسوفيت وأنا أطرد خبراءهم » ..

● الموقف فى الداخل والخارج

وهنا أسمح لنفسى أن أضيف صورة عاجلة عن هذه الفترة فأقول أن صحف الغرب الموالية للصهيونية ، استغلت هذا القرار ، وأكدت بأن هذا يعنى تماما أن أنور السادات فقد حليفه الوحيد .. وأنه لن يكون قادرا على الحرب . وتوقعت مقالات عديدة من كتابهم ، انهيار حكم السادات من الداخل ، وبعد أن كانت اسرائيل تصرخ ، بأنها سوف تحارب جيشا سوفيتيا فى مصر .. أصبحت تقول .. أن هذا يعنى أن مصر أصبحت عاجزة عن القتال تماما .. وأنطلقت اسرائيل فى سياسة العربدة .



حافظ اسماعيل
كتب كيسنجر فى مذكراته عن الاتصالات
التى سبقت لقاءه بحافظ اسماعيل ..
ولكنه لم يذكر شيئا عما تم فى هذا اللقاء

كما أن اليسار المتطرف المحلى والعربى كان مقتنعا بأن هذه الخطوة تمت بالاتفاق مع أمريكا .. وتضاعف التهجم على أنور السادات .

ثم بدأ ــ حينئذ ــ نقد غريب للقرار من العناصر اليسارية . اتخذ أسلوبا ذكيا لا يكشف عن خلفياته .. النقد يقول .. كان يجب على السادات قبل أن يتخذ القرار ، أن يعرف ماذا سيكون المقابل الذى سيجنيه من أمريكا .. كانت هذه العناصر اليسارية تردد وجهة نظر كسينجر ! وكان موقف الصحفيين السوفيت الذين كنا نلتقى بهم وكانوا طبعا يعبرون عن الرأى الرسمى ــ يتبلور فى عدة أسئلة يوجهونها ..

ــ أيهما أفضل للدفاع عن مصر . ضد أى عدوان اسرائيلى محتمل .. أن تكون على أرضكم قوات سوفيتيه .. أو بدونها ؟ ..

ــ أيهما أفضل اذا كنتم تستعدون للحرب فعلا .. أن تفيدوا من خبرة الخبراء .. أو تفقدوها ؟

ــ انكم تتحدثون عن الحرب . ولكنكم لا تريدون الحرب . وأنتم تريدون أن تبرروا ذلك بعدم حصولكم على الاسلحة من السوفيت .. ان ما لديكم يكفى للقتال ، اذا كنتم تريدون فعلا القتال ..

واذا كنتم تريدون القتال حقا . فيجب أولا أن تتحقق وحدة عربية

.. ويجب أن تكون لديكم قاعدة اقتصادية قادرة على الحرب .. ويجب أن تكملوا الاستعدادات الداخلية .. نقل الآثار .. تجهيز المستشفيات .. اعداد الدم .. التدريب على الدفاع المدنى .. أن تعيش أجهزة أعلامكم جو الاعداد للقتال .. ولكنكم لا تفعلون شيئا من كل هذا .. وتكتفون بالحديث عن الحرب ٠

● **انتم مهزومون .. وحذار من الحرب**

وأعود الى القول .. أن كل الاطراف .. فى موسكو وواشنطن وتل أبيب قد اقتنعوا تماما . أن السادات لن يحارب ٠
وهذه هى براعة السادات السياسية ..

واذا سجلت كلماته بعد ذلك فى كتابه عن لقاءى كسينجر بحافظ اسماعيل .. فاننى متأكد اكثر وأكثر .. أن عبقرى البيت الابيض وقيصره ومحرك خيوط سياساته ، كان أول الخائبين فى استكشاف حقيقة الاستراتيجية المصرية ..

يقول السادات :

ـ كانت حصيلة كلام كسينجر أن الذى فعله روجرز كان بغير مساندة الرئيس الامريكى ولذلك لم يتم شىء ٠ ولكن الرئيس الامريكى الآن مستعد للتعاون من أجل السلام ٠ قال له حافظ اسماعيل أن مبادرتنا مازالت قائمة ، رغم تحدى روجرز وزير الخارجية الامريكى لنا فى يناير ١٩٧٢ ٠

فرد كسينجر قائلا : ـ « قل للرئيس السادات رغم أننى لا أعرفه شخصيا أن تقديرنا له الذى بنى على تقرير مندوب أمريكا فى جنازة عبد الناصر كان خاطئا ٠ بل أن الحقائق كلها تشير الى عكس ما جاء فى هذا التقرير ٠ فقد رأيناه يتقدم بمبادرة سلام ، ثم رأيناه وهو يتخذ قرار طرد الخبراء السوفيت .. وهذه مسائل لافتة للنظر » ٠

.. والى هنا والكلام جميل .. ولكنه مخادع .. لان كسينجر كشف عن أنيابه حين قال بعد ذلك لحافظ اسماعيل ، كما يسجل كتاب السادات ٠

ـ .. ولكن نصيحتى للسادات أن يكون واقعيا .. فنحن نعيش فى عالم الواقع ولا نستطيع أن نبنى شيئا على الامانى والتخيلات .. والواقع أنكم مهزومون ، فلا تطلبوا ما يطلبه المنتصر .. لا بد أن تكون هناك بعض التنازلات من جانبكم حتى تستطيع أمريكا أن تساعدكم ٠

ويستمر كسينجر في نصيحته :

ــ ·· فكيف يتسنى وأنتم في موقف المهزوم أن تملوا شروطكم على الطرف الآخر ·· أما أن تغيروا الواقع الذى تعيشــــونه ، فيتغير بالتبعية تناولنا للحل ، وأما أنكم لا تستطيعون · وفي هذه الحالة لابد من ايجاد حلول تتناسب مع موقفكم غير الحلول التى تعرضونها·

وأرجو أن يكون معنى ما أقول واضحا · فلست أدعو السادات اطلاقا الى تغيير الوضع العسكرى ، فلو أنه حاول هذا فسوف تنتصر اسرائيل مرة أخرى بأشد مما انتصرت في سنة ١٩٦٧ ، وفي هذه الحالة يصعب علينا أن نفعل أى شيء · وسوف تكون هذه خسارة كبيرة لمصر وللسادات شخصيا وهو رجل أحب أن أتعامل معه في يوم ما ·· فأنا شديد الاعجاب به لمواقفه وشجاعته الواضحة ولانه انسان لاول مرة في هذه المنطقة يضع كل شيء في مكانه بأســــلوب علمى سليم . ويتخذ خطا جديدا لم يتخذه أى زعيم عربى من قبله » ·



وكلام كسينجر لحافظ اسماعيل واضح كل الوضوح لا يحتاج الى تعليق ·· وهو يقدم دليلا جديدا ·· على أن كسينجر كان يتصور أن السادات في مأزق الاستسلام ···

وقد زاد اقتناع كسينجر بعد ذلك بنظرته الخائبة ، حينما التقى أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل حينئذ قبيل حرب أكتوبر بيوم أو يومين اذا لم تخنى الذاكرة ·· وتحدث معه في شأن بدء محاولات جديدة ، مع مصر لانسحاب جزئى محدود وفقا لشروط اسرائيل ·· حتى هذا لم يقبله أبا ايبان ··

وقال كسينجر : اتركوا لنا مصر ·· ولا شأن لكم بها ·· ان مصر ستبقى هكذا جثة هامدة خمسين عاما ··

ولعل كسينجر قد استراح لهذا التقدير . الذى يتفق مع حساباته ·· فمصر هالكة اذا حاربت ·· ومصر مغلوب على أمرها اذا هى لم تحارب ·· وعليها اذن أن تجلس الى مائدة مفـــاوضات ، بمنطق المهزوم ·



ولكن كـــسينجر اصيب بالذهول في اليوم الرابع لحرب أكتوبر ·· عنــــدما هزت أرجاء البيت الابيض صرخات جولدا مائير « انقذوا اسرائيل » ·· وعندما تلقى البيت الابيض أن اسرائيل خسرت في

ثلاثة أيام على الجبهة المصرية ٤٠٠ دبابة مطلوب ارسالها فورا من أمريكا لاسرائيل !

●●●

ان اعتذارات كسينجر فى كتابه المتكررة . بأنه لم يفهم شخصية أنور السادات وأبعاد زعامته .. لا تكفى . ان هذا الرجل هو المسئول أمام التاريخ .. مع التقاعس السوفيتى .. عن الدماء التى أهرقت فى حرب أكتوبر .. ان سوء تقديراته هيأت له أن الاستسلام هو طريقنا الوحيد . وسوء تقديرات زعماء الاتحاد السوفيتى هيأت لهم .. أن مصر يجب أن تستمر « عزبة » من ضياع موسكو .. وأن تجميد الموقف يجب أن يفرض عليها ..

كان طريق السلام الحقيقى مفتوحا أمام الجميع ..

ولكن الغرور ، والغباء السياسى ، وأطماع القوى العظمى ، وصلافة اسرائيل .. كلها أدت الى قرار الحرب .. والى الزلزال فى اسرائيل .

ولكننا ــ وبكل الاسف ــ فى عالم لا يقتنع الا بمنطق القوة ..

ولكننا أيضا ــ وبكل الفخار ــ عرفنا كيف نقنع العالم بمنطق السلام .. من موقع القوة .

وفى قمة انتصارنا فى السادس عشر من أكتوبر .. فاجأت مصر المظفرة .. العالم كله .. بأنها تمد يد السلام .

● **تحية عسكرية لقائد مصر**

بقى خبر للتاريخ لا بد أن أسجله .. بعد أن أصدر الرئيس السادات قرار طرد « العسكر » السوفيت من مصر .. ألتقى قائد الجيش اليوغوسلافى بمسئول مصرى فى بلغراد .. وأدى هذا القائد التحية العسكرية ، وقال للمسئول المصرى .

ــ أرجوك أن تبلغ الرئيس السادات أننى أعظمه بالتحية العسكرية لهذا القرار الوطنى الشجاع .

●●●

ونعود الى قولنا المكرر .. لولا طرد « العسكر » السوفيت .. لما كانت هناك حرب أكتوبر .. ولولا حرب أكتوبر لما كان هناك سلام .. ولولا السلام .. لما تكشفت أمام العالم كله . تفاهات . وهيافات ، وأمعات ، وأباطرة .. يغتصبون مقاعد الحكم . لقهر الشعوب فى بغداد ودمشق وطرابلس ..

.. أفيقوا .. يا سكارى السلطة والسلطان .

كيف فوجئنا من السادات بقرار طرد الخبراء السوفييت من مصر ؟

● كل تقديراتى لشخصية السادات كانت خاطئة لاننى لم أدرك عظمة هذا الزعيم العالمى .

● بريجنيف يبلغ نيكسون ان خروج الخبراء السوفيت من مصر ، هو تنفيذ لوعد سابق من موسكو للبيت الأبيض !؟

● خطابات من كسينجر للقاهرة قبل لقاء حافظ اسماعيل .. للمراوغة والتأجيل وطلب النظرة الواقعية .

● فلسفة السادات فى الاستراتيجية السياسية .. هى نفس فلسفة الزعيم الصينى شواين لاى .

● الفصل الرابع عشر

كيف فوجئنا من السادات بقرار طرد الخبراء السوفيت من مصر ؟

كتب كسنجر :

الاستياء لا يسير على ما يرام بين مصر والاتحاد السوفيتي . وفي [illegible] من أبريل [illegible] [illegible] في القمة نحو [illegible] على نكسون [illegible] العلاقة السوفيتية ـ المصرية أكثر تحفظا مما كانت عليه في وقت عبدالناصر . وان هذه [illegible] وقد فهمنا أن السادات طلب أسلحة [illegible] ودعما دبلوماسيا وعسكريا سوفيتيا بحجم يشبه ما قدمه السوفيت الى الهند أثناء نزاعها مع باكستان بما في ذلك المساعدة في تمكين مصر من بناء صناعتها الحربية . وقد تلقى تأكيدات بشأن أسلحة ولكنه لم يتلق شيكا على بياض فيما يتعلق بالدعم الدبلوماسي أو العسكري .

وكانت مصر تضغط على موسكو ، ولكن حسابات موسكو الواضحة كانت ـ كما كنا نأمل ـ أنه نظرا لأننا وصلنا الى حافة الحرب بسبب باكستان فان تحدى بقاء اسرائيل سيخلق ـ للسوفيت ـ مخاطر لا يمكن السيطرة عليها . كما أن الكرملين لم يكن يرى منفعة من اقامة صناعة حربية في مصر يمكن أن تؤدى الى تقليل اعتماد القاهرة على الامدادات السوفيتية بدرجة كبيرة .

● فن الممكن

وأبلغت نيكسون ان انطباعي هو أن السوفيت يتجنبون اتخاذ

موقف ودى تجاه السادات خوفا من مخاطر دعم شامل له وترقبا لمحادثاتي مع دوبرينين

وكما جرت العادة .. فقد أرادوا كل شيء : تبعية مصر - الحد الأدنى من المخاطرة - البرنامج العربي الكامل للتسوية

ولكن .. نادرا ما تحقق الدبلوماسية شيئا بهذه الطريقة ، هؤلاء الذين يشتهون انتزاع كل شيء والذين ينسون أن السياسة هي فن الممكن .. قد يخسرون في النهاية كل شيء .

وثمة شيء أكثر تحديدا لثقتى .. فقد حدث فى شهر ابريل عام ١٩٧٢ أن مصر فتحت قناة اتصال سرية مع البيت الابيض .

واقترح المصريون أن يزور القاهرة اما ريتشارد هيلمز أو أنا .

وفى المقابل يمكن أن يأتى الى واشنطن حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات لشئون الامن القومى

● **شرط للنجاح**

وعندما جاءنى التقرير حول هذه الاتصالات كتبت عليه ملاحظة الى نائبى الكسندر هيج (.. ماذا عن اسماعيل فى واشنطن) ؟ ومع ذلك فاننا لم نرد على الفور بسبب انشغالنا بالهجوم الفيتنامي ورحلتى التى كان يجرى الاعداد لها لموسكو وأردنا أن نرى ما يمكن أن تعرضه موسكو فى قناة الاتصال الخاصة بيننا . كذلك كنا قد سمعنا أن السادات سيزور موسكو مرة أخرى فى نهاية شهر ابريل.. وفضلنا الانتظار .

وأرسلنا ردنا يوم ٢٩ ابريل بأننا ننتظر حافظ اسماعيل واننا نشعر باهتمام لعقد اجتماع سرى على مستوى عال وأن ممثلا للرئيس السادات سيكون موضع ترحيب فى الولايات المتحدة لهذا الغرض .

ولكن لم يحدث أى لقاء الا بعد مؤتمر قمة موسكو الذى تحدثت عنه من قبل .

وكانت حساباتنا أن عقد اجتماع بعد قمة موسكو يمكن أن يؤدى الى المزيد من ضبط النفس لدى المصريين . ورد المصريون بأناقتراحنا موضع دراسة واننا « فى واشنطن » سنتلقى ردا رسميا فى شهر يونيو بعد مؤتمر القمة .

وفى تلك الاثناء ، كانت هناك مؤشرات متزايدة على أن التوترات بين مصر والاتحاد السوفيتى تتصاعد .. ومن الواضح أن زيارة السادات لموسكو فى شهر ابريل زادت من قلقه تجاه احتمال أن يتفق الاتحاد السوفيتى على بقاء الامر الواقع فى المشرق الاوسط . ولم يقلل وصول شحنة بطريق الجو من المعدات السوفيتية المتقدمة من قلقه بالنسبة للموضوع الاساسى

وفى ٢٢ مايو أرسلت الى نيكسون تقريرا يتضمن تقديرى لحالة العلاقات بين السادات والسوفيت . وقلت انها الآن علاقة زبون قلق من الجهة التى تتولى الحماية أكثر منها علاقة شركاء متساويين يثقون فى بعضهم البعض .

● وعرفت شخصية السادات

وفيما بعد .. عرفت السادات كواحد من الزعماء البارزين القلائل بحق الذين التقيت بهم . انه يمتلك موهبة تجمع بين نفاذ البصيرة والشجاعة .. وهى الموهبة التى لا يتمتع بها سوى سياسى عظيم . لقد كانت لديه الجرأة لأن يدخل حربا لم يكن احد يتصور أنه يمكن أن يقوى عليها .. كما أنه يتصف بالاعتدال الذى يجعله يتحرك نحو السلام بعد ذلك مباشرة .. كما أن لديه الحكمة التى تجعله يتحرك فى الاتجاه المعاكس لمواقف جمدتها عشرات السنين .

ولكن.. فى عام ١٩٧٢ لم يكن اىشىء من ذلك واضحا بالنسبةلى. فقد وجه السادات تهديدات كثيرة فى ذلك الوقت (٩٧٢) لم ينفذها . وفى مفاوضات الوسيط الدولى جونار يارنج كان أكثر مرونة من سلفه ولكن بدا لى ــ حينئذ أنه لم ينبذ أوهام عبد الناصر التى كانت تجعله يتصور أنه يمكن أن يصر على مطالب (لا يمكن تحقيقها) بسبب مساندة الاسلحة السوفيتية .

ولم يكن لدينا حوار منتظم مع السادات . ولم يحاول أحد من مبعوثينا أن ينفذ الى ما وراء الاسلوب الجذاب الذى يتحلى به لكى يكتشف .. كيف يفكر السادات حقا

والى أن افتتحت قناة الاتصال بين البيت الابيض والقاهرة فى ابريل عام ١٩٧٢ .. كانت معظم تعاملاتنا الجدية من خلال موسكو. ولذلك كان رد الفعل عندى لخطواته المتفتحة .. تكتيكيا الى حدكبير: مواصلة اقناع السادات بعدم جدوى الطريق الذى يسير فيه .. وفى الوقت نفسه فتح حوار نأمل من خلاله فى تغيير هذا الطريق .

وكان هذا الموقف أيضا وراء مناقشاتنا فىقمة موسكو حول الشرق الاوسط

● فى نهاية المؤتمر

وبسبب همـوم فيتنام ومعاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية (سولت) جاءت هذه المناقشات حول الشرق الاوسط فى نهاية المؤتمر فقط . وقد حدث ذلك (كما رأينا فيما سبق أن ذكرته عن قمة موسكو) عندما وضع كلمن جروميكو وانا فى جلسة ليلية بعض « المبادىء العامة » لتسوية شاملة

وكان لابد أن يثير غموض هذه « المبادىء » المزيد من الاسئلة فى ذهن السادات . فقد كانت هذه المبادىء أكثر هزالا من القرار رقم ٢٤٢ . وقد نصت هذه المبادىء على أنه من الممكن اجراء تعديلات فى الحدود « مع حذف الكلمة الملطفة » ـ طفيفة ـ التى أصبحت جزءا من طقوس الوسائل الرسمية .. وكانت الصيغ التى تحتوى عليها هذه المبادىء غامضة فيما يتعلق بمدى الانسحابات الاسرائيلية المرتقبة

ولم افهم أبدا السبب الذى جعل جروميكو يقبل هذه الصيغ مالم يكن هذا السبب هو الارهاق ذلك أنه ، رغم كل شىء ، حضر عددا من الاجتماعات أكثر مما حضرت فى موسكو وعمل لساعات أطول .

وعلى أية حال .. فقد وجدت هذه المبادىء طريقها بسرعة الى ركن النسيان أو سلة المهملات التى ازدحمت بالمشروعات المجهضة عن الشرق الاوسط

وكان ذلك هو ما اقصده

جروميكو وأنا اتفقنا على نص بيان ختامى لقمة موسكو لا يتضمن شيئا سوى الحث على تسوية سلمية وتأييد مهمة يارنج . ولم يضع البيان أية خطوط توجيهية محددة ترشد يارنج أو تهتدى بها أية مفاوضات أخرى . هذا البيان « الناعم » ستكون له نتائج تاريخية . فقد كان « صدمة عنيفة » لمصر .

(هذا البيان هو الذى نص على رضاء أمريكا والاتحاد السوفيتى عن حالة الاسترخاء العسكرى) .

ويقول السادات فى مذكراته أن هذا البيان كان ضربة حاسمة لعلاقاته مع الاتحاد السوفيتى . وطوال ذلك الوقت.. كان المصريون يتعاملون مع التجربة المثيرة للاعصاب لدبلوماسيتنا ذات الخطوط الثلاثة .

فقد كانوا يتبادلون الرسائل معنا وكانوا يتلقون الصيغة السوفيتية عن محادثاتنا فى القمة ومحادثاتى مع السفير دوبرينين كما كانوا يتلقون العروض المنتظمة لوزارة الخارجية الامريكية التى تستهدف كسب موافقة مصر على الدخول فى المحادثات « عن قرب » .

● البيت الابيض آخر من يعلم

وبهذه المناسبة فان السوفيت لم يعرضوا على السادات مضمون محادثات قمة موسكو الا بعد خمسة أسابيع من انتهاء المؤتمر .. وقد ضاعف ذلك من خيبة أمله تجاه السياسة السوفيتية . ولابد أن تلك القنوات كانت بمثابة مجموعة مربكة من الاجراءات رغم انها

جعلت القاهرة من مركز أفضل (من ناحية معرفة الرسائل التى تمر) من البيت الابيض ووزارة الخارجية الامريكية على حد سواء ٠ ذلك لان البرقيات الهامة الخاصة بوزارة الخارجية لا تعرض على البيت الابيض لاعتمادها بل أننى أستطيع أن أقول الان أن سجلات محادثات الوزارة مع شخصيات عربية بارزة لا يتم ارسالها الى البيت الابيض بعد وقوعها ٠٠

وهكذا مثلا لم نعرف شيئا عن العرض الذى قدم للقاهرة بشأن المحادثات عن قرب الا بعد تقديمه كذلك لم نعرف شيئا عن المحادثة التى دارت بين جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الامريكية والامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودى فى شهر يونيو والتى سعى خلالها سيسكو الى الحصول على مساعدة سلطان فى اقناع مصر بالموافقة على هذه المحادثات ٠٠ وعرفنا عن هذه المحادثة فقط عندما جاء ذكرها فى تقرير من الرياض فى ١٨ يوليو ٠ ومن جهةأخرى . فان وزارة الخارجية لم تعرف شيئا عن قناة الاتصال بين البيت الابيض وبين القاهرة ٠٠ ورغم ان مصر رفضت فى شهر يونيو اقتراح الخارجية الامريكية حول اجراء محادثات عن قرب فان ذلك لم يقلل من الاخلاص الاسطورى للوزارة نحو تحقيق ما لا يمكن تحقيقة ٠

● قنبلة السادات

والأن يراهن السادات على ما هو أكبر ٠ ففى ١٣ يوليو تلقينا رسالة غامضة من القاهرة تؤكد من جديد الرغبة فى ايفاد ممثل لمصر على مستوى عال الى واشنطن بشرط ان يكون لدينا شىء جديد نقترحه ٠ ففى ظل عدم وجود أية مبادرة مختلفة لم تجد القاهرة سببالترتيب عقد هذا الاجتماع ٠ وبطبيعة الحال ، فان النتيجة الطبيعية هى ان نحصل على ممثل مصرى على مستوى عال بوسيلة بسيطة هى أن نشير الى أننا راغبون فى استطلاع محاولات جديدة ٠

وقبل ان نتمكن من وضع تقييم كامل للمعنى الذى ورد فى هذه الرسالة المبهمة جاءت فى ١٨ يوليو عام ١٩٧٢ قنبلة الاعلان المفاجىء للسادات عن انهاء مهمة أكثر من ١٥ الف مستشار وخبير عسكرى سوفيتى فى مصر ٠ وعليهم ان ينسحبوا فى خلال أسبوع أما المنشآت والمعدات العسكرية التى أقيمت فى مصر منذ ١٩٦٧ فانها تصبح ممتلكات مصرية ٠

وجاء القرار مفاجأة كاملة لواشنطن ٠ (فى ذلك اليوم كنت فى طريقى الى باريس لحضور أجتماع سرى مع الفيتناميين الشماليين ولاشك أن استراتيجيتى كانت تسعى لاقناع القاهرة بتخفيف

اعتمادها على الاتحاد السوفيتي . وكنت اتوقع انه عند لحظة معينة على الطريق سيكون السادات مستعدا لان يعرض مقايضة الانسحاب السوفيتي باحراز تقدم معنا ولكنني - نظرا لانني كنت من ناحيتي لا ازال معوقا بالتقليل من تقدير شخصية الرئيس المصري - لم اتكهن ابدا بانه سوف يتخذ مثل هذا القرار بخطوة واحدة ضخمة ومهيبة ومن جانب واحد .

وكان رد الفعل الاول عندي لدى سماع الانباء هو انه تصرف بطريقة سريعة عنيفة وقام بتحصين ركيزة تفاوضية هامة على نحو لا رجعة فيه .

● مشاعر القاهرة

وبعد يومين اعددت تحليلا أكثر طولا وعمقا : « كان من الواضح في الشهرين الماضيين ان المصريين قد روضوا أنفسهم على أنه سيكون هناك تحرك دبلوماسي ضئيل في المشكلة العربية - الاسرائيلية هذا العام بسبب الانتخابات الامريكية .. وعلى الرغم من هذا التقدير العقلاني الواضح فان السادات واجه معضلة .. هي كيفية تجنب أن تؤدي حالة التوقف في الحركة الى تجميد دائم للموقف .. أن الشعور بالاحباط (الناجم عن الافتقار الى التحرك في قضية العرب واسرائيل) بلغ درجة عالية في القاهرة .

وقد أكدت القمة الامريكية - السوفيتية الشعور بانه لا شيء سيحدث هذا العام ودفعت الى المقدمة عملية نقد الدور السوفيتي وهو النقد الذي كان يوجه الى هذا الدور حتى قبل انعقاد القمة .. » وعندئذ توصلت الى الاقتناع بان قرار السادات قد لا يكون شبه متسرع كما ظننت في البداية . ولاحظت ان السادات رفض بوضوح تام أية قيود على استخدام الاسلحة التي يرسلها السوفيت . وتكهنت بان هذا الموقف « قد يكون أشارة الى حقيقة محتملة وهي أن وجود المستشارين السوفيت في الوحدات العسكرية المصرية يمكن أن يكون بمثابة فرملة سوفيتية لتحركات هجومية مصرية » وكان تقديري الشامل للموقف يخلص الى ان ثمة أربعة دوافع محتملة لدى السادات . أحد هذه الدوافع هو تحسين اختياراته العسكرية في السنة التالية (عام ١٩٧٣) :

« ١ - ضرورة الرد السياسي على خيبة أمل - المصريين - في الداخل - من الاتحاد السوفيتي -

ب - ضرورة أن يضمن أن مشكلة الشرق الاوسط لن تصبح

متجمدة تماما في تلك السنة .. سنة عدم الحسم .. وانه يبين انه لن يجعلها تتجمد .

ج ـ إتخاذ هذه الخطوات يتيح الفرصة لتقديم اغراء للولايات المتحدة عن طريق اظهار انه استطاع تقليم اظافر العلاقة السوفيتية »

● درس الصدمة

والقى السادات خطابين اخرين فى ٢٤ و ٢٧ يوليو . ورغم انه قال أن الولايات المتحدة كذبت عليه فى عام ١٩٧١ فقد ركز أشد هجماته على الاتحاد السوفيتي . وأوضح السادات انه كان قد حذر موسكو قبل القمة الامريكية ـ السوفيتية بأن القاهرة لن تقبل استمرار حالة « اللا حرب واللا سلم » . وقال ان القمة كشفت أن التأييد السوفيتي لمصر أقل بكثير من التأييد الامريكي لاسرائيل .

وكان خطاب السادات الثاني نداء غير مباشر للسوفيت لكي يتعلموا من الصدمة وليمكنوا القاهرة من أن يتوافر لديها أختيار عسكري كاف لاستخدامه في المستقبل . وأعلن السادات أن مصر لا تريد جنودا من السوفيت يحاربون معركتها وان مصر ليست لها مصلحة في التسبب في وقوع مواجهة بين الدولتين الكبيرتين .. ولكن على موسكو ان تفهم أنه بالنسبة لمصر .. فان مشكلة الشرق الاوسط هي التي لها الاولوية القصوى بصرف النظر عن ترتيب هذه المشكلة في جدول الاعمال السوفيتي .. وقال السادات أيضا :

« يجب على صديقنا ان يعرف وان يقدر ذلك . قد تكون المشكلة بالنسبة له هي المشكلة رقم أربعة أو رقم خمسة .. ومن هنا لابد من وقفة مع الصديق حتى يقدر المعركة حق التقدير . وربما عندما يتم تعاون سوفيتي ـ مصري في هذا المجال على النحو الذى يجرى به في المجال التكنولوجي .. فان كل شيء سيكون رائعا » .

● موسكو دفعت الثمن غاليا

لقد كتب وقيل الكثير عن عدم التزام الاتحاد السوفيتي بمبادىء ضبط النفس التى تعهد بها فيقمةموسكو .ومعظمهذا النقد صحيح .. ولكن التاريخ لن يكون مكتملا ولا منصفا بدون أن نوضح ان الاتحاد السوفيتي دفع الثمن غاليا في مصر وفي سائر انحاء الشرق الاوسط بسبب وضع الشرق الاوسط فوق الثلج في اجتماع القمة

ومما لا شك فيه أن الاتحاد السوفيتي لم يمارس ضبط النفس الا لاسباب محددة منها انه كان يعتبر ان اسرائيل قوية ورادعة كذلك كان تقدير الكرملين للامور أن قيام حرب ينطوى على مجازفة بمواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة وحيث ان الزعماء السوفيت يحتاجون

الى شحنات الحبوب الامريكية والى تاييدنا فى مجال التصديق على المعاهدات الالمانية فانهم لم يستطيعوا تحمل اثارة أزمة فى منطقة حساسة للغاية مثل الشرق الاوسط · بيد ان هذه بالتحديد هى الوسيلة التى يمكن افتراض ان استراتيجية الوفاق تمارس من خلالها ·· وهى طرح مخاطر وحوافز على حد سواء لتشجيع ضبط النفس السوفيتى ·

وفى عام ١٩٧٢ الذى كانت فيه الولايات المتحدة متورطة بشدة فى فيتنام · امتنع الاتحاد السوفيتى عن تأييد مواقف زبائنه فى الشرق الاوسط ·· وقد كلف هذا القرار ·· موسكو غاليا ·

ولابد ان تكون مواقفنا الصلبة ازاء النزاع الهندى ـ الباكستانى وفيتنام (بالاضافة الى منازعات خريف عام ١٩٧٠) قد اقنعت الكرملين بان أزمة واحدة أخرى يمكن ان تؤدى الى انفجار · والى جانب الموقف الحازم الذى اتخذناه فان نزوعنا الى المصالحة فى موسكو (قمة ١٩٧٢) واحتمالات اتخاذ خطوات اخرى فى مجال التجارة · ساعد على ضبط النفس لدى الجانب السوفيتى ·

● **دواء لدوبرينين**

وبصرف النظر عن أسباب الارتباك السوفيتى ، فقد صممنا على استغلال الفرصة ·

وكان اهتمامى الاول يتركز على تهدئة السفير السوفيتى دوبرينين ·· ففى يوم ٢٠ يوليو قلت له بصدق ـ وبقدر قليل من التظاهر بالتواضع فى نفس الوقت ـ اننا لم نكن نعلم ما الذى يجرى فى مصر وانه لم يكن لدينا اى علم مسبق ·· وأننا مستعدون لمواصلة بحث (المبادىء التى نوقشت فى قمة موسكو ·)

ولابد ان دوبرينين أدرك ان هذا الذى أقوله هو دواء لمجرد ارضاء المريض ولكنه لا يشفى من اى علة · وفى مساء نفس اليوم جاء حاملا رسالة من بريجنيف الى نيكسون ··

وقدم بريجنيف فى رسالته تفسيرا محيرا لما حدث··قال: ان رحيل السوفيت من مصر هو فى جانب منه تنفيذ للاقتراح الذى سبق أن قدمه جروميكو الى نيكسون فى سبتمبر عام ١٩٧١ حول انسحاب القوات ·· وهكذا فان رحيل السوفيت من مصر يكون بمثابة الدفع نقدا للاقتراح الذى قدمه جروميكو بانسحاب القوات السوفيتية !
وهكذا ـ كما قيل ـ فان الولايات المتحدة يجب أن تنفذ نصيبها الذى التزمت به المساومة اى ان تؤثر على اسرائيل فى اتجاه تسوية

ـ يجب ان يكون محورها تحرير كل الاراضي العربية التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ ـ

ولم أجد ما يدعو الى مناقشة هذا الطلب الذى ينم عن تفكير غير متفن ٠ وكررت اقتراحى بان نبحث مبادىء موسكو ٠ وكانت هذه هى افضل وسيلة لكسب الوقت حتى نعرف كيف تفكر القاهرة ٠

ولم نضطر للانتظار طويلا ٠٠ ففى نفس ذلك الوقت تلقيت تقريرا من مصر يؤيد على ضرورة ان نأخذ بجدية دعوة القاهرة للولايات المتحدة بطرح افكار جديدة تمهيدا لاجتماع سرى على مستوى عال

وكنت لا أزال غير راغب فى التورط فى أفكار ـ جديدة ـ قد تؤدى الى نتيجة واحدة وهى خيبة أمل السادات او اجهاض أى اتصال فى بدايته ٠

● رسالة الى القاهرة

وكنت أفضل استطلاعنا عاما للاراء يساعدنا على تحديد ما هو ملائم أو ما يمكن عمله قبل ان نلزم انفسنا بمسار نعمل فيه ٠

ولذلك بعث فى يوم ٢٩ يوليو برد الىالقاهرة يعيد تأكيد رغبتنا فى اجراء محادثات سرية وصفتها فى رسالتى بانها ـ تنطوى على أهمية بالغة ـ

(فيما يتعلق بما أشارت اليه مصر من أن هذه المحادثات يمكن أن تبدأ فقط على أساس مقترحات أمريكية جديدة فان وجهة النظر الامريكية هى ما يلى : فى كل المفاوضات الناجحة السابقة التى أجريت على مستوى البيت الابيض ٠٠ سعت الاطراف أولا الى اجراء مناقشة اولية وتوصلت الى تفاهم حول المبادىء والاتجاه العام للاتفاقية قبل الدخول فى مفاوضات عملية٠٠ أما المقترحات الجديدة التى تؤدى فقط الى جمود جديد فانها لن تخدم هدف أى جانب من الجانبين ٠٠ ولذلك فان الجانب الامريكى يقترح ان تركز الاتصالات الاولية على مناقشه تفصيلية لما يمكن انجازه بشكل واقعى ٠

وهذا هو جوهر المسألة والمبرر الوحيد للاشتراك المباشر من جانب رئيس الولايات المتحدة ٠ فاذا أمكن التوصل الى اتفاق تفصيلى حول هذه المسألة ٠٠ فانه يمكن وضع مقترحات مفصلة) ٠٠

● وسطاء متطوعون

ولم يسمع شىء هام من السادات خلال شهر أغسطس ٠

ثم تلقينا أن السادات لا يزال يدرس رده ولكنه سيصل الينا فى القريب العاجل ٠ ثم قيل لنا ان ننتظر الرد بضعه أيام أخرى وفى

٤ سبتمبر علمنا أن السادات وافق من حيث المبدأ على المحادثات ولكنه سيطلب « ايضاحات » بعد أيام قلائل .

وفي النهاية .. تلقينا في ٧ سبتمبر رسالة مطولة ودقيقة للغاية من القاهرة . وأبلغتنا الرسالة بأن طرد المستشارين السوفيت كان قرارا وطنيا محضا ، وبأن هذا القرار لم يتخذ « لارضاء أي أحد او اثارة غضب أي أحـد » . وبعبـارة اخـرى ، فان مصر طلبت منا الا نعلق أهمية خاصة على هذا القرار . وتضمنت الرسالة شكوى مصر من النفوذ غير المتكافيء الذي يبدو ان اسرائيل تمارسـه على السياسة الامريكية . وتشرح الرسالة خيبة أمل مصر أزاء الاتصالات الدبلوماسية التي جرت في السنوات السابقة ورغبة مصر في اعادة فتح قناة السويس .

● عظماء الرجال

ان ذلك كله ـ كما سأدرك فيما بعد ـ هو طبيعة السادات الاصيلة أن تكتيكه في التفاوض لا علاقة له أبدا بالمماحكة حول التفاصيل وانما يقوم هذا التكتيك على أساس خلق مناخ يجعل الخلاف صعبا من الناحية السيكولوجية . فهو مثل الزعيم الصيني شواين لاي يركز على التفاهم الفلسفي الذي يعترف بأن تنفيذ الاتفاقيات بين الدول ذات السـيادة لا يمكن فرضـه ، وانمـا يتطلب رغبة لدى الجانبين والاتفاق على المفهومات او الافكار يكون في بعض الاحيان أهم من الاتفاق على التفصيلات .

ولا أستطيع أن أقول انني فهمت تماما نفاذ بصيرة السادات في ذلك الوقت . ان الرجال العظام نادرون جدا بحيث يحتاج الامر الى الاقتراب منهم والاعتياد عليهم .

وفي اليوم التالي ارسلت ردي بالترحيب بعقـد الاجتمـاع المتفق عليه مع حافظ اسماعيل وبتقـديم وعد برد أشـمل عند عودتي من زيارة أخرى لموسكو .

وفي ردي المطـول في ١٨ سـبتمبر تجنبت مرة أخـرى القضايا المحددة التي أثارتها مصر لانني أردت ان أدخر هذه المسائل للقاء مباشر . وطرحت بعض التفاصيل المتعلقة باحتمال ـ فتح طريق لمحادثات سرية واختتمت رسالتي بتوضيح عام لهدفنا :

« أن الولايات المتحدة ترغب في طمأنة حكومة مصر الى تصميمها الثابت على السعي لانهاء دائرة العنف في الشرق الاوسط وتؤكد على انها تعلق اهمية كبرى على المناقشات القادمة بين ممثلي الحكومتين لتحقيق هذا الغرض .

وفي ذلك الوقت ، بدءت الرسائل تتخذ مضمونا يتجاوز المسائل الاجرائية · وعلى سبيل المثال فان مصر عبرت عن استيائها من لهجتنا في الادانه العلنية للهجوم الارهابى على الرياضيين الاسرائيليين فى دورة الالعاب الاولمبية · وفى ٣٠ سبتمبر تلقينا رسالة مصرية أخرى تشكو من أن الدعوة التى توجهها واشنطن الى اتخاذ مواقف واقعية تشبه الى حد كبير موقف اسرائيل ·

● حوار معلق

واوضحت للقاهرة حينئذ اننا مستعدون للدخول فى مفاوضات بعقل مفتوح وان معنى كلمة واقعى هى « أن هذه المحادثات تستهدف ايجاد طريق للعمل يمكن أن يؤدى الى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ · والقضية الرئيسية هى تحديد الاجراءات العملية لتحقيق هذا الهدف · وتقديم وعود جوفاء لن تخدم مصلحة أى شخص ·

أن على الجانبين اللذين سيلتقيان بروح حسن النية ان يبحثا كل الامكانيات بغرض البدء فى تبادل الاراء الجدية والصريحة » باستمرار »

وكان كل ما تبقى هو تحديد موعد لمحادثاتى السرية مع ممثـــل السادات ··

ولم يتم اللقاء بينى وبين حافظ اسماعيل مستشار السادات لشئون الامن القومى الا فى فبراير عام ١٩٧٣ بسبب استغراقى تماما فى المرحلة النهائية لمفاوضات فيتنام ·

●●●

هنا تتوقف مذكرات كسينجر عن الشرق الاوسط ·· لان كتاب « سنوات البيت الابيض » يغطى الفترة من نوفمبر ١٩٦٨ حتى يناير ١٩٧٣ وهى فترة رئاسة نيكسون الاولى التى عمل فيهاكســـينجر مستشارا للرئيس الامريكى لشئون الامن القومى ·

وفى الكتاب القادم لكسينجر سوف يتناول الفترة من يناير ١٩٧٣ حتى يناير ١٩٧٧ التى تولى فى معظمها منصب وزير الخارجية فى فترة رئاسة نيكسون الثانية · وسيروى كسينجر فى كتابه (الذى لم يصدر بعد) قصة ووترجيت واستقالة نيكسون وحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ودبلوماسية المكوك فى الشرق الاوسط ·

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٥٢٦٩/٧٩

الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ - ٧٠٤١ - ٩٩ - ٣